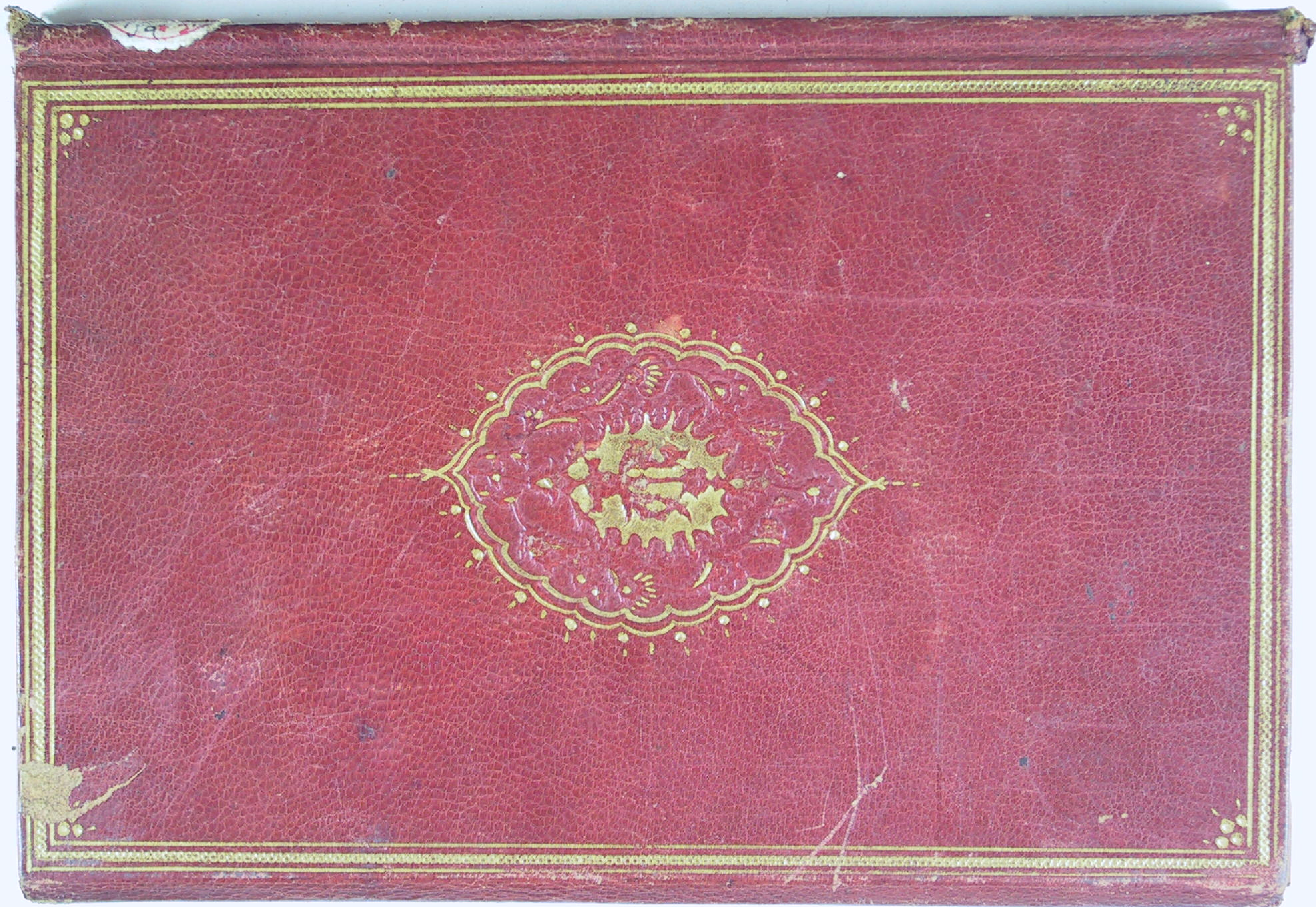
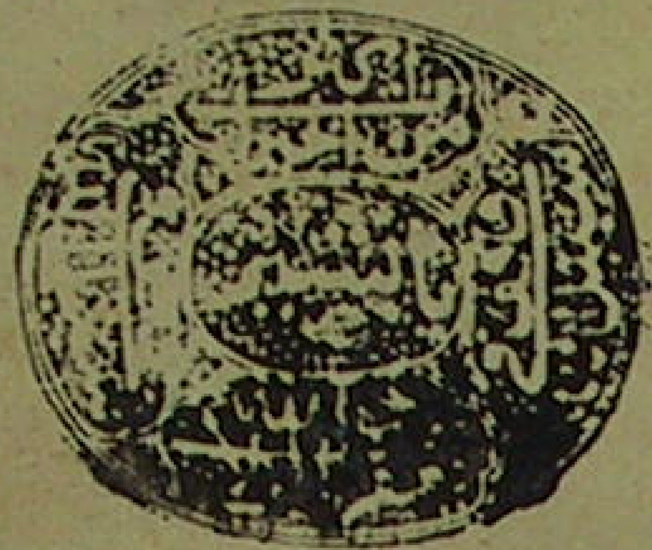


كتاب التمييز لابن معن

سح ١٩

٥٢٤





الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاجي بشير آغاى دار السعادة
الشريفة سنة ثمان وخمسين
ومائة وألف



لله حسبي
من نعم الله تعالى على عبده الفقير
علي بهجت عفا الله عنه
وعن أسلافه

هذه النسخة الجليلة والمجلة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان
ساحب ذيل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بأنوار العناية
مفتح معاقد المراصد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل حائز مجامع البر
الأكمل الأوهو آغا دار السعادة الحاج بشير وفقه الله للخير المزيد والبر الكثير
من هو على كل شيء قدير حرره الفقير إليه سبحانه وتعالى
محمد أمين المفتش بأوقاف الحرمين المحترمين
غفر له



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اعطي كل شيء خلقه ثم هدي •
وصلي الله علي سيدنا محمد نبي الرحمة والهدي • و
اله واصحابه مصابيح الدجي • وسلم ماغاب نجم وبدي •
وبعد فيقول العبد المفتقر الي رحمة الله الرؤف •
حسين ابن فخر الدين المعروف بابن معن • لما كان العلم
بالخير للاكتساب • وبالشر للاجتناب • واستبانة الخير
امرق به • واستبانة الشر ناهية عنه • وبحسن الاخلاق
وقبحها يكون المدح والذم • ومايترتب عليه وتيصور
في النفس صورة الممدوح فيتسم بها • وصورة المذموم
فيعتصم عنها • ولايتصور ذلك الابعد معرفة الاسباب
ومن لم يعرف الشر وقع فيه • اردت ان اجمع ماوقفت
عليه • وعطفت نظري وفكري اليه • من مدح اشياء
وماقيل فيها مكتفيا بما قل ودل • وحل وجل • و
هي نصائح رائضه • ولوائح فائضه • ومُنبِّهات جامعه
ومبصرات لامعه • واداب واقوال واسباب • و
امثال ومعرفة مكارم الاخلاق • والخلال • ومحاسن
السير والاعمال • عبرة لمعتبر • وتذكرة لمذكر • عيون

الرؤف هو شديد الرحمة

الفضائل

الفضائل جرت من اقلام الافاضل • ما تركوا الفاضل فاضل
تهذيبا للطباع • وترغيبا في الانتفاع • وتعلم ان اختيار المرء
قطعة من عقله • وانه يكتب احسن مايسمع • ويحفظ •
احسن مايكتب • ويورد احسن مايحفظ • وقد جعل
الله من استعداد النفس البشرية • قسما لانواع الاخلاق
والشيم • فكل تقصير به مضر • وكل افراط له مفسد
واذا قذف الله شيئا من انوار مواهبه • في قلب من يشاء
من خلقه • اهتدي الي مواقع الصواب • ودرج في كثير
من الاسباب • ومن وفقه الله جعل لهداية اسبابا •
وفتح له الي الرشد ابوابا • وتحصل له زيادة شرف •
توجب نبله • وتزكي فعله • فانه يؤتي كل ذي فضل
فضله شعر وما المرء الاحيث يجعل نفسه •
فكن طالبا في الناس اعلا المراتب • والاخلاق الحميدة
هي الصفات المعنوية التي هي للباطن كالصورة للظاهر •
شعر كل الامور تمر عنك وتنقضي • الا الثناء فانه لك باقي
والله لو خيرت كل فضيلة • ما اخترت غير مكارم الاخلاق
واني ينجو من عثرات مايهوي به • او يظفر بتنقيحه • و
تهذيبه • من يمنعه الاكتساب ان ينظر في كتاب •
او يذاكر من الاخوان احدا • او ينال من مؤلف مددا •



النبل بالضم الذكاء والنجابة •

الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة •

ويكون الي التذكرة داعية، وتعي لعظات اذن واعية،
فشرعت فيه مما شرعتي بتم عناية الله العزيز، وسميا
هذا التاليف كتاب التمييز، وكل ما نفع قد يشكر،
والمرء باثاره يذكر، ولا باس ان يعظ المقصر،
ورب حامل علم الي من هو اعلم منه، شعر
لا تنكرن اذا اهديت نحوك من، علومك الغرا وادابك النتفا،
فقيم الباغ قد يهدي لمالكه، برسم خدمته من باغه التحفا،
روي عن علي رضي الله عنه، انه كان يقول ان هذه القلوب
تمل كما تمل الابدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة، وقد تكون
بالنظر بالعين والسماع بالاذنين والنطق باللسان، وما
كشف قناع العقول، مثل سماع المقول، والله
يوزعنا من الاعتقاد ارصنه، ومن السداد احصنه،
ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون احسنه،
ويوفقنا للصواب، ويمدنا بمدد الفضائل والاداب،

باب في مدح العقل ان الله سبحانه قد ضرب الامثال
واوضحها، وبين بدائع مصنوعاته وشرحها، ثم قال
تعالي ان في ذلك لذكري لاولي الالباب، وقال عز وجل
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون، روي عن الحسن
البصري انه كان يقول اذا تواترت العبر والمواعظ،

علي

الشرعة معناها ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستمر ه

يوزعنا يلهمنا يقال فلان موزع بكذا اي مولع به ومغرى به بمعنى واحد ه

علي عبد فلم يعتبر، وذكر بالايات فلم يذكر، فليعلم
ان قلبه مطبوع، وهو مغرور ومخدوع، واذا اراد
الله فلاح عبد تداركه بفضل من عنده فتح قفل
قلبه، وبصره بنور لبه فيشرق نور اليقظة من مطالع
التوفيق، ويتالق ضياء الفطنة فيهديه الي سواء الطريق،
ويحميه ان يهوي به ريح الغفلة في مكان سحيق،
وقد وصف الله الجاهل بقلة العقل، فقال تعالي
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون، فجعل
السمع مقارنا للعقل في درجة الفضل، وسلب اسم
العقل الكافر في اية اخري، بقوله تعالي فهم لا
يعقلون، قال الامام الرازي في اسرار التنزيل قوله
تعالي صم بكم عمي فهم لا يعقلون، وذلك لانه
كانت قلوبهم مملوة من حب الدنيا فما كانوا ينتفعون
بما يرون ويسمعون ويتكلمون، وقال القرطبي
في تفسير سورة تبارك الكافر لا عقل له بل له ذهن،
وكان الحسن رضي الله عنه يقول العقل
هو الذي يهدي الي الجنة ويحمي من النار، اما
سمعتم قول الله تعالي حكاية عن اهلها لو كنا نسمع او
نعقل ما كنا في اصحاب السعير، شعر

السحيق البعيد مكان سحيق اي بعيد من الحق ه

ومن كان ذا عقل اجل لعقله، وافضل عقل عقل من يتدين ،
وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجل يحسن العقل الكثير الذنوب، فقال ما من ادمي لا وله خطايا
وذنوب فمن كانت سجيته العقل كلما اخطأ لم يلبث
ان يتدارك ذلك بتوبة يمحو ذنوبه ويبقي له فضل يدخله
الجنة ، وجاء في حديث اخر ان الاحمق العابد يصاب بحمقه
اعظم من فجور الفاجر، وانما يقرب الناس الزلف من ربهم
علي قدر عقولهم، وفي رواية وانما يرتفع العباد غدا في
الدرجات زلفي من ربهم علي قدر عقولهم، وعن ابي زكريا
قال ان الرجل يتلذذ في الجنة بقدر عقله، وروي عن
ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا ابلغه عن رجل شدة عبادة واجتهاد،
سال كيف عقله فان قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ
صاحبكم حيث تظنون، وفي رواية لا يعجبكم
اسلام رجل حتي تعلموا عقدة عقله ، قال ابو عبد الله
الترمذي في نوادر الاصول، لما علم صلى الله عليه
وسلم ان العقل هو الذي يكشف مقادير العبودية،
ومحبوب الله ومكروهه لان العبادة الظاهرة
قد تكون من العادة والمساعدة، يري الرجل في صباه

علم

علم هذا ونشأ عليه، وعلم انه خير فثبت عليه معتاد الدوام
الفه ليسري عليه فاذا كان العقل يدله علي محبوب الله و
مكروهه، ويكشف له مقادير العبودية مع الدلالة علي
الرشد والنهي عن الغي كان علامة ذلك ان يتورع عن
مساخط الله لم يجوز لنفسه ان يترضاه مع تضييع فرائضه
او التوثب في مساخطه، فكان العقل هو الذي عقل
عن الله ما امره ونهاه، فأتمر بما امره وازدجر عما نهاه فتلك
علامة العقل، فاذا رئي احدهم يتعبد، وهذا فيه علم
انه عن عقل يتعبد وعن بصيرة يتقي، واذا رأي في خلو من
هذا علم انه عن عادة ومساعدة يري اخر، ويعمل به فلذلك
قال صلى الله عليه وسلم حتي تعلموا ما عقدة عقله اي بأي
شيء يعتقده في قلبه، فان الاسلام هو ما ظهر من اعمال
العباد والاجر يعطي بعمل اخلص فيه النية، وعقدة
العقل هو وثاقه فان العقل قسم للعبيد، فاعطي عبد
فعقده بالله فرشد، واخر اعطي فعقده بالهوي فغوي،
فقال صلى الله عليه وسلم حتي تعلموا باي شيء عقد
عقله بالايمان بالله ام بالهوي، فان القلب اذا كان مؤمنا
وجاء العقل، فدله علي الرشد فان عقد عقله بالايمان
مر في الطاعة، وان كان القلب فاجرا وجاء العقل،

فعقد صاحبه بالهوي مر بالغي فهو اسيره فاستعمله
بالمعاصي وصارا لدليل مقهورا في سجن الهوي فدل
رسول الله صلي الله عليه وسلم علي تعرف ذلك من هذا
الوجه فان كان عقله عقيدة هواه لايتقي ولايتورع
فقال صلي الله عليه وسلم لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون
ومن كتاب الاتقان اخرج ابن مردويه عن ابن عمر قال تلا
رسول الله هذه الاية ليبلوكم ايكم احسن عملا قلت ما معني
ذلك يا رسول الله قال ايكم احسن عقلا واحسنكم عقلا
اورعكم عن محارم الله واعملكم بطاعة الله وقال بعض الحكما
العاقل ان يترك الدنيا قبل ان تتركه ويعمر القبر قبل
ان يدخله ويرضي الله قبل ان يلقاه وفي الحديث العقل
نور يفرق بين الحق والباطل فاذا اراد الله بعبد خيرا
بصره مواقع الصواب فتاب واناب وكشف عن قلبه
الحجاب واعانه ووفقه اليه ويسره له واثابه عليه واذا
اراد الله به غير ذلك تخلت عنه العناية ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور وجاء في الخبر خلق الله العقل
فقال وعزتي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك ممن
ابغضت ثم قسم بين الموحدين عقل الهداية علي علمه
فكل ما استقر في عبد كان دليله علي مقادير الذي

الهداية دلالة بلطف ولذلك لا يستعمل في غير الخير الا على سبيل التهكم ه

كان

كان منه يومئذ فكل من احب الله اقباله في امر دله علي
اقباله وما كره من ذلك دله علي الصمت وكذلك في كل
فعل فعله يومئذ يلهم العقل صاحبه في كل امر
اذن له فيه وما خطر عليه ومحابه فكل ما كان حظه
من العقل اوفر فسلطان الدلالة فيه اعظم وانفذ
والعقل نور خلقه الله وقسمه بين عباده علي مشيئته
فيهم وعلمه بهم يفرق به بين الخير والشر والنفع و
الضر وجعله مخيرا في ذلك وان كان المبدا منه و
بقوة العقل يحصل الاستبصار وتعرف الاسرار و
هو ميزان الوجود ومعيار ه وهو مركز الدين وعليه مداره
ومحل الخطاب والتكليف والة ذوي الالباب في
التصريف والتحريف من خلا منه نزل عن رتبة الانعام
الي انزل مقام قال الله لم يزل جليلا اولئك كالانعام
بل هم اضل سبيلا وانما كانوا اضل لان الانعام
ليس في قوتها طلب درج الملئكة فتركها للعجز واما
الانسان ففي قوته ذلك والقادر علي نيل الكمال احري
بالذم بالنسبة الي الضلال مهما تباعد عن طلب الكمال
ولاريب ان الله جعل حركة كل ذي عقل علي قدر ضعفه
وقوته الباطنة وهمته العالية فما استرخي منه من

تلك القوي فمن ضعف تلك القوة التي تقيم ذلك
الشيء منه او نقصانها والعقل غير العلم لان العقل
طريق موصل الي العلم لكن العلم افضل لانه من صفات الحق
وثمرة العلم العمل وهو الطاعة وهي نتيجة العقل ومن لم يكن
عاقلا لا يسمي عالما وقال الشيخ ابو العباس ان الله عز شانه
لما خلق الارض علي الماء اضطربت فارساها بالجبال فقال
تعالي والجبال ارسيها كذلك لما خلق النفس اضطربت
فارساها بالعقل وان الباري تعالي انما اعطانا العقل
وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والاجلة غاية
ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه وهو من نعم الله العظام
وانفع الاشياء عندنا واجداها علينا فحقيق ان ننزله منزلته
ولا نحطه عن رتبته بتسليط الهوي عليه الذي هو افته
والحائد به عن محجته وقصده واستقامته والمانع من ان
يصيب به العاقل رشده وما فيه صلاح عواقب اموره
بل نروضه ونذلله ونحمله ونجبره علي الوقوف عند امر العقل
ونهيه فانا اذا فعلنا ذلك صفا لنا غاية الصفا واضاء
لنا غاية الضيا وبلغ بنا غاية قصد بلوغنا به وكنا سعداء
بما وهب لنا منه ومن علينا به شعر
ما وهب الله لامرئ هبة افضل من عقله ومن ادبه

هما

٦

هما جمال الفتي فان فقدا ففقده للحيات اجمل به اخر
من لم يكن من عقله زاجر له فلا وجه لاصلاحه
ومن هوي في ظلمات الهوي جهلا فلا نور لمصباحه
يعني اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه
يامره وينهاه عقل جزراستي نفر مودست والعقل
هو المحرض علي طلب الفضائل والمعرض عن ركوب الرذائل
والناظر في المصالح والعواقب والمهذب لاحسن المذاهب
وروي عن سعيد ابن جبير في قوله تعالي امثلهم طريقة
اوفاهم عقلا فظلمات الاوزار والسيئات وكدورات
الهوي والشهوات تحجب مرات القلب عن التجليات قطرة
من الهوي تكدر بحرا من الصفا وقال بعض الحكماء الانسان
اذا كان قليل العقل لم ينفعه ان يكون كثير العلم واما اذا
كان غزير العقل فليس يضره ان يكون قليل العلم لانه يجبر
قلة علمه بوفور عقله ولا يمكنه ان يجبر قلة عقله
بوفور علمه من كان له عقل وان لم يكن عالما فان عقله
يكون له دليلا ومن كان ذا علم وليس له عقل عادت اموره
جميعها منعكسة متغلبة شعر
زعمت اخا الدعوي بانك جامع فنونا من الاداب يجمعها الفضلا
فهبك تقول الحق اي فضيلة تكون للانسان وليس له عقل

وما اضيف شي الي شي احسن من علم الي عقل ومن عفو الي
قدرة. واعظم منافع العقل اجتناب الذنوب. وقد يبلغ من
صحة العقل ان يتعرف حقائق الامور ولا يبلغ من قوته ان
يمنع الهوي من شهوته فاذا كان العقل بتلك المنزلة الفي
صاحبه بصيرا بالرشد غير قادر عليه. وعاد فابالغي غير ممتنع
منه. وقد يكون من العقل ما يجمع مع المعرفة بالامور الامتناع
من الهوي. وعلة ذلك امران احدهما قوة العقل والاخر ضعف
الهوي فان غلب طبيعة العقل في القوة طبيعة الهوي لم يقدر
الهوي علي غلبة العقل الا بما يتصل به من الشهوات و لا
العقل علي ان يغلب الهوي الا بما يتصل به من فائدة العقل
المتعلم. ولما كنا علي حال لم يكمل فيها عقولنا كما لا استغني
به. ولم تضعف اهواؤنا ضعفا نزهد معه في الشهوات
لم يكن لنا بد الا علي المواصلة علي التعلم لنزيد في العقل المعين
علي الهوي. استمد لعلمك من علم العلماء. ولحلمك من حلم
الحلماء ولعقلك من عقل العقلاء. فان العقل الفرد لا
يقوي علي امر العامة ولا يكتفي به في امر الخاصة. وقال
بعض الحكماء العقل غريزة يزينها التجارب وقوة يتاتي بها
درك المعقولات وهو ينقسم الي قسمين عقل اصلي
يناط به الاحكام. ويجري القلم علي صاحبه. وعقل

ليستفيد

ليستفيد المرء بتحصيل زيادته بكثرة التجارب والوقائع.
فاذا اجتمعا قوي كل منهما صاحبه بقوته وعقل الغريزة سلم
الي عقل التجربة. ومن عرف التجارب طابت له المشارب. قد
ان ايدي العقول تمسك اعنة الانفس. شعر

رايت العقل عقلين . فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع . اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس . وضوء العين ممنوع

الي الاول اشار النبي صلي الله عليه وسلم بقوله ما خلق
الله خلقا اكرم عليه من العقل والي الثاني بقوله ما كسب احد
شيئا افضل من عقل يهديه الي هدي او يرده عن ردي
وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فاشار الي
الثاني دون الاول. وكل موضع فيه رفع التكليف عن العبد
لعدم العقل فاشار الي الاول. والعقل المكتسب ينقص ويزيد
ويذهب ويجيء وباعتبار هذه الحالة صاحب التجارب و
الوقائع ارجح معرفة واكثر فهما وفي تفسير قوله تعالي
ان في ذلك لذكري لمن كان له قلب والقي السمع وهو شهيد.
ان القوي العقلية قسمان منها ما يكون في غاية الكمال
والاشراق والقسم الثاني هو الذي لا يكون كذلك
فهو يحتاج في اكتساب العلوم النظرية الي الاستعانة

بالغير والتمسك بالقانون الضاحي الذي يعصمه عن الزلل فقوله
تعالي لمن كان له قلب اشارة الي القسم الاول وقوله تعالي او القي
السمع وهو شهيد اشارة الي القسم الثاني وكذلك قوله تعالي
افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان
يسمعون بها ولتفاوت ما بينهم في هذا الباب وفي قمع الهوي
وفي مخالفة ما يدعوا اليه الطباع من اكثر الاحوال وتمرين اختلاف
طبائع الناس صار يسهل ويعسر علي البعض دون البعض منهم
ردع هواه فاختلفت حالات اكتسابهم للفضائل واطراحهم
للرذائل وافة ذلك ان النفس مولعة بحب العاجل ولان الهوي
والطباع يدعوان ابدا الي اتباع اللذات الحاضرة وايثارها من غير فكرة
ولا روية في عاقبة لكن يحثان ويعجلان اليها وان كانت جالبة
للالم ومانعة من اللذة فيما بعد اذ لا يريان الا حالهما في وقتهما
واما التثبت والنظر في عواقب الامور والحالات وتمييز
عاجل نفعه وضر عاقبته ووزن ما بينهما وعرفان ما
يلحقه من الالم وما يناله من اللذة واتباع الارجح من عوائد
العقل السليم والراي القويم وهو ميزان العدل وبيان
الفضل وشرع الكرم ومعدن الحلم وعمود الفكر ولسان
الذكر وترجمان السرور دليل الفهم وكان لقمان يقول لكل
خراب عمارة وعمارة الاخرة العقل والعقل قوة وغريزة

اودعها

اودعها الله في الانسان ليتميز عن الحيوان بادراك الامور النظرية
وقيل انه نور يقذف في القلب ليستعد به لادراك الامور
والعلوم العقلية واشتقاقه من العقل بمعني المنع ومنه
العقال لمنعه الانسان عما لا يليق وهذه القوة تتفاوت
بالشدة والضعف وتزيد بامور مكتسبة بالتجربة ومخالطة
العقلاء وسيل افلاطون ما العقل قال سرعة الفهم
وقلة الوهم وقال بعضهم ليس العاقل من يحتال الخروج
من الامر الذي وقع فيه انما العاقل الذي يحتال ان لا يقع
فيه العاقل موفق للرشد في كل امره فلا تلقاه الا ناصحا
للولاة موقرا للروساء متحرزا من الاعداء غير حاسد للاصحاب
ولا مخادعا للاخيار ولا متحرشا بالاشرار ومن غلب عقله علي
هواه تجده زاهدا في النعم راغبا في الصدق مؤثرا للخلوة
بعيدا من الحيلة تتامل فيه الخوف وتخال فيه الغفلة
استعن باهل العقل يكن عملك خيرا كله ولا تستعن باهل
الحماقة فيكن عملك شرا كله روي عن النبي صلي الله عليه
وسلم انه قال للعاقل خصال يعرف بها يعفو عمن ظلمه
ويتواضع لمن دونه ويسابق الي بر من فوقه ويتدبر ثم يتكلم
فان تكلم غنم وان سكت سلم واذا عرضت له فتنة
اعتصم بالله وفي حكمة داود عليه السلام علي العاقل

ان يكون عالما باهل زمانه مالكا للسانه مقبلا علي شانه علم ان
خطر الدنيا يسير فحصل زادا للمسير عرف نفسه وقنع بما
رزقه ربه والحكمة راس الاخلاق الحسنة قال لقمان
افضل ما اعطي العبد في الدنيا الحكمة وفي الاخرة الرحمة
والعقل يمنع الانسان مما يميل اليه من الهوي كعقال الناقة
يمنعها من الشرود ولهذا يقال العاقل من عقله عقله عن كل
مذموم وقيل اشتق من المعقل وهو الملجأ فكان الانسان
يلتجي اليه في احواله واكثر المعاني مشتركة في الاشتقاق
وقيل في تعريف الحكمة انها من احكمه عن كذا اذا منعه وانما
سمي الحاكم حاكما لمنعه التعدي والحكمة تمنع صاحبها
عن النقائص وهي استكمال النفس الانسانية باقتباس
النظريات وكسب الملكة التامة والمداومة علي الافعال
الفاضلة بقدر الطاقة البشرية والعلم بالاشياء كما هي و
العمل به وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه اكمل العقل
اتباع رضوان الله واجتناب سخط الله وقال حكيم العاقل
فطن متغافل يحسن امر دنيه ودنياه شكر الله علي نعمائه وصبر
علي بلائه واخلص في اعماله وصدق في اقواله والتجي الي الله
في احواله اظهر عفافه واغناه كفافه تودد الي الناس وغض
عن الباس قبل النصيحة وخشي الفضيحة واستعمل الرفق

في اموره مستصحبا القناعة مستقبحا الاضاعة ملازما
للسنة والجماعة قبل الامر بالسمع والطاعة ان عاش فعلي
السنة وان مات فالي الجنة هذا هو الكيس الرئيس صاحب
العقل النفيس وجاء في الحديث ان لله خواصا يسكنهم
الرفيع من الجنان في اعلا عليين كانوا اعقل الناس قيل
يا رسول الله كيف كانوا اعقل الناس قال كان همهم المسابقة
الي الله والمسارعة الي ما يرضيه زهدوا في الدنيا وفي رياستها
ونعيمها فهانت عليهم صبروا قليلا فاستراحوا طويلا
وفي تفسير قوله تعالي لينذر من كان حيا اي عاقلا من
اطاع العقل انجاه ومن عصي العقل ارداه والطاعة
الهوي هي عصيان العقل وليس له في الحقيقة غاية
ولا لجودة فهم القريحة نهاية واذا اجتمع في انسان
فرط الذكاء وقوة الحدس وجودة القريحة وكثرة التجارب
وطول الاختبار بمرور الزمان فذلك المجتمع هو العقل
الكامل علي الاطلاق وصاحبه الفاضل بالاستحقاق
يعرف من مبادي الافعال خواتم الاعمال ومن صدور
الامور اعجاز الصدور يري العواقب في مراة فكره فلا
يشتبه عليه نفعه بضره قال التفتازاني ومن الكيفيات
النفسانية الذكاء وهو حدة الفواد وهي شدة قوة

للنفس معدة لاكتساب الاراء اي الافكار • وقيل هو ان يكون
سرعة انتاج القضايا ملكة للنفس كالبرق اللامع بواسطة
كثرة مزاولة المقدمات المنتجة • وقال افلاطون ذكاء الفهم
والذهن من الطبيعة الصافية واختلاط الحكماء وهو من المواهب
الالهية والمطالب البهية • وسبب من اسباب العلم • وقال
شهاب الخفاجي في شرح الشفا • الذكاء بفتح الذال المعجمة
الفواد لسرعة ادراكه وفطنته لانه في الاصل الاشتعال
والتوقد ولذا يقال الذكاء توقد الذهن • وروي عن عمر
رضي الله عنه • انه قال سالت رسول الله صلي الله عليه وسلم
عن السيد • فقال سالت جبريل عنه فقال هو العاقل •
وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت سالت رسول الله
صلي الله عليه وسلم • باي شي يتفاضل الناس • قال بالعقل
في الدنيا والاخرة • قالت اليس يجزي الناس باعمالهم • قال
يا عائشه وهل يعمل بطاعة الله الا من عقل فبقدر عقولهم •
يعملون وعلي قدر اعمالهم يجزون وفي تاويل قوله تعالي • قل
كل يعمل علي شاكلته • اي بحسب عقله وقال سعيد ابن جبير
لم ترعينا ي اجمل من فضل عقل يثري به الرجل ان انكسر
جبره • وان ذل اعزه وان اعوج اقامه وان افتقر
اغناه • وان عري كساه • وان غوي ارشده وان

خاف منه • وان حزن افرحه وان تكلم صدقه • وان اقام بين
ظهراني قوم اغبطوه وان غاب عنهم اسفوا عليه • وان بسط
يده قالوا جواد وان قبضها قالوا مقتصد وان اشار قالوا
عالم وان صام قالوا مجتهد • وان افطر قالوا معذور •
يعني العاقل يضع الاشياء في محلها فتحسن افعاله كلها
وقال لقمان العقول مواهب والاداب مكاسب
وقال ابن الحاجب رحمة الله تعالي عليه شعر
وافضل قسم الله للمرء عقله • فليس من الاشياء شي يقاربه •
اذا اكمل الرحمن للمرء عقله • فقد كملت اخلاقه وماربه •
يعيش الفتي بالعقل في كل بلدة • علي العقل يجري علمه وتجاربه •
يزين الفتي في الناس صحة عقله • وان كان محصورا عليه مكاسبه •
يشين الفتي في الناس قلة عقله • وان كرمت اعوانه ومناسبه •
قال بزرجمهر جميع الاشياء مفتقرة الي العقل •
والعقل مفتقر الي التجربة التجربة مراة العقل • وطول
الوقائع زيادة في العقل • شعر
وما السيف الا زبرة لو تركته • علي الخلقة الاولي لما كان تقطع •

اخر

اذا طال عمر المرء في غير افة • افادت له الايام في كرها عقلا •
وقال الحكيم كفي بتقليب الايام عظة وبالتجارب تاديبا •

لاتدع الايام جاهلا الا ادبته ولا احمق الا هذبته شعر
ومن يذق لسعة الافعي وان سلمت • منها حشاشته يفزع من الرسن •
يعني كما قيل بالفارسية • مرز ليسمان متنفر شود كزيده ما ر •
وفي الامثال في التجارب علم مستانف اي جديد • خذوا من
اصحاب التجارب ما تزيدون به في عقولكم وقال ابو النصر •
الفارابي العقل العلمي هو قوة يحصل بها للانسان عن كثرة
التجارب • ومشاهدة الامور المحسوسة مقدمات يمكنه
الوقوف علي ما ينبغي ان يؤثر ويجتنب في شي شي من الامور •
التي فعلها الينا وهذه المقدمات بعضها تصير كلية ينطوي
تحت كل واحد منها امور • مما ينبغي ان يؤثر ويجتنب وبعضها
مفردات وجزوية تستعمل مثالات لما يريد الانسان ان
يقف عليه من الامور التي يشاهدها • وهذا العقل
يكون عقلا بالقوة مادامت التجربة لم تحصل فاذا حصلت
التجربة وحفظت صار عقلا بالفعل • ويتزيد هذا العقل
الذي بالفعل بازدياد التجارب في كل شي من اسباب الانسان
في عمره والتعقل هو القدرة علي جودة الروية • والا
ستنباط للاشياء التي هي اجود واصلح فيما يعمل ليحصل
للانسان خير عظيم • في الحقيقة وغاية فاضلة شريفة
كانت تلك هي السعادة او شي ما له غني عظيم • في ان ينال

به السعادة والعقل نور يقذف في القلب فيستعد لادراك
الاشياء فيعلم جواز الجائزات واستحالة المستحيلات
ويلمح عواقب الامور • وذلك النور يقل ويكثر فاذا قوي قمع
الهوي بملاحظة العواقب ومحله الدماغ عند اكثر الحكماء
وبعض الفقهاء والقلب عند اكثر الفقهاء وبعض الحكماء •
او هو مشترك بينهما فيه خلاف مشهور • وقيل ان العقل
نور الروح وان العقل لسان الروح وترجمان البصيرة • و
البصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان • ولكل
شي جوهر وجوهر الانسان العقل • والحق ان العقل روحاني
به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وبه يمتاز الانسان
عن سائر الحيوان غير ان للعقل افات منها الهوي • وهو اغمض
مسلكا في الحيوان من الروح في الجثمان • واملك للنفس من
النفس قال بعضهم شعر
النفس حرة ونحن عبيد • ان رق الهوي لرق شديد •
الا انه قال بعضهم • جنون الهوي فوق الجنون وما تري •
هوي عاقل الا كاخر جاهل • وقال بعضهم •
ذو الجهل يفعل ما ذو العقل يفعله • في النائبات ولكن بعد ما افتضحا
وقال علي رضي الله عنه صديق كل امرئ عقله وخلقه
وعدوه جهله وحمقه شعر

اذا ما دعتك النفس يوما لشهوة ، وكان عليها للخلاف طريق ،
فخالف هواها ما استطعت فانه ، هواك عدو والخلاف صديق ،
وقيل لحكيم متي يصير داء النفس دواها قال اذا خالفت
النفس هواها ، من كان لعنان هواه املك كان لسبيل
الرشد اسلك ، العاقل التقي يسلك اعدل الطرق ، ويتخلق
باحسن الخلق ، فيكون محفوظا بعناية الله ، ملحوظا بعين
الله موفقا بهداية الله ، ومن ملك نفسه عند اربع فقد
نجا حين يغضب ، وحين يرغب وحين يرهب ، وحين يشتهي
وكان يقال العاقل يشتهي ، وينتهي ، ويبصر فيقصر ويجاهد
فيشاهد ، شعر
اذا تم عقل المرء تمت فضائله ، وقام علي الاحسان منه دلائله ،
فلا تنكر الابصار ما هو فاعله ، ولا تنكر الاسماع ما هو قائله ،
يستدل علي عقل الرجل بقوله وعلي اصله بفعله ، وعلي
حصول العقل في الرجل ، بما يوجد منه ويصدر عنه ،
فان العقل معني لا يمكن مشاهدته ، لان المشاهدة من
خصائص الاجسام ، وما لا ينفك عنها بل تعرف اثاره ،
واحكامه بامور متعددة منها ميله الي محاسن الا
خلاق ، واعراضه عن رذائل الاعمال ، ورغبته في اسداء
المعروف ، وتجنبه عما يكسب عارا ، ويورث سوء سمعة ،

وللعاقل

وللعاقل اربع علامات ذكر المنة ، وصدق الهمة ، وعرفان الحرمة ،
وخوف الفرقة ، وان ينظر الي الدنيا بعين الاعتبار ، والي الا
خرة بعين الانتظار ، والي النفس بعين الاحتقار ، والي الطاعة
بعين الاعتذار ، والي المغفرة بعين الافتقار ، والي المعروف
بعين الافتخار ، وجاء في الحديث مكارم الاخلاق اعمال
اهل الجنة ، من ابتلي فصبر واعطي فشكر ، وظلم فغفر ، وظلم
فاستغفر اولئك لهم الامن وهم مهتدون ، شعر
اذا اعجبتك خصال امرئ ، فكنه يكن فيك ما اعجبك ،
فليس علي الجود والمكرمات ، اذا جئتها حاجب يحجبك ،
وقال بعض الحكماء الرزق رزق يديمه الشكر والشكر ،
موهبة يهدي اليها العقل ، والعقل فطنة يوقظها
التوفيق ، والتوفيق عناية يمنحها الله علي من يشاء من خلقه ،
فمن زال توفيقه رقد عقله ، ومن رقد عقله فقدت
موهبته ، ومن فقدت موهبته قل شكره ، ومن قل
شكره حرم رزقه ، وقالوا ثلثة هي راس العقل ، مداراة
الناس ، والاجتناب من الناس والاقتصاد في المعيشة ،
وروي عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد
من الله قربا قلت يا رسول الله من لي بالعقل ، قال

اجتنب الناس واجتنب محارم الله وادّ فرائض الله تكن عاقلا
ثم تنقل الي صالح الاعمال تزدد من الله قربا وفي الدنيا عقلا
وفي رواية وتعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا
رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعزة وقال
حكيم اشد الفاقة عدم العقل وكل شيء اذا كثر رخص الا
العقل فانه كلما كثر غلا يعني كل شيء اذا كثر هان الا العقل
فانه كلما كثر كان صاحبه اعز وكل من كان علمه اوفر كان
حاجته الي العقل اكثر كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم
لا يؤيده عقل مضلة العاقل لا يتبع العورات ولا يترقب
الزلات ولا يذكر ما مضي وما فات لا يكشف المستور
ولا يحزن المسرور ولا يواخذ بالسيات ولا يقبل
التهمات لا يغتر بالغرور ولا يلتفت الي مغرور لا يضيق
بالحرجات ولا يحرج بالمضيقات ولا يلتمس اقصي الحاجات
والحالات يرضي من امره باليسير ويجبر كل كسير
يتصرف في الملمات لما ينفعه بعد الممات ويتوقي ما
يورثه الندم والحسرات سالكا في الطريق حيث لا يضيق
ولا يضيق وقد اجمع اهل الكشف علي ان كل خير ديني
ودنيوي في جبر القلوب مطلقا وكل شر في كسر
القلوب مطلقا فمن احب ان يحصل له دوام الجبر

من

١٢

من الله في الدنيا والاخرة فليدم جبر قلوب خلق الله فان العالم
بسط ببسط صفاء بصفاء كدر بكدر يسر بيسير فمن هذا
اقتبس وعلي مثل هذا فتش ما بين الخير والشر في مراة
العقل اذا لم يصدها الهوي وقال الشعبي اذا اراد الله
ان يزيل نعمة عن عبده كان اول ما يغير منه عقله شعر
واذا اراد الله رحلة نعمة عن دار قوم اخطاوا التدبيرا
وروي عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال ما من رجل اذا
اصبح الا اجتمع هواه وعقله فان كان تابعا هواه لعقله فيومه
يوم صالح وان كان عقله تابعا هواه فيومه يوم شر الراي
نائم والهوي يقظان فمن هنا يغلب غالبا وقال ارسطو انما
غلبت الشهوات علي الراي في اكثر الناس لان الشهوة معهم
من لدن الصبا والراي انما ياتي عند تكاملهم فانسهم
الشهوة لقدم الصحبة من اراد النجاة فعليه ترك الشهوات
وقال حكيم العقل ملك والخصال رعيته فاذا ضعف عن
القيام عليها وصل الخلل اليها خير المواهب العقل
وشر المصائب الجهل والحكمة حالة للنفس بها تدرك
الصواب من الخطا في جميع الافعال الاختيارية حقيقة
لا تقديرا فوض الحق تحسين الاخلاق الي اجتهاد
العبد وتشميره وسهل تهذيب الطباع بتوفيقه

وتيسيره قال الله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها
وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وما هذا
من قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم اي اشاكلكم فانه من الادب
مع الله الا من عينه الله بتعريفه واعلامه كالانبياء عليهم
السلام وقوله تعالى قد افلح من زكيها فان بذلك تحلية
النفس وتطهيرها من مذام الاخلاق واتيان مكارمها
العقل صفاء النفس والجهل كدرها جمع الاصل والفرع
من تبع العقل والشرع الشرع حاكم علي العقل ابدا ولا
يدخل الانسان تحت خطاب الشرع الا بوجود العقل ولا
يتبين الشرع الا بالعقل العقل كالسراج والشرع كالزيت الذي
يمده ويهدي به قال الله تعالى نور علي نور يهدي الله لنوره من
يشاء فجعله نور واحدا والهداية من اثار التوفيق وقال
الحسن البصري ان الله جعل لعباده عقولا عاقبهم بها علي
معصيته واثابهم بها علي طاعته فالناس بين محسن بنعمة
الله عليه ومسيء بخذلان الله اياه ولله النعمة علي المحسن
والحجة علي المسيء فما اولي من تمت عليه النعمة في نفسه و
ري العبرة في غيره واما من صرف عقله الي المكر والدها
فهو ملوم وعقله مذموم شعر
من لم يكن اكبر عقله اهلكه اكبر ما فيه

اصل

١٣

احمق من عدا الاسد بزبر
الصدر لا العقل

اصل الفتي يخفي ولكنه بفعله يظهر خافيه
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من كل شيء يحفظ الا
حمق الا من نفسه وقال لقمان الحمق داء دواؤه الموت شعر
لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة اعيت من يداويها

اخر

وعلاج الابدان ايسر خطبا حين تعتل من علاج العقول
روي ان عيسي عليه السلام كان يقول ما عجزت عن احياء
الموتي وعجزت عن معالجة الاحمق وذلك انه يجهل ويجهل
انه يجهل قال ابو الطيب وان عناء ان تفهم جاهلا ويحسب
جهلا انه منك اعلم متي يبلغ البنيان يوما تمامه اذا كنت
تبنيه واخر يهدم شعر
اشد عيوب المرء جهل عيوبه ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل
مجاورة الاحمق خطر والبعد عنه ظفر قال سعيد ابن
عماد اني لا اجالس الاحمق ساعة فاتبين ذلك في عقلي العاقل
مرجو خيره علي كل حال والاحمق مخوف شره علي كل حال
واحسن احواله انه يريد ان ينفعك فيضرك لا يعلم ما
يقول ولا يفهم ما يقال من نصحه عاداه ومن غشه
والاه ما وافق هواه فهو مناه من سعادة المرء ان يكون
خصمه عاقلا ومن شقاوته ان يكون صديقه احمق شعر

اني لامن من عدو عاقل ۰ واخاف خلا يعتريه جنون ۰
فالعقل فن واحد وطريقه ۰ اهدي وارصد والجنون فنون ۰
وروي ان سفيان الثوري كان يقول اللهم اني اعوذ
بك من سفيه يوديني ۰ عداوة العاقل اقل ضررا من مودة
الجاهل ۰ قال ارسطو صديق الجاهل مغرور ۰ لان الجاهل
يجني علي نفسه وهي احب النفوس اليه ۰ من جهل قدره هتك
ستره ۰ ومن صبر مع الاحمق فهو مثله ۰ شعر
ان اللبيب من العدي في بغضه ۰ احني عليك من الصديق الاحمق ۰

اخر

لا تياسن من اللبيب وان جفا ۰ واصرم حبالك من حبال الاحمق ۰
فعداوة من عاقل متجمل ۰ اولي واسلم من صداقة احمق ۰

اخر

وما سبقت من جاهل قط نعمة ۰ الي احد الا اضر بها الجهل ۰
العاقل قوله سديد ۰ وفعله حميد ۰ والجاهل قوله سقيم
وفعله ذميم ۰ وفي الخبر الاحمق ابغض خلق الله اليه ۰ اذ
حرمه اعز الاشياء عليه ۰ ومن علامات الحمق الغضب في
غير شيء والكلام في غير نفع ۰ وسرعة الجواب قبل تمام
الخطاب ۰ وافشاء السر مع تطلب كتمانه ۰ وتصديق المحال
والثقة بكل احد ۰ ودوام الغفلة ۰ ومن عاب الناس بما

هو

هو مقيم عليه فذاك الاحمق بعينه ۰ يعني من عير الناس بشيء
ورضيه لنفسه فقد اعرب عن فرط حماقته ۰ وجاء في الخبر
الحزم سوء الظن ۰ وان سوء ظن الانسان بنفسه اولي
من سوء الظن بغيره بل هو عالم بنفسه ليس علي بصيرة ۰
من غيره وانما عبرنا بسوء الظن لتناسب الكلام ۰ وهو اي
سوء الظن اقوي باعث لقلة الثقة بكل احد شعر
العجز ذل وما بالحزم من ضرر ۰ واحزم الحزم سوء الظن بالناس ۰
لا تترك الحزم في شيء تحاوله ۰ فان سلمت فما بالحزم من باس ۰
اخر
اعمل صوابا تنل بالحزم ماثرة ۰ فلم يذم لاهل العقل تدبير ۰
وان عملت علي جهل وفزت به ۰ قالوا جهول اعانته المقادير ۰
الحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة وراس الحزم حفظ
السر واصل الحزم سوء الظن ۰ ويقال من ترك حزمه اعان
خصمه ۰ والحازم من حفظ ما في يده ولم يكل شغل
يومه لغده ۰ ومن لم يقدمه حزم اخره عجز ۰ وليس للمرء ان
يفرح بحالة جليلة نالها بغير عقل ۰ او منزلة رفيعة
حلها بغير فضل فان الجهل يحطه الي رتبته ۰ ويرده
الي قيمته بعد ان تظهر عيوبه وتكثر ذنوبه ۰ وقال
لقمان لا تدلن بحالة بلغتها بغير الة ۰ ولا تفخرن بمرتبة
رقيتها بغير منقبة ۰ فما بناه الاتفاق ۰ هدمه الاستحقاق

وقال بعض الحكماء الحي الجاهل موجود مفقود ◦ والعالم الميت
مفقود موجود ◦ وقال ابو الدرداء رضي الله عنه العلماء باقون
ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة ◦ واثارهم في القلوب موجوده ◦

شعر

فما مات من حي واصل ◦ وما غاب من ذكره حاضر ◦
هذب النفس بالعلوم لترقى ◦ وترى الكل فهي للكل بيت ◦ اخر
انما النفس كالزجاجة والعقل ◦ سراج وحكمة الله زيت ◦
فاذا اشرقت فانك حي ◦ واذا اظلمت فانك ميت ◦
ولم ار من عدم اضر على الفتى ◦ اذا عاش بين الناس من عدم العقل ◦ اخر
وقيل في خبر اكثر اهل الجنة البله ◦ ان طالب الجنة والرضا
بها بلاهة ◦ كما قيل في حق الدنيا والاخرة وهما حرامان
على اهل الله ◦ شعر
ما هذه الاطلال لولا انتم ◦ ما هذه العمران لولا عامر ◦
قال الله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في
جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ◦
فقوله تعالى ورضوان من الله اكبر بعد وصفه نعيم الجنة
اي رضوان الله عنهم فيها اكبر من النعيم الذي هم فيه ◦
فصل وما قيل في العقل روي ان الحسن

البصري

البصري كان يقول لو كان للناس كلهم عقول لخربت الدنيا
وقال غيره لو كان الناس كلهم عقلا لما اكلتم الرطب ◦ ولا
انتفعتم بالماء البارد لان العاقل لم يقدم على صعود النخيل
ولا على حفر الابار ◦ ومن هذا في الوجود كثير ◦ لو كان العقل
تسعة اجزاء احتاج الى جزء من الحمق ليقدم في الامور فان
العاقل متوان متوقف متخوف ◦ وقد جاء في الحديث المؤمن
وقاف والمنافق وثاب ◦ وقال علي رضي الله عنه ان في الرجل
حمقة يعيش بها ◦ وقال وهب بن منبه خلق الانسان احمق
ولولا حمقه لما هناه العيش ◦ ولا كان يقدر على الطيش ◦ و
قال ابن المعتز العاقل يرى مساوي الدنيا في مرآة عقله فلا
يزال في صحوه مهموما متعذر السرور ◦ وقد قيل قدما
من كان عاقلا لم يسر الا غافلا شعر
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ◦ واخو الجهالة في الشقاوة ينعم ◦
العاقل لا يدعه ما ستر الله من عيوبه يفرح بما اظهر من محاسنه
والعاقل لا يساكن شهوة الطبع لعلمه بزوالها والجاهل يظن
بقاءها فهذا يشقى بعقله وهذا ينعم بجهله ◦ ومن كان عاقلا
كانت حسنته كبيرة وسيئته ليست صغيرة لانه خالف الامر
على بصيرة ◦ اقل الناس عذرا في ارتكاب القبيح من عرف قبحه
الجاهل اوسع من العاقل عذرا ◦ واخلاهم الهم صدرا واذا عمل

حسنة لا يذوق حلاوتها ولا يروق له طلاوتها الا انه اذا
عمل سيئة لم تكن جراة على الله لانه جاهل بالله فلهذا يخفف
عن الجاهل ما لا يخفف عن العالم • ويقال زلة العاقل مضروب
بها الطبل وزلة الجاهل يخفيها الجهل العاقل اذا زل قل
عذره • وقال الحكيم العقل جوهر والغضب يزيله • والدين جوهر
والحسد يزيله • والحياء جوهر والطمع يزيله • ويقال من زيد في
عقله نقص من رزقه • كانه فيما قدر له محسوب عليه هذا وربما
اخطأ الحازم رشده واصاب العاجز قصده **شعر**
وقد تحكم الايام من كان جاهلا • ويردي الهوى ذا العقل وهو لبيب •
ويحمد في الامر الفتى وهو مخطئ • ويعذل في الاحسان وهو مصيب •
جبلت الخليقة على امور عجيبة فالرجل المنقوص ينفر من
الرجل الفاضل والاحمق يكره العاقل ويعيبه **شعر**
وليس لامر دنيانا حساب • ولا بتم التعقل فيه داب •
فعش في جد احمق ساعدته • حظوظ قد يخالفها الصواب •
حكي ان الاسكندر سال من امه ان تدعو له فقالت رزقك
الله حظا يخدمك به ذوو العقول لا عقلا تخدم به
ذوي الحظوظ • وفي الامثال اسع بجدك لا بكدك الجد
اجدى والكد اكدى • وقال الحكيم العاقل خادم الاحمق
ابدا قيل له وكيف ذلك قال ان كان فوقه لم يجد من مداراته

بدا وان كان دونه لم يجد من احتماله بدا ويقال انه استاذن •
العقل على الحظ فلم ياذن له وقال انك تحتاج الي ولا احتاج
اليك **شعر** اخلقا
وللدهر ايام فكن في لباسها • كلبسته يوما اجد
وكن اكيس الكيسا اذا كنت فيهم • وان كنت في الحمقا فكن احمقا الحمقا •
وقال سقراط السبب الذي ادرك العاجز به حاجته • هو الذي
اقعد الحازم عن طلبته • يعني الحظ وقيل للحكيم ما جهد
البلا قال عاقل يجري عليه حكم جاهل • **شعر**
ذو العقل لا يسلم من جاهل • يسومه ظلما واعناتا •
فليختر السلم على حربه • وليلزم الانصات ان صاتا • اي صوتا
وقال علي رضي الله عنه • **شعر**
للناس حرص على الدنيا وقد قسمت • والصفو ممتزج منها بتكدير •
لم يرزقوها بعقل عندما رزقوا • لكنهم رزقوها بالمقادير •
روي ان موسى عليه السلام • قال ان الله رزق الاحمق ليعلم
العاقل انه ليس له من الامر شيء • وروي ان سفيان الثوري
كان يقول ياتي على الناس زمان لا ينجو فيه الا من تحامق • و
ذلك انه يقال في اخر الزمان تقل عقول الناس • فان عاشرهم
العاقل بما يقتضيه العقل السليم • مقتوه وسعوا في اذاه
لتركه ما هم عليه وسلوكه طريق الصواب • وقصوره عن
درجته فينكر عليه ويعاب ولقد طال الامد • وبعد

العميد واستولت محبة الدنيا علي العقول شعر
تحامق مع الحمقا اذا ما لقيتهم ٭ ولا تلقهم بالعقل ان كنت ذا عقل ٭
فاني رايت المرء يشقي بعقله ٭ كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل ٭
اخر قد كسد العقل واصحابه ٭ وفتحت للحمق ابوابه ٭
فاستعمل الحمق وكن ذاغبي ٭ فقد مضي العقل وطلابه ٭
وقال بعضهم ٭ رايت العقل لا يغني فتيلا ٭ اذا ما البيت اعوزه الدقيق ٭
وقال بعضهم ٭ يا عاذلي لا تلم اخا حمق ٭ يعيش منه والحمق الوان ٭
حمقت نفسي لكي انال هنا ٭ ذو العقل في ذا الزمان تعبان ٭
ولما عزل عمر زيادا عن كتابة ابي موسي الاشعري في بعض
قدماته قال زياد اعن عجز ام عن خيانة يا امير المؤمنين ٭ قال
لا عن واحدة منهما ولكن اكره ان احمل علي الناس فضل
عقلك فجنحت الي عزلك وكان من دعاء السلف ٭ اللهم اني
اعوذ بك من طول الغفلة ٭ وافراط الفطنة ٭ ورب فطنة
ادت الي فتنة ورب ذكي احرقه نار ذكائه شعر
رايت العقل ينفع وهو قصد ٭ ويلقي في المهالك اذ يزيد ٭
كمثل الماء يروي منه قدر ٭ ويقتل منه بالغرق المزيد ٭
ومثل الدرع ان خفت اخنت ٭ وان ثقلت فصاحبها جهيد ٭
ومن زعم ان العقل المكتسب اذا زاد لا يكون فضيلة يقول
ان الفضائل هيئة متوسطة وما جاوز المتوسط خرج
عن حد الفضيلة كما ان الكرم بين البخل والتبذير ٭

والشجاعة

والشجاعة بين التهور والجبن ٭ قالت الحكماء للاسكندر عليك
بالاعتدال في كل الامور ٭ فان الزيادة عيب والنقصان
عجز وخير الامور اوساطها اليه يرجع العالي ٭ ومنه يلحق
التالي ٭ والعقل حجاب من حيث نظره الفكري لان القوة
المفكرة تداخلها الخيال والوهم فيشوشا علي العقل ٭ فلا
يدرك الاشياء كما هي ٭ ولذا ان العقلاء يعرفون مسئلة
من المسائل بنظرهم الفكري ٭ ويقرون عليها زمانا طويلا ٭
ثم يبدو لهم خلافها فيرجعون بعد سنين وحينئذ الا
عتماد علي اشتغال العقل بالنظر الفكري حجاب يحجب القلب
عن مصيره خاليا عن الاوهام الباطلة لينكشف له الامر
علي ما هو عليه ٭ والعقل له جهتان في الادراك احدهما
الفكر والنظر والاخر الكشف بالتصفية ٭ وادراك العقل
بطريق الكشف اتم وابعد عن الخطاء ٭ ولا يكون ذلك الا
بقوة التصفية واتباع الانبياء وتقليده اياهم حتي يتجلي
الامر ٭ ويسلم عقله من الكدورات ويدرك الامر كما هو
عليه ٭ لان الانبياء مؤيدون من عند الله يعرفون طريق الحق
فالنظر الفكري الخالي من التصفية حجاب ٭ وغواية اياك
والاعتماد علي سوانح العقول ٭ ان لم يكن تعتضدها
بلوائح المنقول ٭ وقال حكيم العقل نار والعلم نور فمن

تبع العقل يحرق ومن اقتدي بالعلم يهتدي واما ضعف
الفكرة في العلوم لا يقال له حمق بل بلادة وكذلك في جميع
الاشياء العملية وان اخلاق النفس تابعة لمزاج البدن فمتي
كان البدن معتدلا بين الجوع والشبع والنوم واليقظة
كانت النفس نشيطة راغبة في الخيرات ومتي حصل افراط
وتفريط كانت النفس منحرفة بحسبه ولهذا اشار النبي صلي
الله عليه وسلم بقوله انا انام واقوم واصوم وافطر الحديث
وروي ان الاحنف كان يقول اكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم
النار والعار وان عمر كان جالسا فجاء رجل وتكلم بكلام فيه
غلظة فقام شاب فمسك الرجل وضرب به الارض فقال
عمر ذل من ليس في قومه سفيه شعر
صاحب اخا الشر لتسطو به يوما علي بعض صروف الزمان
فالرمح لا يرهب انبوبه الا اذا ركب فيه السنان
قال الامام الشافعي لا بد للفقيه من سفيه يناضل
عنه ويحمي عليه شعر
ومن يحلم وليس له سفيه يلاقي المعضلات من الرجال
ومن الرجال معالم ومجاهل ومن النجوم غوامض ودراري
ولربما اعتضد الحليم بجاهل لا خير في اليمني بغير يسار
وقال زين العابدين رضي الله عنه ضل من ليس له حكيم

يرشده

يرشده وذل من ليس له سفيه يعضده وذكرهم جعفر الصادق
رضي الله عنه فقال يطفئون الحريق ويستنقذون
الغريق ويسدون البثوق وما قل سفهاء قوم الا ذلوا
تهدي الامور باهل الراي ما صلحت وان تولت فبالاشرار تنقاد
لا يصلح الراي قوم لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا
وقال علي رضي الله عنه العقل قائد الخير وهو عقال الرجال
فكم بين الطليق والعاني واين المعقول من الشارد وسمع رجلا
يقرء هل اتي علي الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
فقال ليت ذلك تم ما استخبر العقل احدا الا اهتم وقيل لسقراط
ما الشيء الذي لا يستغني عنه قال التوفيق قيل له ولم لا تقل
العقل قال العقل بما هو عقل لا يجدي عاجلا واجلا دون
التوفيق الذي به يهتدي الي ثمرة العقل وينال الانتفاع
به شعر اي عقول لو عملنا بها لكنها تذهب بالباطل
ما اشبه العاقل منا بمن يجهل والجاهل بالعاقل
وقال بعض الحكماء العقل متقبل للعلم لا يعمل في شيء غير
ذلك فمن حمل منه ضر وما استعمل نفع والدليل
علي ان العقل انما يعمل في تقبل الاكوان والسمع في تقبل
الاصوات ان العاقل اذا لم تعلمه شيئا كان كمن لا عقل
له لان العقل حاسة كالحواس وقد خص الله كل حاسة

بشي لا يصلح الا لها ولا ياتي الا بها وكل حاسة لا تدرك ما لم
يجعل لها سبيلا الي ادراكه وما خص الله العقل من الادراك
التميز المتوصل الي ادراك معاني المتكلمين بحسب ما ورد
السمع به فلا يدرك العلم وغيره من ناحية العقل ولا يعلم
الا بالسمع والنظر وما اضيف شي الي شي احسن من علم
الي عقل وهذا حكم من اراد الله هدايته وتكاملت فيه
خلال الخير وكفي بترك العلم اضاعة للعقل

باب في مدح العلم

قال الله تعالي هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
روي عن الحسن البصري انه قال ليس المراد منه نفي الاستوا
فقط لانه معلوم بغير شبهة بل المراد التذكير ما بينهما
من التفاوت العظيم والبون البعيد ليانف الجاهل من
صفة الجهل ويرتفع الي شرف العلم ثم قال تعالي انما يتذكر اولوا
الالباب يعني ان هذا التفاوت الحاصل بين العلماء والجهال
لا يعرفه الا اصحاب العقول فامتاز العالم عن غيره لما خصه الله
من فضيلة العلم وحقق ذلك بقوله تعالي ورفعنا بعضكم
فوق بعض درجات وقال سبحانه يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات وقال سبحانه يرفع الله الذين
امنوا منكم وقال تعالي وتلك الامثال نضربها للناس

وما يعقلها الا العالمون فنفي ان يكون غير العالم يعقل منه
امرا او يفهم عنه زجرا وقال عز وجل انما يخشي الله من عباده
العلماء فمن كان اعلم به كان اخشي منه اذ من شرط الخشية
معرفة المخشي وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ما
انزل الله من اية الا ويحب ان يعلم عباده معناها وشواهد
فضل العلم من القران العظيم كثيرة منها قوله تعالي شهد
الله انه لا اله الا هو والمليكة واولوا العلم قائما بالقسط لا
اله الا هو العزيز الحكيم فبدأ بنفسه وثني بملائكته وثلث
باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلالة وقدرا
وعلم نبيه صلي الله عليه وسلم كيف يستنزل رحمته من
خزائنه بقوله تعالي وقل رب زدني علما فلو كان في خزائن الله
اشرف من العلم لنبهه عليه وقال صلي الله عليه وسلم تعلموا
العلم فان تعلمه حسنة وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح
والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله
قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة وهو الانس
في الوحدة والمحدث في الخلوة والدليل علي السراء والمعين
علي الضراء والزين عند الاخلاء والصاحب للغرباء والسلاح
علي الاعداء يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة وفي
الهدي ائمة ادلة علي الخير وفيه تقتص اثارهم ويهتدي

وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي خلف جنازة فقال
ابعة من حضر هذا الميت كان رجلا صالحا فقال النبي عليه
الصلوة والسلام وجبت فقيل يا رسول الله وما الذي وجبت
قال وجبت مغفرته وكرم الله تعالى لان المؤمنين شهود الله
على وحدانيته فلو لم يقبل شهادتهم ههنا صارت
شهادتهم في الوحدانية غير مقبولة
وهو حكيم لا يفعل هذا

بافعالهم ويتنهي الي ارائهم ترغب الملئكة في خلتهم باجنحتها تمسحهم
كل رطب ويابس لهم يستغفر حتي حيتان البحر وهوامه وسباع
البر وانعامه والسماء ونجومها والارض وخزانها لان العلم حياة
القلب من الجهل ونور الابصار ومصابيحها في الظلم وقوة الابدان من
الضعف به يبلغ العبد منازل الابرار في الدرجات العلي ومجالسة
الملوك في الدنيا ومرافقة الاخيار في الاخرة والفكر فيه يعدل
الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبه توصل الارحام وتفصل
الاحكام وبه يعرف الله ويوحد ويطاع ويعبد وهو امام
العقل وقائده يرزقه الله السعداء ويحرمه الاشقياء واستغفار
ما في السموات والارض لاهل العلم اذ ما من شيء في العالم الا
وللعالم عليه حق اما اهل السماء فانهم عرفوا بتعريفهم
وعظموا بتعظيمهم واما اهل الارض فبقاهم وصلاحهم
مربوط بفتواهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وانما
خص الحيتان بالذكر لانها غير داخلة في جملة من في السموات
والارض اذ هي في الماء الهم الله الحيتان وغيرها من انواع
الحيوان الاستغفار للعلماء شكرا لما عليها من الحق ولاخلاف
في ان طريق العلم طريق الي الجنة بل هي اوضح الطرق اليها
وقال بزرجمهر ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم
واي شيء فاته من ادرك العلم وسئل ابن المبارك من الناس

قال العلماء قيل من الملوك قال الزهاد ارض من الدنيا بالدون
مع العلم ولا ترض بالدون من العلم مع الدنيا قال الله تعالي قل
لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله
يا اولي الالباب لعلكم تفلحون وجاء في الحديث خير الدنيا و
الاخرة مع العلم وشر الدنيا والاخرة مع الجهل شعر
العلم زين وتشريف لصاحبه فاطلب هديت فنون العلم والادبا
العلم كنز وذخر لا نفاد له نعم القرين اذا ما عاقل صحبا
اضحي عزيزا عظيم القدر مشتهرا في كل منزلة قد حل محتجبا
لا خير فيمن له اصل بلا ادب نال المعالي والاموال والنشبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه لا تعدلن به درا ولا ذهبا
فاشدد يديك به تحمد مغبته به تنال الغني والدين والحسبا
وجامع العلم مغبوط به ابدا فلا يحاذر منه الفوت والسلبا
تعلم العلم ليسددك صغيرا ويسودك كبيرا يصلح فاسدك و
يرغم حاسدك قال السبكي مجامع السعادة ستة اشياء
الدين والعلم والادب وحسن السمعة والتودد الي الناس
وترك ما لا يعني وقال لقمان العلم قوة جاذبة الي الخير
ووسيلة الي كل فضيلة العلم بصر وخلافه عمي ما احسن
الايمان بزينة العلم واحسن العلم بزينة العمل واحسن
العمل بزينة الرفق واحسن الرفق بزينة الاخلاص وما

الخلاص الا بالاخلاص العلم شفيع اذا استعمل وخصيم اذا ضيع
شعر فلم يحمدوا من عالم غير عامل ولم يحمدوا من عامل غير عالم
من عرف بالجهل فهو لكل قبيحة اهل يسيئ عمدا ويحسن غلطا
ولا يكون العالم عاملا حتي يكون فيه عشر خصال لا يكون الكبر
فيه مامونا والرشد والصلاح منه مامولا وعلمه مبذولا
يصبب من الدنيا القوت التواضع احب اليه من الشرف والمسكنة
احب اليه من العز لا يسام من طلب الفضائل ولا يتبرم من طلب
المسائل يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثيره من
نفسه وهذه الخصال تشيد مجده وتكبت ضده وتعلي
قدره وتشيع ذكره العلم نور للقلب وضياء للبصيرة ومعني
النور الاشراق والابصار ظاهرا والهداية الي المقصود باطنا
ومفهوم النور النفور عن السؤ فقولهم نار النور وانار معنا
نفر الظلام عما اناره وابعده عنه ومن ذلك سميت النار نارا
لاضائتها ما حولها فتطرد الظلام عما هنالك ونور العلم
تباعد وطرد ظلمة الجهل عن باطن العبد وكان انشراحها
وانفساحا فاتسع العلم وظهر اليقين ونزلت المعونة وكان
النشاط في النفس والجوارح وخفت المؤنة بالطاعة و
كان العمل الوارد عن سنن الاخلاص ونور العلم يهدي
به البصائر الباطنة الي طريق المعارف الباطنة ويخلف

الحلم والتواضع وهيئة الخشوع والصبر والقناعة والتوكل ومحاسن
الاخلاق كلها والخير كله لانه جماع معني الهداية والارشاد
والتسديد والتوفيق والمعونة والتبيين وكل سبيل يؤدي
الي مقصود ظاهرا وباطنا من الخير ودليل يبلغ الي مطلوب كريم
فهو عن نور العلم كما ان النور الظاهر كيفية تدركها الباصرة
اولا وبواسطتها سائر المبصرات ونور العلم يهدي العبد الي
معرفة نور النور ومنور الانوار كلها ظاهرا وباطنا ومنور القلوب
والصدور بالايمان والاسلام بما نصب علي معرفته من الدلائل
وحقائق الشواهد ويهدي الي عبادته والتوجه اليه
والذي يتوصل العبد به الي معرفة ذلك ويصل اليه هو
صقلة القلب من جميع ما تراكم عليه من ظلمة الجهل والذنوب
بغاسول الندم والتوبة والعزم علي ترك المناهي كلها ثم العمل
بما يرضي الرب والوصول الي كرامته بالتقوي والطهور من كل
دنس من ذمائم الاخلاق وظهور محاسنها فيه تنال النور
في قلبك وجوارحك فيقوي صدقك ويتحقق ايمانك ويتجلي
يقينك ويحتوشك النور ظاهرا وباطنا من قبل العطايا و
المواهب من خزائن رحمة الله وكرامته قال الله تعالي يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته
ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم فجعل النور والرحمة

والمغفرة ثمنا للتقوي والايمان وذكر قوما يلازمهم هذا
النور ويلازمونه ووصفهم بانهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه
القلوب والابصار وجعل التقوي والخوف والعمل الصالح
اصلا لملازمة النور واكتسابه فعلي قدر التقوي يكون الطهارة
من الادناس والارجاس وعلي قدر ذلك يقتبس النور في تجر
القلب حتي يمتلي نورا ثم تضيء الجوارح فتبصر بالنور وتسمع و
تعمل وتتكلم به وتقدم وتوخر وتمشي وتقعد وتقوم و
تحيي وتموت وتبعث بالنور وعلي قدر الصدق تكون المعونة
فاذا حصلت الطهارة والكرامة والتفرغ للنظر والتدبر والتفكر
والتذكر ولم يشغلك ظاهر العلم عن باطنه ولم تسجن بعلم اللسان
ولا اثرته علي علم القلب بل اذا سمعت العلم بحثت بفهمك
الي باطنه وتطلب المراد به اتصل بك الحبل واستبان لك
السبيل بقدر الالتجاء الي الله وطلب المعونة منه والتبري اليه
من الحول والقوة ومن اتقي وتطهر كثيرا ما تيسر لذلك
باجناس من الفهم وغرائب من العلم بالله فيحمد الله ويشكره
علي ما حل به فرحا مسرورا متنعما بما وصل اليه العلم نور من انوار
الله يقذفه في قلب من اراده من عباده قال تعالي اومن
كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس

اي

اي ضالا فهديناه من جعل الشيء حيا الهداية التي هي الدلالة علي
ما يوصل الي المطلوب وهو العلم وهو معني قائم بنفس العبد
يطلعه علي حقائق الاشياء وهو للبصيرة كنور الشمس للبصر بل
اتم واشرف وجاء في حديث روته عائشة رضي الله عنها اذا استرذل
الله عبدا حظر عليه العلم والادب قال بعض العلماء سلب علم
ابليس منه لما امر بالسجود لما سبق من شقاوته ولولا ذلك
لكان اول من سجد وقال سفيان الثوري العلم الذي لم يقترن
بالتقوي فهو باب من الدنيا وقال مرة العلم كله دنيا والاخرة
منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وجاء في الحديث
من تعلم العلم ولم يصب منه نائلا الا زاده الله في نفسه خشية
وفي الدين فضلا وفي الناس تواضعا فذلك الذي ينتفع بالعلم
وسئل الامام احمد ابن حنبل عن حديث اشد الناس عذابا يوم
القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه فقال هو العالم الذي قصد
من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الي الجاه والمنزلة عند اهلها
فهذا هو العالم الذي لم ينفعه الله بعلمه وجاء في الحديث من
ازداد علما ولم يزدد هدي لم يزدد من الله الا بعدا وقال بعض
الحكماء بالادب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال
الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا و
بترك الدنيا يرغب في الاخرة وبالرغبة في الاخرة تنال الرتبة

عندالله، وقال بعضهم طلبنا العلم للدنيا فدلنا علي تركها والزهد ان تترك الدنيا ثم لاتبالي من اخذها، وقال ابن المبارك، شعر

لينفع العلم قبل الموت صاحبه، قد سال قوم بها الرجعي فما رجعوا،

وقال الشيخ ابن عباد العلم النافع هو الذي يستعان به علي طاعة الله ويلزمك المخالفة من الله والوقوف علي حدود الله، وهو علم المعرفة ويشمل العلم بما امر الله اذا كان تعلمه لله، ومن خلا من العلم نزل عن رتبة الانعام الي انزل مقام، وقد قلنا ان في تفسير قوله تعالي بل هم اضل انما كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درج الملئكة فتركها للعجز واما الانسان ففي قوته ذلك والقادر علي نيل الكمال احري بالذم بالنسبة الي الضلال مهما تباعد عن طلب الكمال، قال ابو الطيب، شعر

ولم ار في عيوب الناس عيبا، كنقص القادرين علي التمام،

واذا اراد الله بعبد سوءا سد عنه باب العمل وفتح عليه باب الكسل ومن تفقه في دين الله كفاه الله ما اهمه ورزقه من حيث لا يحتسب وكان العلماء يكتب بعضهم الي بعض بثلاث كلمات يتواصون بها من احسن سريرته احسن الله علانيته، ومن اصلح امر اخرته اصلح الله امر دنياه، ومن اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين الناس، وجاء في الحديث اعمل لوجه واحد

يكفك

يكفك الوجوه كلها قال الله تعالي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم، فحياة النفوس بمتابعة الرسول فيما يفعل ويقول، وفي حديث اخر عليكم بمجالسة العلماء واستماع كلام الحكماء فان الله يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة بماء المطر شعر

بالعلم تحيي نفوس قط ما علمت، من قبل ما الفرق بين الصدق والمين

العلم للنفس نور يستدل به، علي الحقائق مثل النور للعين،

قال المامون اشتهي ان اري زاهدا عالما وعالما حكيما ما اكثر العلوم وليس كلها بنافع، وما اكثر العلماء وليس كلهم بمرشد تسموا باحاسن الاسماء، ولقبوا القابا لم تنزل من السماء العمائم عالية والجماجم خالية، رب مفتون بحسن القول فيه ليس الزاهد من زهد في الدنيا، وقد اعرضت عنه وفرت منه ولم تمكنه من متاعها وضاقت عليه باتساعها فانه مضطر الي ذلك لظهور عسره ونفور يسره، انما الزاهد من اقبلت اليه وحشرت فوائدها لديه وحسنت له في ذاتها، وامكنته من لذاتها فزوي وجهه عنها، واثر الفرار منها لعلمه بحالها تحرزا من وبالها وتذكرا سرعة زوالها شعر

يطيب العيش ان تلقي حكيما، غذاه العلم والنظر المصيب،

فيكشف عنك حيرة كل جهل، وفضل العلم يعرفه الاديب،

[illegible]

الزهد ترك ما يشغل من الدنيا

سقام الحرص ليس له دواء • وداء الجهل قل له الطبيب •
وكفى الحكمة فضلا ان الجهل ضدها وخلافها وفي الخبر العلم
والظلم ينبتان في الامصار • والنعمة والجهل ينبتان في القرى فبركة
العلم يجر النعمة الى الامصار وبشوم الجهل يجر الظلم الى القرى • ولم
تتم الحكمة في احد حتى يكون مقدمًا في ثلاث مؤخرا عن ثلاث
مبرء من ثلاث مركبا في ثلاث مقدما في الحلم والفضل والمنطق •
مؤخرا عن الحدة والعجلة والاستبداد مبرء من الحسد والهوى
والكذب مركبا في الرفق والتصبر وحسن الصمت وحكمة
الانسان التي يستحق ان يسمى بها حكيما ثلاثة اقسام قسم
من باب الفكر وهو ان يتفكر ويتصور المعنى المطلوب • وهذا
يسمى علم المعرفة وقسم في جودة تعبير ما يتصوره رسما ولفظا
وقسم في جودة العمل وحراسته مما يفسده فاذا جمع العلم
بحقائق الاشياء والبلاغة في التعبير عنها والقدرة على العمل
بما علم فقد كملت عنده الحكمة واستحق ان يسمى حكيما • ومن
لم يكن حكيما لم يزل سقيما • والصدق قوام الحكمة من صدق
مقاله استقام حاله • ومن صدقت سريرته انفتحت بصيرته •
الصدق اكسير الرجال الصدق قليل في اهل الصلاح • وقال
رجل للجنيد اي العلم انفع قال ما دلك على الله وبعدك عن
نفسك • والعلم النافع ما دل صاحبه على التواضع ودوام

قوله والمنطق يعني البلاغة والفصاحة

المجاهدة

المجاهدة ورعاية السر • ومراقبة الظاهر • والخوف من الله والاعراض
عن الدنيا وعن طالبها والتقلل منها فان العالم اذا احب الدنيا
واهلها وجمع منها ما فوق الكفاية • يغفل عن الاخرة وعن طاعة
الله بقدر ذلك • قال الله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون • وكان الحسن رضي الله عنه يقول
والله ما طلب هذا العلم احد الا كان حظه منه • ما اراد به وكل
علم لا يورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق • والشفقة
عليهم ولا يحمله على حسن معاملة الله ودوام موافقته • وطلب
الحلال وحفظ الجوارح واداء الامانة ومخالفة النفس ومباينة
الشهوات فذلك العلم الذي لا ينفع • وجاء في الحديث التعوذ
من العلم الذي لا ينفع بقوله صلى الله عليه وسلم • اعوذ بك من علم
لا ينفع • وذلك تنبيها وتعليما للعلماء الذين هم كالمد وعين •
معهد رياق يتداولونه ولا يتناولونه • ومن عرف بالحكمة لا
حظته العيون بالوقار • والقلوب بالاستبشار • العلم قدره
كبير • وفضله كبير • به يتوصل الى الحقائق • ورضا الخالق • وهو
افضل نتائج العقل واعلاها واكرم فروعه وازكاها لا يضيع
صاحبه ولا يفتقر كاسبه • ولا يخيب طالبه • ولا تنحط مرتبته
المال يتلفه الزمان • والفضيلة لا تبلى بهجتها ابدا • وقد
شبه رسول الله العلماء بالنجوم • بقوله صلى الله عليه وسلم •

اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم • وجميعهم اخذوا
العلم عنه عليه الصلوة والسلام • والهدي يكون بالعلم
كمن اهتدي بالنجوم من مهالك البر والبحر في الدنيا كذلك يهتدي
بالعلم الي النجاة من مهالك الاخرة ويسعد به في الدارين شعر
اجل ما يبتغي مرء ويكتسب • ويقتني من حلي الدنيا وينتخب •
علم شريف عميم النفع قد رفعت • لحامليه بافاق العلا رتب •
ان عاش عاش حميدا ساميا ابدا • لا يستضام ولا ينسي فيجتنب •
وان يمت فثناء شائع حسن • وبعده رحمة ترتجي وترتقب •
وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ان الناس يبعثون علي ما
ماتوا عليه يبعث العالم عالما والجاهل جاهلا • وشرك معه
صلي الله عليه وسلم اتباعه بالبصيرة بقوله هذه سبيلي
ادعوا الي الله علي بصيرة انا ومن اتبعني ويحشرون يوم القيمة
مع الانبياء • قال الله تعالي وجيء بالنبيين والشهداء ثم
فسره فقال تعالي بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه
شهداء • وقال ابن المبارك صنفان من الناس اذا صلحا صلح
الناس واذا فسدا فسد الناس الملوك والعلماء • ولما كان
قيام الاسلام بطائفتي العلماء والامراء وكان الناس تبعا
لهم • وكان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين تكون
العناية الالهية والتائيد الالهي لهم اخص وبرعايتهما اتم واكثر •

منافع الناس منهما ومصالح احوالهم ومناظم اسبابهم
بهما • وفنون الفوائد والعوائد صادرة لهم عنهما حتي لو توهم
العالم خاليا من هاتين الطبقتين من الناس لخرب العالم • و
هلك الناس في اقرب مدة واسرع زمان في مغالبتهم وعدوان
بعضهم علي بعض فلهذا تكون عناية القوة الالهية بهاتين من
جميع الناس اقوي واتم • والمحافظة عليهما اكمل واشد لكثرة
الخيرات والصلاح الصادر عنهما فان قصد هذه القوة صلاح
هذا العالم وكان هاتان الفرقتان بمنزلة الخلفاء عن غيرهما
من الناس لطلب مصالحهم لهم واختلاف منافعهم اليهم
ودفع الفساد والشرور عنهم وهذا التائيد يحفظهما • و
يرشدهما ويبصرهما في الشدة اكثر مما لغيرهما • ومن كان منهم
اشرف واجل فقدره كذلك فلا بد من ان تكون العناية الحافظة
لهما بحسب منافعهما وجلالة قدرهما • ولو كان عالما حكيما •
عادلا خيرا كان في غاية القصوي من الكمال والشرف الانساني
وعناية هذه القوة الالهية به اكمل واتم • وقال بعض الحكماء
بقاء الدنيا بسيوف الامراء ولسان العلماء فعليك بطاعتهما
الا في معصية الله • ولولا السيف كثر الحيف • ومن عصي الحق
غمره الباطل • وجاء في الحديث قليل العلم • خير من كثير العبادة •
شعر وان قليل الحب بالعلم صالح • وان كثير الحب بالجهل فاسد •

بالجهل يحبط الكثير من العمل وبالعلم يزكوا العمل القليل ولذلك
فضل العلم علي العمل وفضل العالم علي العابد ومعني تفضيل
العلم يرجع الي ثلثة اوجه احدها ماذكرناه والثاني عموم
نفعه اذ قد يتعدي نفعه وفائدة العبادة لصاحبها
والثالث يراد به العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك افضل
من كل عمل بل مقصود الاعمال صرف القلوب عن الخلق الي
الخالق وليس يجهل فضل العلم الا اهل الجهل لان فضل
العلم لا يعرف الا بالعلم وهو ابلغ في فضله فلما عدم الجاهل
العلم الذي به يتوصلون الي فضل العلم جهلوا فضله
وتوهموا ان ما تميل نفوسهم اليه من الاموال المقتنات و
الطرق المشتهات اولي ان يكون اقبالهم عليها واحري ان
يكون اشتغالهم بها ان الله اعز العلماء اذ وضع علمه عندهم
العالم يعرف الجاهل والجاهل لا يعرف العالم لان العالم كان
جاهلا والجاهل لم يكن عالما ومن اداب العالم ان يترك فضول
الدنيا غاية الترك ليتبعه الناس لان الاستدلال بالفعل
اقوي من الاستدلال بالقول وهذه سنة الله ورسوله
في كل من يامر الناس بالخير ان يكون هو اولهم ومن ينهاهم
عن الشر ويخوفهم منه ان يكون هو اخوفهم وهل
يدل علي الطريق الا من سلكه ويصد عن الفسوق الا

من

من تركه كيف يامر بالمعروف من لا عرفه وينهي عن المنكر من اقترفه
الخائف يخاف من نفسه اكثر مما يخاف من الشيطان وكان
سفيان يقول الاعمال السيئة داء والعلماء دواء فاذا فسد
الدواء من يشفي الداء خمس علامات هن علامات علماء الاخرة
الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق والزهد في فضول
الدنيا فمن وجدت فيه هذه الخصال فهو من العلماء بالله
العالم مصباح فمن اراد الله به خيرا اقتبس منه والنور اذا
جعل في الصدر انشرح القلب بالعلم ونظر باليقين فنطق
اللسان في حقيقة البيان ومن وجد حقيقة العلم فقد
وجدها بعد نسيان الخلق وهذا سر قوله تعالي واذكر ربك
اذا نسيت وجاء في الحديث تعلموا اليقين وهذا امر
بمجالسة العلماء الموقنين لان اليقين لا يظهر بذاته وانما
يوجد عند الموقنين واليقين الاعتقاد الجازم وهو قوة
لقلب من قام به لاطمئنانه وعدم خوفه من غير الله وهذا
شامل لحق اليقين وعين اليقين والفرق بينهما مشهور في
التفاسير واذا اراد الله بعبد خيرا الهمه بذكره ووفقه
لشكره فالذي ظهر من هذا وتحصل ان العلم افضل
وان العمل اكمل وان التقوي هي السبب الاقوي ومبناها
علي الخشية فلولا الخشية ما حصل العمل ولولا العمل

ما حصلت التقوى • وحد الخشية ان تخشى الله حتى تحول خشيتك
بينك وبين معصيتك • واعلم ان العلم حيث ما تكرر في الكتاب
او في السنة انما المراد به العلم النافع الذي يقارنه الخشية •
قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء • بين ان الخشية تلازم
العلم وفهم من هذا ان العلماء انما هم اهل الخشية • قال
البيضاوي رحمه الله اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم
بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه • ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشاكم بالله واتقاكم له فقوله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء • فانما اراد العارفين به و
بصفاته وافعاله دون العارفين باحكامه • ولا يجوز حمل ذلك
على علماء الاحكام لان الغالب عليهم عدم الخشية وخبر الله
صدق • ولا يحمل الا على من عرفه وخشيه • وقد روي هذا
عن ابن عباس وهو ترجمان القران فاذا كان عالما بالله وباحكامه
فهذا من السعداء • وان كان من اهل الاحوال فهذا من افضل
العارفين • اذ قد حاز ما حازوه وفضل عليهم بمعرفة الاحكام
وتعليم اهل الاسلام • وقال عبادة ابن الصامت رضي الله عنه
اول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك ان تدخل مسجدا فلا ترى
فيه رجلا خاشعا لله • فسمي الخشوع علما وهو نتيجة الخشية
فمن انتبه من رقدة الغفلة • وتخلص من ورطة الفترة

واستيقظ

واستيقظ من سنة الجهالة فظهر له بنور النية في ظلمة غيب
النفس افات عيوبه • وقبح ذنوبه فاقلع في الحال • وندم على الماضي
وعزم على ان لا يعود في المستقبل وعلى المجاهدة بالصدق هدى
ظاهرا الى الاعمال الصالحة • وباطنا الى الاخلاق الفاضلة شعر

العلم صعب ليس يدركه الفتى • الا بتوفيق الاله وبسطه •
لكن للتوفيق شرطا لازما • وهو التقى ان التقى من شرطه •

قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله • وقال الشيخ ابن العربي
من اتقى الله كوشف بحقائق البيان فلا يقع له في الاشياء شك و
لا ريب فما زاد على العلم فبطريق القرب • واعمال المقربين • واني لاحسب
الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها قال بعضهم شعر

شكوت الى وكيع سوء حفظي • فارشدني الى ترك المعاصي •
فان الحفظ للانسان فضل • وفضل الله لا يعطى لعاصي •

ومما يعزى للامام ابي حنيفة • شعر

تمنيت ان تمسي فقيها مناظرا • بدون عناء والجنون فنون •
اذا كان كسب المال دون مشقة • محالا فكسب العلم كيف يكون •

وفي الحديث لا يتعلم العلم مستحيي ولا متكبر • وقالت الحكماء
الاستحياء من الحق باطل • ومن الخير شر • ومما ينفع ضرا انما هو
وهم يلقيه الشيطان لا تترك العلم حياء ولا تطلبه رياء • وجاء
في الحديث اذا اراد الله بعبد خيرا استعمله قبل موته • قيل

وما استعماله يا رسول الله قال يهديه الي العمل الصالح
قبل موته • وفي حديث اخر اذا اراد الله بعبد خيرا طهره
قبل موته قيل وما طهور العبد يا رسول الله قال عمل صالح •
يلهمه اياه حتي يقبضه عليه • وكان ابن مسعود رضي الله
عنه يقول المتقون سادة والعلماء قادة يعني ان المتقين
سادة الناس والعلماء ايمتهم يقتفون اثارهم • العالم
ينتفع بكلامه وبسكوته ويتادب بصمته وخشوعه وورعه
ويقتدي بتقيته كما يتادب بكلامه • روي انه قيل لعيسي
عليه السلام من نجالس • قال من يذكركم الله رؤيته ويزيدكم
في علمكم منطقه ويرغبكم في الاخرة عمله • وجاء في الحديث لا
تجلسوا عند كل عالم الا الذي يدعوكم من الخمس الي الخمس من
الشك الي اليقين ومن الكبر الي التواضع ومن العداوة الي النصيحة
ومن الريا الي الاخلاص • ومن الرغبة الي الرهبة • وقال علي رضي الله
عنه اوضع العلم ما وقف علي اللسان وارفعه ما ظهر علي
الجوارح والاركان اهل الغفلة والنفوس الدنية فهم
اقل من ان يذكروا بامر او نهي ومن نقص ادبه قل علمه شعر
يا من تقاعد عن مكارم خلقه • ليس التفاخر بالعلوم الزاخرة •
من لم يهذب علمه اخلاقه • لم ينتفع بعلومه في الاخرة •
وقال بعضهم • ما كل من ذوق لي قوله • ينفعني يا صاح رزقته •

من حقق الايمان في قلبه • لا بد ان يظهر تحقيقه • الفقيه من
ورع عن محارم الله والعالم من يخاف الله وقال الحواريون •
لعيسي عليه السلام • علمنا العلم الاكبر فقال لهم وما العلم
الاكبر الا ثلاثة اشياء الخوف والحياء من الله والرضا بقضاء
الله والخوف علي مراتب خوف وخشية وهيبة • فالخوف من شرط
الايمان • قال الله تعالي وخافون ان كنتم مؤمنين • والخشية
من شرط العلم • قال الله عز وجل انما يخشي الله من عباده العلماء •
والهيبة من شرط المعرفة • قال الله سبحانه ويحذركم الله نفسه
العلماء سراج الازمنة كل عالم • مصباح اهل زمانه يستضيء
به اهل عصره • وقد رفع الله بعض العلماء فوق بعضهم درجات •
واختص من يشاء منهم بمزايا وصفات • فاقدارهم مرتفعة بالصفات
دون الذوات • ومراتبهم بالعلم متفاوتة بحسب ما رزقوا من الثمرات •
فلا جرم منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
اما الظالم لنفسه فهو الذي لا يعمل بعلمه ولا يقف عند واجب
الشرع وحتمه فهو تابع هواه وبائع هداه • فينبغي ان لا يفوض
اليه امر ديني ليتولاه • فاذا لم ينصح نفسه فكيف ينصح سواه •
فان الاعمال الدينية هي مبدا الاهتداء الي طريق الحلال •
والحرام • فيما يعرض من الوقائع والاحكام • والقضايا بين
المتنازعين لفصل الخصام • مخافة اختلالها باتباع النفس

وضلالها فان تولي شيا من الاعمال فاسق او خاين او عاجز
فيكون من ولاه اثما يطالبه الله يوم القيمة بعهدته ويواخذه
بفعله لانه بفساد الحكام تبطل الاحكام والعجب ممن امده الله
منه باتفاق العلم ولقح عقله بدلالات الفهم كيف يتحير في ظلمة
الغفلة التي تحير فيها الجاهلون وركن الي الدنيا وتقلب حالاتها
وكثرة افاتها ولا ازادتهم الدنيا الا هوانا ولا ازادوها الا
اكراما فامن مستيقظ من وسنه يخلع وثيق الغل من عنقه
ويهتك جلباب الرين عن قلبه لا يوثر القليل الفاني علي الكثير
الباقي بل يبادر التفريط بالحزم والتسويف بالعزم وقد
وضح الطريق وبالله التوفيق ومن عمل بغير علم كان ما يفسده
اكثر مما يصلح العامل بغير علم كالسائر علي غير السبيل ومن
تكلم في شي لا يصل الي علمه كان كلامه فتنة لسامعه وليس
كل عالم متق شعر

قالوا فلان عالم فاضل ... فاكرموه مثل ما يرتضي
فقلت لما لم يكن ذا تقي ... تعارض المانع والمقتضي

وجاء في الحديث اتق الله تكن اعلم الناس ومن كان لسانه
منطلق بالدعوي وقلبه خال من التقوي الم يسمع قوله
تعالي ليسئل الصادقين عن صدقهم اترى اذا سال
الصادقين ايترك المدعيين مخالفة الارا اعظم

في

2

في الشدة من مقابلة الاعداء ومجانبة الاغراض غاية الامراض
ومن فاز بمخالفة نفسه سكن في حظيرة قدسه ينبغي للمرء ان
ينقض باليقين ما تبرم الشهوات ويسوس نفسه بان يقهرها
علي درك الخيرات الحكمة غذاء النفس وجمالها والمال غذاء
الجسم وجماله فمتي اجتمعا للانسان ترادفت عليه النعم وجاء
في الحديث اذا اراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين والهمه
رشده وزهده في الدنيا وبصره عيوبه وسئل برزجمهر
هل يقلب المال قلوب العلماء من الرجال قال من يقلب المال قلبه
فليس بعالم كثرة الذنوب تميت القلوب والمفاخرة تبعد
عن الاخرة وقال لقمان العلم ثمرة الانصاف والزهد نتيجة
العفاف وما هلكت امة الا باتباعها لاهوائها واما الفرق
بين الهوي والشهوة فهو ان الهوي مختص بالاراء والا
عتقاديات والشهوة تختص بنيل المستلذات فصارت
الشهوة من نتاج الهوي وهي اخص والهوي اعم ونحن نسل
الله ان يكفينا دواعي الهوي ويجنبنا سبل الردي ويجعل
التوفيق لنا قائدا والعلم لنا مرشدا العلم عصمة الملوك و
الوزراء ومعقل السلاطين والامراء يمنعهم عن الظلم
ويردهم الي الحلم ويصدهم عن الاذية ويعطفهم علي الرعية
فمن حقهم ان يعرفوا حقه وفضله ويعظموا اهله شعر

ان الذي ترك المكاسب واغتدي ، يتطلب الاداب حتي احكما
ثقة الاكرمين ذمامه ، واحق ملتمس بان لا يجبر ما ،
وما احري من كانت هذه خلته ان تسد خلته ، ان الله رفع
معالم الدين بالعلماء ، وجعلهم ورثة الانبياء ، اوضح طريق
الاسلام بانوار خواطرهم ، ونظم شتات الاحكام في سلك
ضمائرهم ، فهم الاعلام في نهاية الحادثات ، وهم المصابيح في
ليالي الواقعات ، قال لقمان اعم الاشياء نفعا موت الاشرار ،
واعم الاشياء ضررا موت العلماء ، وقال بعض الابدال ما
تكون محنة فاضل الا من جهة ناقص ، ولا بلوي عالم الا علي
يد جاهل ، فان الخشية خوف خاص لا يقوم الا من يعلم نتائج
الاعمال ، وثمرة الخشية فيمن قامت به عدم الاقدام علي كل فعل
يعلم ان نتيجته متي ظهرت له واتصلت به لا توافقه ولا ترضيه
فيقصد حسم مادة ما يتقي منه ويحذر مما عساه ان يقع
وبالجهل تنال الشهوات ، وبالغفلة ارتكاب الاعمال المنهي
عنها ويفوت الخير المامور به ، وكان ابن مسعود رضي الله
عنه يقول لا تزالون بخير ما اذا حاك في صدر احدكم شيئ
وجد من يخبره به ويشفيه منه شعر
ما احسن العلم والمحمود من عقلا ، واقبح الجهل والمذموم من جهلا ،
العلم اشرف شيئ ناله رجل ، من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا ،

والعلم

والعلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل ، وكان
تعليمه افادة للافضل وقد وصف الله سبحانه رسوله صلي الله
عليه وسلم بالتعليم ، فقال تعالي ويعلمهم الكتاب والحكمة وجاء في
الحديث العالم والمتعلم شريكان في الخير ، وقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه زينة العلم الحلم ، وزينة المتعلم التذلل ، شعر
اكرم طبيبك ان اردت دواءه ، وكذا المعلم ان اردت تعلما ،
ان المعلم والطبيب كليهما ، لا ينصحان اذا هما لم يكرما ،
فاصبر لدائك ان جفوت معالجا ، واقنع بجهلك ان جفوت معلما ،
حسن الخلق معاملة كل انسان بما يونسه ولا يوحشه فمع
العلماء بحسن الاستماع والافتقار ، ومع اهل المعرفة بالسكون
والانتظار ، ومع اهل المقامات بالتوجه والانكسار ، وقال
سهل التستري الظالم لنفسه الجاهل والمقتصد المتعلم ، و
السابق بالخيرات العالم ، علم علمك وتعلم علم غيرك فاذا انت
قد علمت ما جهلت وحفظت ما علمت واجعل مناظرة المتعلم
تنبيها لك علي ما ليس عندك ، ومن كلام الحكمة وعلي العالم ان
يعلم ما قد علم ، ويرفق بذوي الضعف في الذهن ولا يعنف
علي كليل الفهم ، كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ، وقال
بعض الحكماء زكوة العلم تعليمه ، ولا يدرك الكل الا بالجزء
وبقدر ما تطلب تعلم ، وبقدر ما تعلم تطلب ، قيل

لابن عباس اني لك هذا العلم ۰ قال قلب عقول ولسان سؤول ۰
ويقال سل مسئلة الحمقا ۰ واحفظ حفظ الكيسا ۰ وفي الامثال
الطلب تظفر ۰ وعن ابي ذر رضي الله عنه ۰ قال قال لي رسول
الله صلي الله عليه وسلم ۰ يا اباذر لان تغدو فتتعلم اية من
كتاب الله خير لك من ان تصلي مائة ركعة ۰ ولان تغدو فتتعلم
بابا من العلم تعمل به او لم تعمل خير لك من ان تصلي الف ركعة ۰
رواه ابن ماجة باسناد حسن ۰ لان تغدو اي لان تسير
قبل الزوال ۰ ومن هذا علم ان صلوة الجاهل لا تعدل اشياء
ولكل علم فضيلة والاحاطة بجميعها محال ۰ والعمر قليل فخذ
من العلم ما يبلغك قليله الي كثيره ۰ فاذا لم يكن الي معرفة
جميع العلم سبيل وجب صرفا لاهتمام الي اهمها ۰ والعناية
باولاها ۰ وهو علم الدين لان الناس بمعرفته يرشدون و
بجهله يضلون ۰ وقد لزم علي كل مكلف ۰ شعر
واذا طلبت العلم فاعلم انه ۰ حمل فانظر اي حمل تحمل ۰
واذا علمت بانه متفاضل ۰ فاشغل فوادك بالذي هو افضل ۰
قال بعض الحكماء لست اطلب العلم طمعا في بلوغ غايته ۰ و
الوقوف علي نهايته ۰ ولكن التماس ما لا يسع جهله ۰ وقد
يسمي الناس الشيء علما ۰ وليس بعلم ۰ وقال علي رضي الله عنه
خذ من كل علم احكمه ۰ ومن كل لفظ ابينه ۰ شعر

وقل

وقل لمن يدعي في العلم توسعة ۰ عرفت شيئا وغابت عنك اشياء ۰
تكثر من العلم لتعرف ۰ وتقلل منه لتحفظ ۰ قال ابراهيم الخواص
ليس العلم بكثرة الرواية ۰ انما العلم نور لمن اتبع العلم واستعمله
واقتدي بالسنن ۰ وان كان قليل العلم ۰ وقال لقمان كما ان
العمل بلا ايمان غير مفيد وان كثر كذا العلم بلا عمل غير مفيد و
ان كثر ۰ العالم من هذبك باخلاقه وادبك باطراقه ۰ وانار
بالحنك باشراقه ۰ من كان فيه ادني بدعة فاحذر مجالسته
لئلا يعود عليك شؤمها ولو بعد حين ۰ مخالطة البدع تميت
القلب والنظر الي الباطل يذهب بالحق خذ العلم عمن تراه
يعمل به ۰ وقال بعض الحكماء اذا جمع العالم ثلاثا تمت النعمة
علي المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق ۰ واذا جمع المتعلم
ثلاثا تمت النعمة علي العالم ۰ العقل والادب والفهم ۰
وان نشاط القائل علي قدر فهم المستمع قال الشيخ سعدي
رحمة الله عليه شعر
فهم سخن تا نكند مستمع ۰ قوت طبع از متكلم مجوي ۰
فسحت ميدان ارادت بيار ۰ تا بزند مرد سخن كوي كوي ۰
وروي عن انس رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال من علم علما فله اجر من عمل به ۰ لا ينقص من اجر العامل ۰
رواه ابن ماجه ۰ وعلي كل واحد من العالم والمتعلم ان يشتغل

بما هو اهم عليه مما هو مامور به ومسؤل عنه من مراقبة ربه
واصلاح نفسه وقلبه فله في ذلك شغل شاغل عما يفرق
همه ويقسي قلبه وينسيه ذكر ربه وكان الحسن رضي الله عنه
يقول اجعل نفسك في شغل قبل ان تشغلك فان شغلتها
بالحق والا شغلتك بالباطل وقد اخذ الله العهد علي العلما
ان يعلموا بقوله تعالي لتبيننه للناس ولا تكتمونه وامر الجهال
ان يسالوا فقال تعالي فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
السوال ابدا من حيث الشعور يكون والجواب من حيث العلم
فمن شعر سال ومن علم اجاب الشعور ينبئ عن الاجمال
والعلم ينبئ عن التفصيل وله الي كل مراة وجه والي كل وجه
مراة ومن اوتي الحكمة وفصل الخطاب ومكن عند السوال
من الجواب فيما سئل فيه فقد اوتي خيرا كثيرا وقد انجذ سول
الله صلي الله عليه وسلم علي من قبل العلم وعمل به وعلمه وذم
نقيض ذلك بقوله عليه الصلوة والسلام مثل ما بعثني الله
به من الهدي والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها
طائفة قبلت الماء فانبتت الكلاء والعشب الكثير وكان منها
اجارب امسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا منها وسقوا و
وزرعوا واصاب منها طائفة انما هي قيعان لا تمسك ماء
ولا تنبت كلاء فكذلك من فقه في دين الله ونفعه الله بما

بعثني

بعثني به تعلم وعمل وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا مثل القيعان
التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء وقال لقمان الرجل الذي يكتم
جهله خير من الرجل الذي يكتم حكمته وقال الله تعالي يا ايها
الذين امنوا كونوا انصار الله فقد يكون لما يعطي من العلم
المظهر للحق الدافع للباطل فهو جهاد معنوي محسوس فكونه
معنويا لان الباطن يقبله فان العلم متعلقه النفس واما كونه
محسوسا فما يتعلق به من العبارة باللسان او الكتابة فيحصل للسامع
او الناظر بطريق السمع من المتكلم او بطريق النظر من الكتابة وجهاد
العدو ونصرة محسوسة ما هي معنوية فانه ما نال العدو من المقاتل
لشي في باطنه يرده عن اعتقاده كما ان من العالم اذا علمه واصغي
اليه ووفقه الله للقبول وفتح عين فهمه لما يورده عليه العالم
اذا علمه وسمعه منه في تعليمه وهي اعظم نصرة وهو اعظم
انصاري لله لقول النبي صلي الله عليه وسلم لان يهدي الله
بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وقد طلعت الشمس علي
كل مقاتل بل وعلي كل عامل بخير فخير لك اذا نصرت بتعليم العلم
دين الله منهم وقال عمر رضي الله عنه من حدث بحديث فعمل
به فله اجر ذلك العمل وجاء في الحديث من ادي حديثا الي امتي
يقيم به سنة او يثلم به بدعة فله الجنة رواه ابن عباس و
ذكره ابو نعيم في الحلية وقال ابو الدرداء ما تصدق مومن

بصدقة احب الي الله من موعظة يعظ بها قوما فيتفرقون وقد نفعهم الله بها وقد ورد ان الله يثيب العاملين بما بلغهم الفضل علي السنة الناقلين ۰ وجاء في الحديث يا ابا جحيفة جالس الكبراء ۰ وخالل الحكماء وسائل العلماء ۰ فالكبراء تكبروا في كبرياء الله ومعرفته وعزوا بعز فرؤيتهم دواء ۰ وكلامهم شفاء المجالسة لهؤلاء والمخاللة للحكماء تخالله وتصير له ماما فيفضي اليك حكمته والمسائلة للعلماء تسألهم عن حلال الله وحرامه واحكامه من اراد وجه الله بطلب العلم نال الدنيا والاخرة ۰ ومن قصد الدنيا لم ينل منها الا المقدور ۰ وقال علماء التفسير في قوله تعالي وتعيها اذن واعية ۰ اذن عقلت عن الله امره ونهيه فوعته ۰ وعملت به كما وصف الله المؤمنين الذين اشتري انفسهم بقوله تعالي في تمام وصفهم والحافظون لحدود الله ۰ وهذا هو علم الهدي المقصود عند السلف ۰ وكان الصحابة والتابعون لهم باحسان ليشفقون من فقد ذلك ويخافون عدمه ويخبرون عن دفنه ۰ وقلته في اخر الزمان ۰ فلاجل معرفة الصحابة والتابعين بعز ذلك كانوا يبكون علي فقده العلم عمارة القلوب ۰ والعمل به كفارة الذنوب ۰ العلم افضل خلق والعمل به اكبر شرف من تمام العلم استعماله ۰ ومن تمام العمل استقلاله من استعمل علمه لم يخل من رشاد ۰ ومن استقل عمله لم يقصر عن مراد ۰

غرور المرء بعلمه جهالة وبعقله حماقة ۰ وبماله سفاهة وبطاعته عصيان وبجاهه طغيان وبكماله نقصان ۰ ووضع العبادات لانجذاب القلوب عن الفانيات الي الوجود الاعظم ۰ والباقي الاقدم ۰ ولا يكون الا بعمل خالص هو سبب توجيه القلب اليه بترك الاشتغال عما سواه وحقيقة الحسنات هي الكمالات الباطنة واعظم نعم الله علي عبده تعريفه اياه نفسه ۰ وقال الحكيم لا ارحم احدا كرحمتي لاحد رجلين ۰ رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب وقال بعضهم ۰ شعر

كن من اولي العلم وكن خاملا ۰ وارض بما قدره الخالق ۰
لان يقولوا عالم كاسد ۰ ولا يقولوا جاهل نافق ۰

وقالوا علي المعلم ان يتفقد احوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه الا لمن يتوسم فيه الخير والصلاح اذ بذلك يستقيم له النيات والمقاصد ۰ بذل العلم الي اهله طاعة ۰ والي غير اهله اضاعة ۰ وفي قوله تعالي ولا تؤتوا السفهاء اموالكم ۰ تنبيه علي ان صيانة العلم ممن يفسده ويستضر به اولي ۰ والعلم اصون شيء لنفسه ان يتصدي الا لعاشق له ۰ شعر

ومن حوي العلم ثم اودعه ۰ غير محب له فقد ظلمه ۰
فكان كالمبتني البناء اذا ۰ تم له ما اراده هدمه ۰

واما حق المعلم فقد روي ان الامام ابي حنيفة كان يقول

اني لادعو لحماد فابدء به قبل ابوي ٭ شعر
اري براستادي علي بر والدي ٭ وان كان من اهل المودة والشرف ٭
فهذا ابي الروح والروح جوهر ٭ وهذا ابي الجسم والجسم من صدف ٭
وقال الشيخ ابن عباد في التنبيه من اكرمك فانما اكرم فيك جميل
ستر الله لولا جميل ستره لم يكن عل اهلا للقبول ٭ فالحمد لمن سترك
ليس الحمد لمن اكرمك ٭ واعلم انه ليس لك الا ما انت له شعر
وان اخس النقص ان يدفع الفتي ٭ قذي النقص عنه بانتقاص الافاضل ٭
وما عبر الانسان عن فضل نفسه ٭ بمثل اعتراف الفضل في كل فاضل ٭
ومن احسن الفضائل الاحسان الي الافاضل فضل ومما قيل فيه
وجاء في الخبر لايزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم
فقد جهل وقال علي رضي الله عنه غاية العلم اعتراف بالجهل ٭
قال الامام الشافعي كلما اكملني العقل ٭ اراني نقص عقلي كلما
ازددت علما ٭ زادني علما بجهلي ٭ وان المشتغل اذا لم يطلب
بعلمه حقيقة العلم وهو علم التوحيد ٭ وقع في الكثرة وهو
الحجاب عن الحق مراد الحق من عباده بجميع ما خلق ٭ وانزل من
العلوم ان يجمعهم بذلك عليه ومن اتعب نفسه في جمع
العلوم ٭ من غير ان ينظر في دلالتها علي الحق فاته المقصود ٭
وحجب عن موضع الدلالة فيها علي الحق ٭ وقال بعض الابدال
يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال ٭ واعلم ان نقد

خطاء

الكر اسم مكيال
الحجي اسم العقل

خطاء الرجل ورده الي الصواب حسن الا انه يستفيد منك
علما ويحقد عليك ٭ ومن امثال العامة كف بخت خير من كر علم ٭ و
قال بعضهم ٭ وما تنفع الاداب والعلم والحجي ٭ وصاحبها عند الكمال يموت ٭
والعلم بالنسبة الي بعض العلماء ظن وعين ما هو ظن عند البعض
هو بعينه علم يقيني عند اخرين ٭ وبالنسبة الي البعض شهود ٭ وبالنسبة
الي البعض حال عارض ومتجدد يمكن زوالها وبالنسبة الي البعض
وصف ثابت لكن مقيد وموقوف بادوات التوصل من لفظ
وكناية ومدارك ايضا بها يتاتي حصول ذلك العلم واستثباته و
بالنسبة الي البعض صفة لخياله ٭ ولا يتعدي نقوشه عرصة الخيال
وبالنسبة الي البعض صفة لعقله المقيد بموجب قيود افكاره
وذهنه وتكرر صوره ٭ ومن جملة المراتب العلم الحقيقي المطلق من
حيث الادراك الروحي وصاحب الثبات وما لك امره فقريب و
اقرب وبعيد وابعد ٭ وهو ميزان الله الاعم الاكمل الاشمل ٭
وكل من استفاد من احد علما ولم يتصل العلم المستفاد بالعلم
النافع لا يصدق عليه اسم انه علم ٭ ولا يتجاوز مراتب الظنون و
الخيالات وحصول عين العلم في الشخص فضيلة ولكن الحق
من حيث اعلا درجات علمه واشرف مراتبها وافضلها لا يعد
تلك الظنون والخيالات علما ولا يثبتها في كتاب العلم الحقيقي
واهله ٭ ومن حصل من العلم ما يصح به الاعتقاد الصحيح والعمل

علي التصحيح فالزيادات مستغنى عنها والاولي ان يشتغل بطاعة
الله وملازمة ذكره وتلاوة كتابه فانه انفع وادفع للحجاب وجاء
في الحديث العلم ثلثة وما سوي ذلك فضل اية محكمة او سنة
قائمة او فريضة عادلة وفيه اشارة الي ان العلم اللازم العلوم
الشرعية وهي التفسير والحديث والفقه ويطلق المحكم علي جميع
القران لقوله تعالي احكمت اياته ويجوز ارادته ايضا وسنة قائمة
اي دائمة مستمرة لم تنسخ لدوام العمل بها وفريضة عادلة
اي لا جور فيها وفسرت هنا بالاحكام المستنبطة من القران
والحديث وسميت عادلة لمساواتها النص علم التوحيد
اساس بناء التاييد اشرف العلوم تبعا للمعلوم بشرط ما
اجمع به عليه اجماع العدول لا بمداخل مجردة لادلة العقول
كما وقع فيه اهل البدعة بل ما عليه اهل السنة والجماعة
من رزق العقل دله علي اسباب السعادة ومن رزق السعادة
لم يبق له غاية يطلبها لان السعادة غاية كل مطلوب

السعادة تستعمل في الارواح والبخت يستعمل في الابدان

باب في مدح الحلم

وهو ملكة الطمانينة عند محركات الغضب وعدم هيجانه
الا بسبب قوي وتمكن دفعه عنده بلا تعب ويثمر اللين و
الرفق وهو افضل من كظم الغيظ لانه تحلم بعد هيجان
الغضب محتاج الي مجاهدة كثيرة والحلم عدم الهيجان وهو

دال

دال علي كمال العقل وانكسار قوة الغضب وخضوعه للعقل
وقد امر الله عباده بالحلم بقوله تعالي وقولوا للناس حسنا وبين
انها خلة من احب فقال تعالي ان ابراهيم لاواه حليم وروي عن
رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال ان الله حليم يحب الحلماء
وفي حديث اخر من كان سهلا هينا لينا حرمه الله علي النار
وفي حديث اخر حرم علي النار كل هين لين قريب من الناس وفي
حديث اخر ان الله اذا احب قوما ادخل عليهم الرفق ان الله رفيق
يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين علي العنف ويعطي
عليه ما لا يعطي علي العنف وجاء في الحديث من يحرم الرفق يحرم
الخير كله وفي حديث اخر ان الله يحب الحليم المتعفف وفي حديث
اخر انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق
الشر يوقه فذكر تحري الخير وتوقي الشر مع العلم والحلم بانه يكونان
بهما ومن الادعية الماثورة اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم
وكرمني بالتقوي وجملني بالعافية وفي حديث اخر زين الا
سلام الحلم وقال بعض الحكماء الحلم حجاب الافات حلم ساعة يرد
سبعين افة ما ذب عن الاعراض كالصفح والاعراض اعراضك
صون لاعراضك حسب الحليم ان الناس انصاره ومن ملك
غضبه فقد احترس من عدوه وصان نفسه من الخلطاء
في افعاله والاضرار بحاله وكان الحسن رضي الله عنه

يقول احب الامور الي الله العفو عند القدرة والحلم عند
الغضب ۰ مبالغة المقتدر في العقوبة تقرب من غضب الله عليه
وتبعده من انتساب الكرم اليه ۰ وقال عمر ابن عبد العزيز المومن
من اذا غضب لم يخرجه غضبه الي الباطل واذا رضي لم يخرجه رضاه
عن الحق ۰ واذا قدر لم ياخذ ما ليس له ۰ ومن لم تعرف نسبه
فلاحظ ادبه ۰ وكان سفيان يقول التقي ملجم ان الله اخبر ان طريق
الاخرة لا يقطع الا بمكابدة النفس ۰ فقال تعالي وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ۰ اي من اهم الامور التي ينبغي
التصميم والعزم عليها ۰ مكتوب في التورية ۰ الرفق راس الحكمة
وجاء في الحديث لا يكون الرجل زاهدا حتي يكون متواضعا ۰
وكل انسان له جوهر يخبر عن جوهره فعله ۰ وقد فهم من كلام
السلف ان الحلم صفة تعارض الانتقام ۰ وتمنع تعجيل العقوبة
مع القدرة عليه ۰ اقل الناس غضبا اعقلهم ۰ مداراة الناس من
شيم الانبياء ۰ قيل لحكيم من اعقل الناس قال الذي يحسن
المداراة مع اهل زمانه ۰ وفي الحديث التودد نصف العقل ۰
ومنع الانتقام وحده هو العفو ۰ لا تعاجل الذنب بالعقوبة ۰
واجعل بينهما للاعتذار طريقا ۰ قال بعض الحكماء دية الذنب
عندنا الاعتذار ۰ الاقتدار يمنع الاحرار من الانتصار ۰
لا تشن حسن الظفر بقبح الانتقام توبة المذنب اقراره

وشفيع المجرم اعتذاره والاعتراف يزيل الاقتراف ۰ الا ان
تكرير العذر تذكير بالذنب ۰ شعر
اذا اعتذر الجاني محي العذر ذنبه ۰ وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب ۰
كمال العلم بالحلم وكمال الحلم بالعلم ۰ قال صاحب نوادر الاصول
الحلم سعة الاخلاق ۰ فاذا توسع المرء في اخلاقه ۰ ولم يكن له علم
افتقد الهدي ۰ فيحتاج الي علم يقف به علي الحدود ۰ واذا كان
له علم ولم يكن هناك حلم ساء خلقه وتكبر بعلمه ۰ لان العلم له حلاوة
ولكل حلاوة شره فاذا ضاقت اخلاقه لم ينتفع بعلمه لان ضيقه
يرمي به الي شوم النفس وحدتها ۰ فيكون صاحب عنف وخرق
في الامور فعندها ضاع علمه ۰ فالواسع في اخلاقه حر عن رق
النفس ۰ ولهذا كان عيسي عليه السلام يقول لبني اسرائيل
فلا عبيد اتقياء ولا احرار كرام ۰ فرجل عبد نفسه واخلاقه
فهو بتقواه ينجو وعبد حر من اخلاق النفس ورقها فهو
كريم ۰ وقال حكيم الحلم مفتاح محاسن الاخلاق ۰ ومن حسنت
اخلاقه درت ارزاقه ۰ عجبت لمن طلب امرا بالمغالبة ۰ وهو يقدر
عليه بالملاينة ۰ ولمن طلب امرا بعنف وهو يقدر عليه برفق ۰ شعر
العلم والحلم حلتا كرم ۰ للمرء زين اذا هما اجتمعا ۰
صنوان لا يستتم حسنهما ۰ الا بجمع لذا وذاك معا ۰
الحليم يحتمل اثقال الامر والنهي بلا كد ولا مجاهدة

والنفس الحاملة هي للمكارم شاملة المكارم موصولة بالمكاره
فمن اراد مكرمة احتمل مكروها وقال بعضهم التواضع في الشرف
اشرف من الشرف والتشفي ضرب من العجز ولايكون بينه وبين الظلم
الاستر رقيق وحجاب ضعيف ولان ينبي عليك بسعة الصدر خير
من ان تذم بضيقه علي ان اقالتك عثراة عباد الله موجبة لاقالة
عثراتك من غضب الله وعفوك عنهم موصول بعفو الله عنك وعقابك
لهم موصول بعقاب الله لك وجاء في الحديث لاتنزع الرحمة الا
من قلب شقي ان الله يحب من عباده الرحماء وقال عمر ابن عبد العزيز
سرعة الغضب والانتقام من صفة اللئام شعر
لذة العفو ان نظرت بعين العقل اشهي من لذة الانتقام
هذه تكسب المحامد والمجد وهذه تجي بالاثام
ويقال التثبت نصف العفو وتمام العفو ان لاتذكر الذنب
والرفق يبني الحلم اي منه يتولد الادب العاقل هو الفطن المتغافل
اشرف الكرم تغافلك عما تعلم قال حكماء العرب وجدنا
اكثر امور الدنيا لاتجوز الا بالتغافل ومن لم يحلم سمع ما لم
تكلم بما ينبغي لئلا تسمع ما لا ينبغي التغافل عن بعض الامور
تعاقل ليس من الكرم عقوبة من لم يجد امتناعا من السطوة شعر
ان كنت تطلب رتبة الاشراف فعليك بالاحسان والانصاف
وان اعتدي احد عليك فخله والدهر فهو له مكافٍ كافي

وجاء في الحديث احسنكم ايمانا احسنكم اخلاقا وقال حكيم
ليس اضر علي القلب والبدن من الحزن والغضب ومجراهما واحد
من نازع من لايقوي عليه اكمنه فصار حزنا ومن نازع من يقوي
عليه اظهره فصار غضبا وقال بعضهم ما اتاني احد بمكروه
الا واخذت عليه باحد ثلث خصال ان كان فوقي عرفت فضله
وان كان دوني صنت نفسي عنه وان كان مثلي تفضلت عليه
وما تساب اثنان الا غلب الامهما لاتدخل في حروب الغالب
فيها شر من المغلوب شعر
اذا انت جاريت السفيه كما جري فانت سفيه مثله غير ذي حلم
ولاتغضبن عرض السفيه وداره بحلم فان اعيي عليك فالبصرم
وقال بعضهم جامل عدوك ما استطعت فانه بالحلم يطمع في صلاح الفاسد
ولن بما رضي العدو واذاري منك الجميل فصار غير معاند
اخر يقول لك العقل الذي بين الهدي اذا انت لم تدر عدوا فداره
وقبل يد الجاني الذي لست واصلا الي قطعها وانظر سقوط جداره
ويقال الرفق بالجاني عتاب والاحسان اليه متاب معناه
انك اذا احسنت الي الجاني في قبالة جنايته ربما كان سببا
لتوبته ان يعاود جنايته ويزيل ذلك وحر صدره وقال
لقمان اذا رمت اذية غيرك فتصور انك لايمكنك ان تتخلص
من اذيته ومن كلام الحكمة خضوع اللفظ يحلل الحقد

وقال بزرجمهر النعمة التي لا يحسد عليها التواضع • وجاء في الحديث
المدارات عن العرض صدقة • شعر
اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا • اصبت حليما واصابك جاهل •
وروي ان عيسي عليه السلام كان يقول من احتمل كلمة سفه كتبت
له عشر حسنات • ويقال ثلثة يعدون من المجانين وان كانوا من
ذوي العقول الغضبان والغيران والسكران • والغضب انما
جعل في الحيوان ليكون به انتقام وتحفظ من الموذي • وهذا
العارض جاز حده فاذا تجاوز وافرط حتي غلب العقل ربما
كانت نكايته في الغضبان اشد منها واكثر في المغضوب عليه
فوجب علي كل عاقل ان يكثر تذكر من ادي غضبه الي امر كرهه في
العاجل والاجل وان ياخذ نفسه بتصور ذلك في حال غضبه
بان لا يلحقه الندم علي ما اتاه مما اخرجه غضبه اليه • وليس بين من
فقد الفكرة والروية في حال غضبه وبين المجنون كبير فرق ولا
يشارك البهائم في اطلاق العقل من غير تمييز ولا روية • فان ذلك
من الانسان نقيصة ولو غرب عنه الحلم حتي انقاد لغضبه
ضل عنه وجه الصواب فيه وضعف رايه عن خبرة اسبابه •
ودواعيه حتي يصير بليد الراي مغمور الروية قليل الحيلة
مع ما ينال من اثر ذلك في نفسه وجسده مما يكون اضر عليه
مما غضب له • وقال لقمان الحلم غنيمة والقناعة راحة والمداراة

قوام المعاش • وصاحب البغي مقهور ذا قهر • يعني ما ظفر من
بالاثم ظفر • واقوي الناس من رد غضبه بحلمه • وازال جهله
بعلمه • حسن الخلق يمن وسوء الخلق شوم وقبول العذر
كمال • وجاء في الحديث حسن الخلق زمام من رحمة الله في انف
صاحبه والزمام بيد ملك والملك يجره الي الخير • والخير
يجره الي الجنة • وسوء الخلق زمام من عذاب الله في انف صاحبه
والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الي الشر والشر
يجره الي النار • وسئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الشوم
فقال سوء الخلق • وقال بعض الحكماء الخلق الصالح ثمرة العقل
الراجح • اقبح فعال ذوي التمكن والاقتدار • عقوبة من التجا
الي الاعتذار • اياك وما يسبق الي القلوب انكاره • وان كان
عندك اعتذاره • وقال لقمان اياك وما يعتذر منه ومن
لم يكن لزلله في التاويل مدخل نظر في حاله بعد زلله فان ظهر
ندمه وبان خجله فالندم توبة والخجل انابة شعر
اذا كان وجه العذر ليس ببين • فان اطراح العذر خير من العذر •
رب عز ازاله خرقه • ورب ذليل اعزه خلقه • اعقل الناس
من لم يتجاوز الصمت في عقوبة السفيه ومن شان الحليم ان
لا يعجل • وجاء في الحديث من عجل اخطا او كاد ومن تاني
اصاب او كاد • وفي حديث اخر لا يكاد يعدم الصرعة من

عادة السرعة ويقال الاناة حصن السلامة والعجلة مفتاح
الندامة قال ابو الفتح البستي • شعر

تان في الشي اذا رمته • لتعرف الرشد من الغي •
لا تتبعن كل دخان ترى • فالنار قد توقد للكي •
وقس على الشي باشكاله • يدلك الشي على الشي •

وقالت الحكماء التاني اول الحزم والتسرع عين الجهل تان تحزم
فاذا استوضحت فاعزم • العجلة صاحبها يقول قبل ان يعلم
ويجيب قبل ان يفهم • ويعزم قبل ان يفكر • ويقطع قبل ان يقدر
ويحمد قبل ان يجرب ويذم قبل ان يقرب • ولن يصحب هذه
الصفات احد الا صاحب الندامة وجانب السلامة • والتاني
خلاف التواني وبه تحصل الاماني • والحزم انتهاز الفرصة
عند تمكن القدرة وترك التواني فيما يخاف فيه الفوت واذا
انتقمت ممن هو دونك فلا تامن ان ينتقم منك من هو فوقك شعر

ولقد جمعت من الذنوب فنونها • فاجمع من العفو الكريم فنونه •
من كان يرجو العفو ممن فوقه • عن ذنبه فليعف عمن دونه •

وكان ابو بكر الصديق يقول حلم المرء عونه • وقال رجل لحكيم
علمني الحلم ماهو قال هو الذي ان تصبر عليه تجل وينصرك
الله • واولى من يعفو من كان يقدر على العقوبة • وجاء
في الحديث من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملاء

الله

الله قلبه امنا وايمانا وقال ابو السعود رحمه الله شعر

حلم الحليم وعقل العاقل اختلفا • من ذا الذي منهما قد احرز الشرفا •
فالحلم قال انا احرزت غايته • والعقل قال انا الله بي عرفا •
وافصح الحلم افصاحا وقال له • بانا الله في تنزيله اتصفا •
فبان للعقل ان الحلم سيده • فقبل العقل راس الحلم وانصرفا •

فصل ومما قيل في الحلم

مكتوب في الحكمة تواضع لمن ان تواضعت له يرى ذلك للفضل
لا للبله • ويقال الحمول مطية الجهول • من عرف بالحلم كثرة الجراة
عليه • وفي الحلم معجزة ومنه ذل والممدوح منه ما كان عن كرم شعر

اري الحلم في بعض المواطن ذلة • وفي بعضها عجزا اذا لم يكن عز •
فحلم الفتى في غرة حلم عاقل • وليس له في ذلة حلمه يعز و •

كما قيل بالفادسية • تواضع زكردن فرازان نكوست • كدا اكر
تواضع كند خوي اوست • وقال لقمان ان الرجل ليتكلم بالكلمة
حتى يقال عالم • وليس بعالم • وان الرجل ليسكت حتى يقال حليم و
ليس بحليم • وان الرجل ليزهد في عاجل الدنيا حتى يقال احمق
وليس باحمق • ومن لم يغضب اذا استغضب فقد بعد عن
الفضائل لان الشجاعة والانفة والحمية المحمودة والاخذ
بالثار والغيرة فضائل • وعند فقدها تكون الاهانة
والمهانة ومنها الرذائل • وقال ابن تميمة • من لم يغضب

فليس بحليم ، وقال جالينوس من الامور امور لا يصلح فيها الرفق
ولا يصلحها الا الشدة كالداء يعالج فاذا احتاج الى الكي لم يكن
منه بد ، شعر
وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان ، وفي الشر نجاة حين لا ينجيك احسان ،
وروي ان حذيفة رضي الله عنه ، قال لرجل ايسرك انك غلبت
شر الناس ، قال نعم قال انك لن تغلب حتى تكون شرا منه ، وقد يدفع
الشر بمثله اذا اعياك غيره فالشر يصلح ما عجز عنه الخير شعر
ولا خير في حلم اذا لم يكن له ، بوادر تحمي صفوه ان يكدرا ،
وقال الامام الشافعي من استغضب فلم يغضب فانما هو حمار
ومن استرضي فلم يرض فانما هو جبار ، والنفوس الشريفة تابي
الاسترسال في الاحتمال مما يصدر في حقها من الجهال شعر
ولا خير في عرض امرئ لم يصونه ، ولا خير في حلم امرئ ذل جانبه ،
وقال علي رضي الله عنه ، رد الحجر من حيث جاء وجنب كرامتك
اللئام ، فانك ان احسنت اليهم لم يشكروا وان اساؤا لم
يستغفروا وان نصحتهم استفادوا منك علما وحقدوا
عليك من تعمد الذنب فلا تحلم عليه ، ومن كفر النعمة فلا تنعم
اليه وان الحلم يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم
قال بعض الحكماء شعر
انما الجاهل ان لانته ، فهو في غفلة لا تنبته ،
خذه بالغلظة كي تنفعه ، فلقد اضررت اذ لا ينبته ،

وقال

وقال بعضهم مداراة اللئام كلام ، كلما اتسع زاد الما
وافاد ندما شعر ان اللئيم اذا رأى ، لينا تزايد في جفائه ،
لا تخدعن فصلاح من ، جهل الكرامة في هوانه ، وقالوا اللئيم
كالنار اكرامها اضرامها ، اللئيم عند العرب هو البخيل المهين
النفس الخسيس الاباء فاذا كان شحيحا ولم يجتمع له هذه
الخصال قيل له بخيل ولم يقل لئيم ، ومن علامات اللؤم الغدر
وافشاء السر ، والغيبة والنميمة وسوء الجوار ، لا ام الناس سعيد
لا يسعد به اخوانه ، وسليم لا يسلم منه جيرانه ، واللئيم اذا استغنى
بطر واذا افتقر قنط ، واذا قال افحش واذا سئل بخل وان سال
الح وان استكتم سرا افشاه ، وخير ما في اللئيم ان يكفيك شره شعر
من الجهل ان تستعمل الحلم دونه ، اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم ،
ومن اتم القواعد مقابلة الفاسد بالفاسد ، شعر
وبالحلم دفع الشر للبعض خلة ، ولكن دفع الشر بالشر احزم ،
وجاء في الحديث الخير بالخير والبادي اكرم والشر بالشر و
البادي اظلم ، ويقال الانتصار عدل كما ان العفو فضل والسيئة
انما تقابل بالحسنة ممن عفي لمن هفي ، وكان ابن عباس يقول
احذر الكريم ان اهنته واحذر اللئيم ان اكرمته ، والعاقل
ان احرجته والاحمق ان مازحته ، والفاجر ان عاشرته ، و
البخيل ان عاسرته شعر

اذا احرجت ذا كرم تخطي، اليك ببعض اخلاق اللئيم،
وما خرق السفيه وان تعدي، بابلغ فيك من حقد الحليم،
والحق ان كل انسان يقابل بما يقتضيه جوهره ويليق بخلقه و
يصلح بطبعه، ومن ضيع الحلم فلا يستحقه واذا كان الحلم
مفسدة كان العفو معجزة، شعر
اذا كان عفو المرء عون عدوه، عليه فان الجهل اعفي واروح،
وفي الحلم ضعف والمجازاة هيبة، اذا كنت تخشي كيد من عنه تصفح،
شد العصاب علي السري اذا جني، حتي يكون لغيره تنكيلا،
فالجهل في بعض الامور اذا اغتدي، مستخرج للجاهلين عقولا،
هذا اذا لم تجد بدا من مقارنته ولا سبيلا الي مفارقته،
فاما من امكن ابعاده ولم يضر الاعراض عنه فهو اولي واجمل
فصار الحلم مدبرا للامور المغضبة بقدر لا يعتوره نقص
لعدم الغضب، ولا يلحقه دناءة بفقد الحلم، وقال بعضهم
اذا كنت بين الحلم والجهل قاعدا، وخيرت ايا شيت فالحلم افضل،
ولكن اذا انصفت من ليس منصفا، ولم يرض منك الحلم فالجهل امثل،
وسيل السري عن الحلم فقال اي حلم تريد فان الحلم علي خمسة
اقسام الاول عزيزي، وذلك هبة من الله للعبد يعفو عمن ظلمه
ويعطي من حرمه ويصل به رحمه، والثاني حلم تحالم بكظم
غيظك رجاء الثواب وفي القلب كراهة، والثالث حلم

اخر

مذموم

٤٤

مذموم رياء وسمعة وصاحبه ساكت حاقد يرايي جلساءه
والرابع حلم كبر لا يراه اهلا بان يجاوبه، الخامس حلم مذلة ومهانة

باب في مدح الحياء

وهو انحصار النفس خوف ارتكاب القبائح وهو وان كان الطف فهو باب من المخافة يرتدع الانسان بالحياء كما يرتدع من الخوف ويمتنع، قال الله تعالي، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، قيل بالحياء وهو اسم يدخل فيه الحياء من الله وان العبد اذا اتصف بالحياء من الله ترك كل ما لا يرضي الله، وما يشينه عند الله وعند رسول الله ويدخل فيه الحياء من الناس، وهو ان يستحي منهم في جهره كما يستحي من الله في سره، ويدخل فيه الحياء من نفسك وهو ان لا تاتي في الخلا الا بما تاتي في الملا، ومن استحيي من الناس، ولم يستحيي من نفسه فليس لنفسه عنده قدر ثم ان مواطن الحياء في الانسان كثيرة فان الحياء صفة يسري نفعها بمن قامت به في اكثر الاشياء وهي خوف المستحيي من تقصير يقع منه من عين من هو افضل منه، قال ابراهيم الخواص ان العباد عملوا علي اربع منازل علي الخوف والرجا والتعظيم والحياء وارفعها منزلة الحياء لما علموا وايقنوا ان الله يراهم علي كل حال، فقالوا سواء علينا رايناه او رانا فكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه، قال عمر رضي الله عنه نعم العبد

صهيب لو لم يخف الله لم يعصه يعني النفوس المجبوهة تركب
الاشياء الدنية طبعا وحياء ليس يوجد الحياء الا فيمن كانت
نفسه بصيرة بالجميل غير عمية عنه لا تكن كاعمي في يده جوهر وهو
لا يعرفه ولا يبصر حسنه وعلي حسب حياة القلب يكون فيه قوة
خلق الحياء وقلة الحياء من موت القلب والروح وكلما كان القلب
احيا كان الحياء اتم قال القرطبي الحياء المكتسب هو الذي جعله
الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي غير ان من
كان فيه غريزة منه فانها تعينه علي المكتسب حتي يكاد يكون غريزيا
وجاء في الحديث الحياء لا ياتي الا بخير رواه البخاري وروي
ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لابي يا ابي عليك بالحياء
والانفة فانك اذا استحيت من الفضاحة اجتنبت الخساسة
ويقال شهادة الافعال اصدق من شهادة الرجال وما
تم دين امرئ من هذه الامة الا بحياء وما تم حياء الا بعقل
وما تم عقل الا بادب واذا قوي الحياء قوي الكرم واذا
ضعف الحياء قوي اللوم وقال بعض الحكماء احيوا الحياء
بمجالسة من يستحيي منه وجاء في الحديث ان لكل دين
خلق وخلق هذا الدين الحياء وقال لقمان الحياء حياة
القلب وكان الحسن رضي الله عنه يقول الحياء والايمان
مقرونان فاذا قوي الايمان اشتد الحياء واذا رق الايمان

قل الحياء واذا كان في الصبي حياء طمع في رشده وقيل
لحكيم ما احسن شيء في المراة قال الحمرة التي تعلو وجهها
من الحياء اول داء في النفس الجهل ثم حب الفتنة ثم قلة المبالاة
ثم قلة الحياء وقال وهب ابن منبه القناعة دليل الامانة و
الامانة دليل الديانة والديانة دليل النعمة والنعمة دليل الشكر
والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل
الخير كله والعرب يسمون المطر حيا لدلالته علي الخير الكثير
وروي عن وهب رضي الله عنه انه قال بلغنا ان الله عز شانه اوحي
الي بعض الانبياء من لقيني وهو يحبني ادخلته جنتي ومن لقيني
وهو يخاف مني جنبته من ناري ومن لقيني وهو يستحيي مني
انسيت الحفظة ذنوبه وقال لحكيم استحيي من الله بقدر قربه
منك وخفه بقدر قدرته عليك يقول من استحيي من الله
في الدنيا لم يفضحه في الاخرة وجاء في الحديث قال ربكم وعزتي
وجلالي لا اجمع علي عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فمن خافني
في الدنيا امنته في الاخرة ومن امنني في الدنيا اخفته في الاخرة
فكما لا يجمع علي عبده خوفين ولا يجمع له امنين فلا يجمع عليه
حيائين يستره يوم القيمة ويستر عليه فهو في ستر محاسنه
عن الملئكة والانبياء وجميع الخلق حتي لا يستحيي من الخلق
وستر عليه علمه فيه فهو في ستره من نفسه حتي لا يستحيي

منه وقال بعض الابدال من استحيى من الله مطيعا استحيى
الله منه وهو مذنب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يذكر من مناجات موسى عليه السلام ان الله سبحانه قال
يا موسى انه لن يلقاني عبد في حاضري القيامة الا فتشته
عما في يديه الا ما كان من الورعين فاني استحييهم واجلهم
واكرمهم فادخلهم الجنة وجاء في الحديث استحيوا من
الله حق الحيا قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال من حفظ
الراس وما وعى والبطن وما حوى وترك زينة الدنيا وذكر
الموت والبلى فقد استحيى من الله حق الحياء وقال ابن
مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى ولباس التقوى الحياء
ومن امثال العرب لا يزال الوجه كريما ما غلب حياؤه ولا يزال
الغصن نضيرا ما بقي لحاؤه يعني قشره ونظمه بعضهم فقال شعر
يعيش الوجه ما استحيى كريما . بهاء العود ما بقي اللحاء
وابلغ الذم اذا قيل لا يستحيي من الشر ولا يحب ان يكون من
اهل الخير وعلامة حسن الخلق ان يكون المرء كثير الحياء ويقال
من كساه الحياء ثوبه ستر عن العيون عيبه وفي سعة الاخلاق
كنوز الارزاق والحياء سبب كل جميل وفي الحلية عن اياس
ابن معوية ابن قرة قال كنا عند عمر ابن عبد العزيز فذكروا
عنده الحياء فقال الحياء من الدين فقال اياس حدثني ابي

عن

عن جدي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا
الحياء فقال رسول الله عليه الصلوة والسلام ان الحياء والعفاف
والعي في اللسان لا عي القلب والعمل من الايمان وانهن يزدن في
الاخرة وينقصن من الدنيا وما يزدن في الاخرة اكثر مما ينقصن
من الدنيا وان الفحش والبذا من النفاق وانهن يزدن في الدنيا
وينقصن من الاخرة وما ينقص من الاخرة اكثر مما يزدن في الدنيا
قال اياس فامرني عمر فامليتها عليه وكتبها بخطه ثم صلى بنا صلوة
الظهر وانها لفي كفه ما وضعها اعجابا بها العي في اللسان بمعنى
الصمت وترك التشادق والكلام فيما لا يعني وان اخل باحد
وجوه الحياء لحقه باخلاله ما كان يلحقه من الفضل بكماله وجاء في
الحديث ان للارزاق حجبا فمن شاء ان يهتك ستره بقلة حياء
فعل ومن شاء بقي حياؤه وترك رزقه محجوبا عنه حتى ياتيه على ما
كتب الله له فعل ومما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم
تستح فافعل ما شئت وقد يكون الامر للتهديد كما في قوله تعالى
اعملوا ما شئتم وجاء في الحديث اول ما يرفع من هذه الامة الحيا
والامانة تذكر نعم الله عليك واحسانه اليك فانه مجلبة للحياء
ومردعة للغفلة ومسحذة على الطاعة واتفقت العلماء والحكماء
على ان الوقاحة في الرجل تدل على خساسة قدره وقلة خيره
وكثرة شره وجاء في الحديث ان الله يحب الحيي المتعفف

وبيغض الوقح الملحف • وقالت عائشة رضي الله عنها مكارم الاخلاق عشرة صدق الحديث وصدق الفعل مع الناس واداء الامانة وصلة الرحم والمكافات بالصنع • وبذل المعروف وحفظ الذمام للصاحب • وحفظ الذمام للجار وقري الضيف وراسهن الحيا وجاء في الحديث الحياء من الايمان اي من خصاله **شعر**

ان من كان ذا حياء ودين • راقب الله واتقى الحفظة •
انما الناس راحل ومقيم • فالذي سار للمقيم عظه •

فصل ومما قيل في الحياء

روي ان مما اوصي النبي صلي الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه قال يا علي ان لكل شيء افة • وافة الحديث الكذب وافة العلم النسيان • وافة العبادة الرياء • وافة الظرف الصلف وافة الشجاعة البغي وافة السماحة المن وافة الجمال الخيلاء وافة الحسب الفخر • وافة الفضل البخل وافة الجود السرف وافة الصلاح الكبر وافة الدين الهوي وافة الحياء الضعف • ومدح الحياء رجل عند الاحنف • فقال الاحنف ثم يعود ضعفا والخير لا يكون سببا للشر ولكنا نقول الحياء اسم لمقدار من المقادير • فما زاد علي ذلك فسمه ما احببت كما ان الشجاعة مقدار فالتهور اسم لما تجاوز ذلك المقدار والحزم مقدار • فالجبن اسم لما فضل عن ذلك المقدار

والاقتصاد مقدار فالبخل اسم لما خرج عن ذلك المقدار والجود اسم لمقدار من المقادير والسرف اسم لما زاد علي ذلك المقدار • وانما وقع النهي علي كل شيء جاوز المقدار المقدر حسنه عند العقل السليم • والراي القويم • ويقال الزيادة عيب والنقصان عجز • والاستحياء من الحق باطل الزيادة في الحد نقصان • في المحدود • ومن استحيي في شيء ينفعه او في شيء يضره فانما هو وهم يلقيه الشيطان • وكل ذي وجه حيي ولسان عيي لا ينشط لحاجة • ولا يعرف لجاجة لا يزال ضيق الذرع وكي الضرع يشبع غيره وهو طيان • ومعتقل بعطش وغيره ريان متحمل الضرورات • متعطل المهمات • متجرع الهم دون الاهم ان كان الحياء جنة الوجه • لا بد له من جنة قال بعضهم • **شعر**

صلابة الوجه سلاح الفتي • ورقة الوجه من الحرفة •
اذا يفوت المستحيي حاجة • ينالها الجاهل في طرفة •

ويقال قرنت الهيبة بالخيبة • والحياء بالحرمان الزمان النكد ليت الوقح المبرم يتج فيه فكيف الحيي المحف قال بعضهم **شعر**

ليس للحاجات الا من له وجه وقاح • وسلام وكلام •
وغدو ورواح • من بهم كان زمان • يسعف الساكت راحوا
رحم الله كراما • ما لمكد ورا راحوا •

باب في مدح الصبر

الذمة ما يجب ان يحمي ويحفظ ومن ان يلزم الانسان نفسه ذماما اي حقا يوجبه عليه يجري مجرى المعاهدة من غير معاهدة ولا تحالف

الوقح ما حسب الملوك

ولتقهما

قال الله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين، وقال سبحانه وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقيل عن الدنيا، قال سفيان ابن
عيينه لما اخذوا براس الامر جعلهم الله رؤساء، وقال تعالى
وبشر الصابرين، وقيل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا انه الصبر
الذي لا شكوى فيه، ايوب عليه السلام مدحه الله بالصبر،
وشهد له انه وجده صابرا مع قوله لربه مسني الضر فعلمنا
من ذلك ان حد الصبر ان لا يشكو البلاء الى غير الله فيقدح في
صبره، وجاء في الحديث فيما يرويه عن الله سبحانه انه تعالى يقول
اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او
ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة،
ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا، وقد جعل الله لكل ضرب
من الاعمال حسابا معدودا من الاجر والثواب وحدا محدودا
بقدر المصاب الا الصبر جعل اجره بغير حساب، روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعط امتي ثوابهم
اكثر من طاعتهم فان اعمالهم قصيرة، قال الله سبحانه يؤتون
اجرهم مرتين، قال زدهم قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها، قال زدهم قال الله عز وجل كمثل حبة انبتت
سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، قال زدهم قال الله
سبحانه انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب، ذكر

الطوسي

الطوسي في كتاب نوذ المتوذ، العلم بما في الثواب في المصيبة
ينسي المصيبة، وجاء في الحديث الصبر كنز من كنوز الجنة،
وقال الحسن البصري، وقد قرء هذه الاية ان الله مع الصابرين
اذا كان معك فممن تخاف واذا لم يكن معك فممن ترجو، وجاء
في الخبر افضل الايمان الصبر والسماحة، وقال الحسن رضي الله عنه
الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عما نهى الله عنه وهو الافضل
ان اهل الجنة نودوا فقيل لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
فاخبر الله تعالى انه انعم عليهم جنته بصبرهم على طاعته وعما نهى الله
عنه، وقال لقمان الصبر صبران صبر عما تحب وصبر على ما تكره و
الرجل من جمع بينهما وان الصبر عند المكاره من حسن اليقين،
الصبر على الطاعة وعن المعصية هما اساس الاستقامة والصبر
عن فضول الدنيا هو اساس الزهد والصبر على المصائب
والمحن هو اساس الرضا والتسليم لله وحسن الظن به، وقال
عمر رضي الله عنه من اصاب مصيبة فان صبر مضى امر الله و
هو ماجور، وان جزع مضى امر الله وهو مازور، وفي الصبر
الراحة والاجر، وفي الجزع التعب والوزر، وحرمان الصبر
على المصيبة اشد من المصيبة، فانه يذهب الحاصل الموجود
ولا يرد الذاهب المفقود، والصبر من كل شي فات خلف
شعر اذا دهمتك نائبة، فكن بالصبر لواذا،

والا فاتك الاجر فلا هذا ولا هذا وقال لقمان المصيبة
واحدة فاذا جزع فهي اثنتان يعني فقدان الثواب مع المصاب
امض المصائب فقدان سرور وحرمان اجر فكيف اذا اجتمعا
علي اكتساب وزر ويقال المصاب من حرم الثواب شعر
فلا تجزع لريب الدهر واصبر فان الصبر في العقبي سليم
فما جزع بمغني عنك شيئا ولا ما فات ترجعه الهموم
وان احق ما صبرت عليه ما لم تجد سبيلا الي دفعه ومن ايقن
ان كل فائت الي انقضا حسن عزاؤه عند نزول القضا وقال
افلاطون اذا اردت ان تتبين شكر الرجل علي المزيد فانظر
كيف صبره علي النقص وجاء في الحديث ان النصر مع الصبر
وفي حديث اخر في الصبر علي ما تكره خير كثير وكان الخواص يقول
الصبر الثبات علي الكتاب والسنة ومن نوي الصبر علي طاعة الله
صبره عليها وقواه ومن عزم الصبر عن معصية الله عصمه منها
واعانه عليها شعر
وربما كان مكروه الامور الي محبوبها سبب ما مثله سبب
وان كان الصبر مرا فعاقبته حلوة وحلاوة الصبر ابقي من مرارة
اوله وقالت الحكماء الصبر علي المصيبة مصيبة للشامت بها
شعر ربما خير لامرئ وهو للامر كاره
ورب خير اتاك من حيث تاتي المكاره وقال لقمان المحنة

اذا تلقيت بالرضا والصبر كانت نعمة دائمة والنعمة اذا خلت
من الشكر كانت نقمة دائمة ومن يتصبر تصبره وعلامة الظفر
بالامور المستصعبة المحافظة علي الصبر وملازمة الطلب
وكتمان السر ومن علامات السعادة الصبر في الملمات والرفق
عند النوازل وهو من امارات حسن التوفيق وجاء في الخبر
الصبر ستر علي الكروب وعون علي الخطوب وكان ابن عباس
يقول افضل العدة الصبر علي الشدة وقال الحسن البصري
جربنا وجرب لنا المجربون فلم نر شيئا انفع وجدانا ولا اضر
فقدانا من الصبر وقال الحسن رضي الله عنه احتمال الصبر
عند البلية اسلم من الطفائها بالمشقة وهكذا فعل هو شعر
وعاقبة الصبر الجميل جميلة واحسن اخلاق الرجال التحمل
وقال بعض الحكماء لكل شي جوهر وجوهر العقل الصبر
وقال بعضهم الصبر قوة من قوي العقل فبقدر قوة العقل
يكون متانة الصبر وجاء في الخبر ما اعطي احد عطاء خير و
اوسع من الصبر ومن يصبر يصبره الله ومن يستعفف يعفه
الله ومن يستغني يغنه وروي ان النبي صلي الله عليه وسلم
سال طائفة من اصحابه ما انتم قالوا مؤمنين قال ما علامة
ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضي
بمواقع القضا قال مؤمنون ورب الكعبة فعلمنا من

ذلك ان هذه علامة صحة الايمان فما شهد لهم به الا بعد ما استنطقهم
بها، وقال قتادة رضي الله عنه اطراح الامال سعادة وانتظار
الفرج بالصبر عبادة والخير الذي لا شر فيه الشكر مع العافية
والصبر عند المصيبة، وجاء في الحديث الصبر مناضل الحدثان
والجزع من اعوان الزمان، وقال لقمان لم ار ظهيرا كالصبر، ولا
مذلا للحساد كالتجمل، ولا افقه من النفس في ملذوذاتها ولا
اجوا من الانسان ولا اشد تقلبا من القلب، ولا اقل من الا
خلاص، ولا اكثر من الاجل، ولا انفع من الصبر، واسعد الناس من
كان القدر له مساعدا وكان له اهلا واشقي الناس من اذا لم
يرمساعدة لم يكن من اهل الصبر، وقال الحسن البصري المومن لا
يجهل وان جهل عليه حلم لا يظلم، وان ظلم غفر لا يبخل وان بخل
عليه صبر، وقال لحكيم ان ظلمت فلا تظلم وان مدحت فلا تفرح
وان ذممت فلا تجزع وتجنب اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، و
كن صبورا خيرا ولا يقوم بمعرفة من له حاجة في طلب الفضول
والزيادات ومن عليه من الهوي بعضه، ولا يقوي علي ذلك
الا بالتبري من الحول والقوة، ثم من الحركات المذمومة ثم
التنقل الي الحركات المحمودة ثم التفرد بامر الله ثم التوقف
في الرشاد، ثم المناجات ثم يكون الرضا مراده والتفويض حاله
ثم يمن الله عليه بعد ذلك بالمعرفة ويكون مقامه عند الله مقام

م

من عرف نفسه **شعر**

وطي النفس علي حمل الاذي، كرهت دابا وورضها واصطبر،
ان في الصبر لفضلا بينا، فاحمل النفس عليه تستمر،
وانما قوي العباد علي حمل اثقال التكليف، وورود اسرار التعريف
فاذا فهمت وعرفت ان الطاعة راجعة اليك وعائدة بالجدوي
عليك، صبرك ذلك علي القيام بها والدوام عليها، واذا علمت ان
الاصرار علي المعصية والدخول فيها يوجب العقوبة من الله اجلا
وانكساف نور الايمان عاجلا كان ذلك سببا للترك منك لها
والصبر عنها، واذا علمت ان الصبر تعود ثمرته اليك وتنعطف بركته
عليك وانه يوجب رضا مولاك وقد دعاك اليه وامرك فيما
ابتلاك به سارعت اليه وعولت عليه، وقد قيل من صبر علي شدة
الامال ما يرجو من عاجل فرج، وقيل لحكيم بماذا يقوي الصابر
علي صبره، قال اذا علم ان في الصبر رضا من له الامر، الحمد لله جاعل
الصبر للنجاح ضمينا، والمحبوب في المكروه كمينا، الصابر هو الذي
عود نفسه علي الصبر، والمتصبر يتكلف حمل ما اصابه ويقاسي
مشقته والصابر من يحمل ذلك بدون مشقة، وان وجد
الما، قال الغزالي في منهاج العابدين، واما الصبر فانه دواء
مر وشربة كريهة مباركة يجلب اليك كل منفعة، ويدفع
عنك كل مضرة، واذا كان الدواء بهذه الصفة فان الانسان

العاقل يكره النفس علي شربه ويتجرعه ويغضي اي يتغافل عن
مرارته وحدته ويقول مرارة ساعة وراحة سنة فاما
المنافع التي يجلبها فاعلم ان الصبر اربعة صبر علي الطاعة وصبر
عن المعصية وصبر عن فضول الدنيا وصبر علي المحن والمصائب
فاذا احتمل مرارة الصبر فصبر في هذه المواطن الاربعة تحصيل
له الطاعات ومنازلها من الاستقامة وثوابها الجزيل في العاقبة
ثم لا يقع في المعاصي وبلياتها في الدنيا وتبعاتها في الاخرة
ثم لا يبتلي بطلب الدنيا وما لها من الشغل في الحال والتبعة في المال
ثم لا يحبط اجره علي ما ابتلي به وذهب عنه فحصل اذا بسبب الصبر
الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها والتقوي والزهد والعوض
والثواب الجزيل من الله تعالي وتفصيل ذلك امر لا يعلمه الا الله
عز وجل واما دفع المضار فيريحه اولا من مؤنة الجزع ومقاساته
في الدنيا ثم وزره وعقوبته في العقبي واما ان هو ضعف عن
الصبر وسلك طريق الجزع فاته كل منفعة ولحقه كل مضرة اذ
لا يصبر علي مشقة الطاعة فلا يفعل الطاعة ولا يصبر علي
حفظها فيحبطها او لا يصبر علي المواظبة عليها فلا يصل الي منزلة
شريفة فيها من درجات الاستقامة او لا يصبر عن معصية
فيقع فيها او فضول فيشتغل به او لا يصبر علي مصيبة فيحرم
ثواب الصبر وربما يكثر الجزع حتي يفوت العوض بسبب ذلك

فيكون

فيكون مصيبتان فوت الشيء وفوت الاجر والعوض وحلول
المكروه وحرمان الصبر ولقد قيل حرمان الصبر علي المصيبة
اشد من المصيبة واي فائدة في شيء يذهب بالحاصل الموجود
ولا يرد عنك الذاهب المفقود فاذا فاتك احدهما فلا يفوت الاخر
الصبر له باب مفتوح الي الثناء والثناء له باب مفتوح الي العطاء
والعطاء له باب مفتوح الي الجزاء والجزاء له باب مفتوح الي
البقاء والبقاء له باب مفتوح الي اللقاء وهذا لمن غلبت عليه
الاحكام الروحانية وافرط اعراضه عن هذه الدار وهذه النشاة
من بركة نور الايمان واستفراغ الهمة حال التوجه وليس الصبر
المعتبر الممدوح صاحبه ان يكون قوي الجسد علي الكد والعمل ان
يكون للامور متحملا وللنفس غلوبا وفي الضر متجملا وعلي مجاهدة
الهوي والشهوات مواصبا ولجاشه عند الحفاظ مرتبطا مكتوب
في الحكمة الكرام اصبر قلوبا واللئام اصبر ابدانا من احب البقاء
فليعد للمصائب قلبا صبورا ولم يقولوا جسما صبورا شعر
والصبر في الارواح يعرف فضله صبر الملوك وليس في الاجسام
صبر الملوك عبارة عن ثبات قوي القلب القوة الاولي قوة الحلم
وثمرتها العفو والقوة الثانية قوة التاني ولين الكلام بالتحفظ
وثمرتها عمارة الملك والقوة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها
في الملوك الثبات ويدخل في التكاليف امتثال الاوامر والا

نكفاف عن الزواجر والصبر علي الاحكام والشكر عند وجود الا
نعام ولله علي العبد في كل منها عبودية تقتضيها حكم الربوبية
لحقه في الطاعة شهود المنة علي العبد بها وفي المعصية الاستغفا
ر مما ضيع العبد فيها وحقه في النعمة وجود الشكر من العبد عليها
بان لا يعصي الله العبد فيها وبها فاول ما يجب للمنعم عليه ان
لا يستوي بنعمته علي معصيته وفي البلية صبر العبد معه
عليها ويخفف اعباء ذلك كله قوله تعالي انه من يتق ويصبر
فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال سفيان الثوري اذا
ظهر انعام فلا نشكر الا الله حقيقة ونشكر ذلك المظهر
الذي بعث الله علي يده مجازا واذا وقع ايلام وايذاء نري ايضا
منه ولكن يحاسب العبد نفسه فيما صدر منها حتي استوجب
ذلك

فصل ومما قيل في الصبر

قال بعض الحكماء انما سمي الصبر صبرا لشدة مرارته وموضوعه
تجرع الغصة وانتظار الفرصة وان كان من صبر اعقب
الظفر لكنا نجد الصبر يفني العمر كمدا ويدني من البلي امدا
شعر وفي الصبر ربح او طريق مبلغ الى الربح لكن الخسارة في العمر
وقال بعضهم عواقب الصبر تزين الفتى لكنها تهدم
من عمره ممتزج المدح بما قد تري حيرنا فيه وفي امره
يعني ما احسن مغبة الصبر لولا افناء العمر ومن اتسع صبره

ضاق

الاعباء جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة وهي الحمل الثقيل وهي في المحسوسات حقيقة فاستعير للمعاني

ضاق صدره وهان قدره قال حكيم قولا في غاية البيان
الصبر صون وعون الا علي الهوان وقيل في الصبر بمعني التاني
رب ريث يعقب فوتا اي ربما الحزم فيفوت شعر
وعاجز الراي مضياع لفرصته حتي اذا فات امر عاتب القدرا
قال الله تعالي محرضا علي الحسنات فاستبقوا الخيرات شعر
العيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال ساري
فاقضوا ماربكم عجالا انما اعماركم سفر من الاسفار
وقال سبحانه وسارعوا الي مغفرة من ربكم وهذا علي ان كل
عمل للاخرة فالمسارعة اولي وقد ورد الشرع بامور انها
مكفرة للذنوب وموجبة للرضوان والمغفرة وانه امر عبده
بان يري نفسه مذنبا وان اطاع جهده لتحقق عجزه عن
قيامه بتمام حق ربه في كل الطاعة لانه لا مغفرة الا من حيث
الذنب علي انه ياتي الذنب فافهم

باب في مدح المشورة

روي ان الحسن البصري كان يقول قد امر الله اكمل الخلق
بالمشورة حيث قال وشاورهم في الامر لا لحاجة منه الى
اصحابه وانما اراد ان يعلمنا ما في المشورة من الفضيلة
وليستن به المسلمون وليشاور الرجل الناس وان كان
عالما ومنها ان علوم الناس متفاوتة فلا يبعد ان يخطر
بقلب انسان من المصالح ما لا يخطر بقلب الاخر لا سيما

في امور الدنيا، وجاء في الحديث ما تشاور قوم قط الا هدوا
لارشد امرهم، وفي حديث اخر المستشير معان والمستشار
مؤتمن، وفي حديث اخر العاقل من يصدق بالقضاء ويأخذ
بالحزم، نقحوا عقولكم بالمذاكرة واستعينوا على اموركم با
لمشاورة، وقال بعض الحكماء من شاور اهل النصيحة امن من
الفضيحة، وقال بعض الحكماء المشاورة موكل بها التوفيق
الي صواب الراي، ومن اعطى اربعا لم يمنع اربعا من اعطى الشكر
لم يمنع المزيد، ومن اعطى التوبة لم يمنع القبول، ومن اعطى الا
ستخارة لم يمنع الخيرة، ومن اعطى المشورة لم يمنع الصواب
وللمشاور احدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته او خطأ يشارك
في مكروهه، ومن شاور لم يعدم عند الصواب مادحا وعند
الخطاء عاذرا، قال اعرابي ما غبنت حتى يغبن قومي قيل له وكيف
ذلك قال لا افعل شيأ حتى اشاورهم، المشورة لقاح العقول
ورائد الصواب، والمستشير على طرف النجاح استشارة المرء
رأى اخيه من عزم الامور، ويقال من شاور الرجال شاركهم
في عقلهم اسوء الناس حالا من لم يثق باحد لسوء ظنه ولا
يثق به احد لسوء فعله المسيء لا يظن بالناس الا سوء لانه يراهم
بعين طبعه مكتوب في الحكمة اذا قدرت فاصفح، واذا
استشرت فانصح، وقال علي رضي الله عنه ان الله خلق الحق

الرائد الذي يطلب في الامر الكلاء اي العشب للدواء

علي

٥١

علي السنة المؤمنين، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحزم
فقال ان تستشير ذا راي وتطيع امره وفي حديث اخر المؤمن
مرات اخيه شعر

اقرن برايك راي غيرك واستشر، فالحق لا يخفى على اثنين،
المرء مرآة تريه وجهه، ويرى قفاه بجمع مرآتين،

عقلان خير من عقل وعلمان خير من علم وعقلان اقوى من عقل العجب وحشة و
المشورة عون والمؤمن ينظر بنور الله، والعقل نور في القلب
كالنور في العين، وكما يدرك بالبصر شواهد الامور، كذلك
يدرك بالعقل كثير من المحجوب المستور، واشرف قوى النفس المدبرة
القوة العقلية وللبصيرة حكم ليس للبصر، واصل الاستشارة
للخلق مع بعضهم انما هو لاظهار الفاقة، واحتياج بعضهم الي
بعض ليقع الافتقار الي الله باطنا من باب اولى، وقال بزرجمهر
الحازم اذا اشكل عليه الراي بمنزلة من اضل اللؤلؤة يجمع ما
حول مسقطها من التراب ثم التمسها حتى وجدها وكذلك الحازم
يجمع وجوه الراي في الامر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى
يخلص رايه، وقال علي رضي الله عنه انجح الاراء ما كثر امتحانه
والحيل تامله، وكل راي لم يتمحض فيه الفكرة ليلة كان مولودا
بغير تمام اجود الراي ما اجادت الفكرة نقده، واحكمت الروية
عقده، وكان يقال الراي سيف العقل، ولما كان امضى السيوف

مايولع في ارهاف حسده وجيد صقله كان انجح الاراء ما كثر
امتحانه واضعف الراي ما سنح على البديهة• المشاورة حصن
من الندامة وامن من الملامة• ومن شاور الاخلاء امن من مكر الا
عداء ومن اجتهد برايه• واستخار ربه واستشار صديقه فقد
قضي ما عليه• ويقضي الله في امره ما يحب• ومن لم يتامل الامر بعين
عقله لم يقع سيف حيلته الا على مقاتله اعقل الرجال لا يستغني
عن مشاورة العقلاء• ويقال اول الحزم المشاورة واضعف الحيلة
انفع من اقوي الشدة رب حيلة انفع من قبيلة• واقل التاني احدى من
كثرة العجلة والدولة رسول القضاء المبرم• واذا استبد الانسان
برايه عميت عليه المراشد• وقال خالد ابن برمك في المشورة اربع
خصال حميدة احدهن ان الله امر بها الثانيه ان تشتري عقل
غيرك الثالثة ان بالمشورة يفتح الله ابوابا مغلقة• الرابعة انك
تزداد بالمستشار الفة• قال افلاطون اذا استشارك عدوك
فانه بالاستشارة خرج من عداوتك الى موالاتك ويقال العقل
يهاب ما لا يهاب السيف اشد البلاء معادات العقلاء وقال
الحسن رضي الله عنه الرجل من له عقل ويشاور ونصف رجل
من له راي ولا يشاور ويشاور ولا راي له ولا شي من لا راي
له ولا يشاور• وقال بعض الحكماء الرجال ثلثة اولها ذو عقل
وراي لا يخطي في امره والثاني ليس في هذه المرتبة بل يجد

ذا عقل

ذا عقل وراي يشاوره ويعمل به فهو ايضا لا يخطي• والثالث
ليس بذلك المرتبة ويعمل برايه فهو حائر بائر عند جميع العقلاء
وقيل لحكيم ما بال العاقل مشورته على نفسه تقصر عن اصابة
الصواب وادراك المطلوب ومشورته غيره لم تظفر بذلك قال
ان مشورة الانسان لنفسه مشوبة بالهوى• ومشورة غيره سالمة
من ذلك ولا اصابة مع هوى• وبالراي تتفاوت طبقات الرجال
وتتفاضل بينهم الادراكات والفهوم كثيرة غالبة في الناس
ولكن تكميل الاراء فيهم قليل ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر
انما العاقل الذي يعرف خير الخيرين وشر الشرين فيصانع عن احدهما
بالاخر اذا الجاء اليه• وقال بعضهم اذا شاورت العاقل صارت
تجاربه لك والعاقل يقدم بتجربة غيره• وقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه افضل الناس عند الله من غربه الحق وانتشر عنه
الصدق ووثق برايه الفتق• واذا انكرت من عقلك شيا
فاقدحه بعاقل شعر
يذكونك الخير والشر والذي• تخاف وترجو والذي تتوقع
المشورة عين الهداية• وقد خاطر من استغنى برايه• نعم
الموازرة المشاورة• وبئس الاستعداد الاستبداد الابصار
تنطبع فيها المشاهدات اذا اسلمت من علل الافات فكذلك
العقول مرايا تنطبع فيها الغائبات• اذا اسلمت من صدى الشهوات

وفي وصية لقمان لولده يا بني لا تقل قولا من غير تفكر ولا تعمل
عملا من غير تدبر ولا تصدق قائلا الا بعد تامل ولا تستشر
من يبغضه قلبك واذا اردت ان تعرف مقدار عداوة عدوك
فاستشره ومن الحكم المتداولة الراي مراة العقل من اردت ان تعرف
صورة عقله فاستشره واذا كان عالما بصيرا زادته المشورة في علمه
كما يزيد النار على ضوءها ضوء يصب من الدهن عليها الراي يسد
ثلم السيف والسيف لا يسد ثلم الراي بالراي ينال ما لا ينال بالقوة
والجنود ومن ضعف رايه قوي ضده والاصول التي يستعملها
الانسان في استنباط الشي الذي يروى فيه اثنان احدهما
الاشياء المشهورة الماخوذة عن الجميع او عن الاكثر والثاني الا
شياء الحاصلة بالتجارب والمشاهدة والغمر هو الذي يكون
تخيله للشي المشهور ومما ينبغي ان يوثر ويجتنب سليم غير انه
ليست له تجربة ما سبيله من الامور العملية ان يعرف بالتجربة
والانسان قد يكون غمرا في صنف غير غمر في صنف اخر والحكمة
هي التي تعطي الغاية القصوى والتعقل يعطي ما ينال به تلك
الغاية والراي اتى محمودا بجمع اراء وهو التفكر في مبادي الا مور
ونظر عواقبها وعلم ما يؤل اليه من الخطا والصواب وقال
بعض الحكماء المشاورة لا تصلح الا لمن استكمل فيه خمس خصال
وهو من الرجال عقل كامل مع تجربة سالفة فانه بكثرة التجارب

تصح

تصح الروية وتنال الامنية وان يكون ذا دين وتقى فان ذلك
عماد كل صلاح وباب كل نجاح وسبب كل فلاح ومن غلب عليه
الدين فهو مامون السريرة موفق العزيمة وان يكون ناصحا
ودودا فان النصح والمودة يصفيان الفكر ويحصان الرأي
وان يكون سليم الفكر من هم قاطع وغم شاغل فان من عارضت
فكرته شوائب الهموم والغموم لم يكن له فكر حاضر ولم يسلم له راي
ولا يستقيم له خاطر وان لا يكون له في الامر المستشار
فيه غرض يتابعه ولا هوى يساعده او يباعده واذا اردت ان
تشاور واحدا في شي من امر نفسك فانظر كيف يدبر ذلك
المستشار امر نفسه فان كان لم يصلح نفسه ولم يكسبها
خيرا فانت احرى ان لا تنتفع به ولست اثر عنده من نفسه
وقالوا سبعة لا ينبغي لذي لب ان يشاورهم جاهل وعدو
وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل
يضل والعدو يريد العطب والحسود يتمنى زوال النعمة و
المرائي واقف مع رضا الناس والجبان يخوف ويضعف
ويقصر بفعلك والبخيل حريص على جمع المال لا راي له في غيره
وذو الهوى اسير هواه فهو لا يقدر على مخالفته ولا بد في
اهل المشاورة من صفاء فكرة وضياء حس وجودة فهم
وقوة نفس وسبق تجربة وخلوص مودة وصحة حدس

واطلاع على مختلفات الامور، ومفارقة قول الزور، فاذا حصلت
هذه المزايا الطلعة الله بنور بصيرة واصدق فكرة على وراء الحجاب
المستور، فاصاب عند مشورته باصح رويته مواقع المقدور، و
حصل بالعمل بما اشار به خروج من الظلمات الى النور، وشفاء لما
في الصدور، وقال ابن الزبير لا عاش بخير من لم ير بعين بصيرته
ما لا يرى بعين بصره، ليسير من ضياء الحدس خير من كثير من درس
الحكمة وقد يفسد التدبير ثلثة اسباب احدها كثرة الشركاء
فيه، والثاني تحاسد المشيرين، والثالث ان يملك الامر من غاب
عن الامر المدبر فيه دون المباشر الحاضر اما كثرة الشركاء لا
نتشار التدبير وبطلانه بسبب ذلك، واما التحاسد لدخول
الهوى والغرض، واما الثالث يورث غيظا وحقدا للمباشر
الحاضر، ولا يشاور الا من جمع عقلا راجحا وقلبا ناصحا
قيل للنبي صلى الله عليه وسلم اي الاصحاب افضل قال الذي
اذا ذكرت اعانك واذا نسيت ذكرك، شعر
ذكر اخاك اذا تناسا واجبا، او عن في ارائه تقصير،
فالراي يصدئ كالحسام لعارض، يطرء عليه وصقله التذكير
وقال بزرجمهر الهرم للسن شباب العقل والتجارب زيادة
ونماء والوقائع قوة وجلاء، شاور ذوي العقول
ومن جرب الامور، قال اردشير حماقة صاحبي علي اشد

ضررا

ضررا منها عليه، ومن الدليل على ان الانسان مغلوب مربوب
ان يتبلد رايه في بعض الامور والخطوب، ويعمى عليه الصواب
المطلوب، وقال علي رضي الله عنه الراي بالدول ويذهب بذهابها
واذا حلت المقادير ضلت التدابير، شعر
الا فاخش ما يرجى وجدك هابط، ولا تخش ما يخشى وجدك رافع
فلا نافع الا مع النحس ضائر، ولا ضائر الا مع السعد نافع،

فصل ومما قيل في المشورة

قال الله تعالى ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق
شيئا، وقال عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان
لهم الخيرة، يحتمل وجهين احدهما لا ينبغي ان يكون لهم وان يكونوا
اولى بها منه سبحانه وتعالى، الثاني ما كان لهم الخيرة اي ما
اعطيناهم ذلك ولا جعلناهم اولى بما هنالك، وقوله تعالى
عما يشركون، تنزيها الله ان تكون لهم الخيرة معه، وجاء في
الحديث، واذا ظننت فلا تحقق، وبذلك قد اوصى الاله
نبيه، في قوله شاورهم وتوكل، وقال الشيخ ابن العربي اعلم
ان الذي واجهك منه الاقدار، هو الذي له فيك حسن
الاختيار، من ظن انفكاك لطفه عن قدره، فذلك لقصور
نظره، وورود الامداد بحسب الاستعداد وشروق الا
نوار على حسب صفاء الاسرار، وانما يقوى العباد على حمل

اقدار شهود حسن اختياره وانما يصبرهم على نفوذ حكمه علمهم
بوجود علمه وانما ارضاهم بالقضا يقينهم ان ذلك يوجب
الرضا وانما اسكنهم لاسراره خبرهم بما اودع فيها من ابراره
وانما يعين على قبول الاحكام فتح باب الافهام وذلك الفهم
يرجعك اليه ويجعلك متوكلا عليه وانما يقضي بالالام
لما يترتب عليها من الفضل والانعام وفتح باب الافهام قوله
تعالى اليس الله بكاف عبده وقوله سبحانه وكان بالمؤمنين
رحيما فلله الحمد على حسن الاختيار والرفق في الاقدار شعر

كن راضيا كل ما يقضى الاله به ... يزول عنك جميع الضر والبوس
دعها سماوية تجري على قدر ... لا تفسدنها براي منك منكوس

يعني الاقدار الغالبة لا ترد بالمغالبة ومن لم يؤيد بالله لم شعر

اذا لم يعنك الجد فالراي باطل ... وسعيك فيما لا يفيد ضائع

وقال بعض الابدال ما اعز الله عبدا بمثل ما يرده الى ذل نفسه
وما اذل الله عبدا بمثل ما يرده الى توهم عزه ومن كان لضعفه
كان الرب به الطف شعر

ان المقادير اذا اعضدت ... الحقت العاجز بالحازم

ولما كشف الله عن بصائر قلوب الموقنين شهدوا انفسهم
مدبرين ومصرفين غير مصرفين ومحركين غير محركين وكذلك
شهدوا نفوذ القدرة بمقدورها وتعلق الارادة بمرادها

فاشتغلوا

فاشتغلوا بالعبودية روي عن ابراهيم ابن ادهم انه قال قيل
لي يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا فاسترحت وان اجل مقام
في العبد مقام العبودية والدليل على ان العبودية اشرف مقام
قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده فما وصفه في تلك الحالة
الجليلة الا باشرف وصف للمقامات وسر العبودية وحقيقتها
ترك الاختيار والتسليم الى قدرة الجبار شعر

خير اعمالك الرضا ... بالمقادير والقضا
بين ما المرء ناطق ... قيل قد كان وانقضى

وقال ابو يزيد لو تمنى اهل النهى من اولي الالباب الذين
كشف الله عن قلوبهم الحجاب نهاية الاماني فكونت لهم
امانيهم على ما تمنوا لكان رضاهم عن الله في تدبيره ومعرفتهم
بحسن تقديره خيرا لهم من كون امانيهم وافضل عند الله من
قبل ان الله احكم الحاكمين والعبد جاهل عاجز لا يقدر على
شيء وانما يحتاجون الى معرفة بالحكمة وتدبر بالحكم ومشاهدة
بالقدرة والى بصيرة ويقين بالرحمة والنعمة تقع في قلب تسكين
ولا يختلف هذا الذي ذكرناه عند الموقنين اليوم بعد
كشف حجاب العقل وسقوط سلطان النفس وسيطلع
العموم على هذا عند كشف الغطا الحجب كثيفة والمعاني
لطيفة والا لرايت كل ذات مسبحة في جنسها ناطقة

فى نفسها، وقد اطلع الله على ذلك العلماء به فى دار الدنيا وخلق
اهل المعرفة باخلاقه فليس يكشفون من سره الا بقدر ما كشف
ولا يعرفون من وصفه الا من حيث عرف فهموا قوله تعالى، وان من
شئ الا عندنا خزائنه، وما ننزله الا بقدر معلوم، وعقلوا معنى
حديث ان الله كرم لكم البيان كل البيان وهو محرم عند ذوى
الايقان لانه يرفع حجاب الايمان ويحل عقال العقل المعقول
للصنع والاتقان، وعلموا ان السر امانه، وافشاءه خيانه، وان
كتمان السر سنة الله عز شانه، فاخذوا نفوسهم بالصبر على الحكم
كيف جرت وطالبوا قلوبهم بالرضا عنه باى وجه اجرى، قال
الله تعالى، ولو اتبع الحق اهواءهم اى امانيهم لفسدت السموات
والارض، هذا المقصود علمهم بالتدبير، وقوة جهلهم بعواقب
المصير، واختلاف اهوائهم بمعانى التقدير، فرب امر تاباه
فطنته لك فكان عليك فان العبد لا يدرى المسار فيابيها
ولا المضار فيتقيها الا ان يلتمس الهداية من الله ويرجع فى كل
حركة وسكون الى الله، شعر
اذا كان عون الله للمرء ناصرا، تهيا له من كل شئ مراده،
وان لم يكن عون من الله للفتى، فاكثر ما يجنى عليه اجتهاده،
اذا كان غير الله للمرء عدة، اتته الرزايا من وجوه الفوائد، اخر
وقد يكون المنع اجابة وعطاء وقربة، اذا كان العطاء مشغلا

عنه

عنه وقاطعا للعبد ومبعدا له منه لان الخيرة فيما لا يعلم
العبد وقد يكون الاختيار فى مكاره النفس، مما يعلم الله حسن
عاقبته، لا فيما يعقل العبد عاجل منفعته، شعر
ايا من يعول فى المشكلات، على ما راه وما دبره،
اذا اشكل الامر فابرء به، الى من يرى منه ما لم تره،
تكن بين عطف يعيك المخوف، ولطف يهون ما قدره،
اذا كنت تجهل عقبى الامور، ولا لك حول ولا مقدره،
فكم ذا العنا وعلى م الاسى، وم الحذار وفيم الشره،
وقال بعضهم، وهذا لسان الكون ينطق جهرة، بان جميع
الكائنات قواطع، فمحو ارادات وكل مشيئة هو الغرض الا قصى
فهل انت سامع، ولا يتصف العبد بالعبودية دون الرضا،
والاستسلام الى القضاء، قال على رضى الله عنه لرجل ساله عن
القدر انه بين امرين لا جبر ولا تفويض شعر
المقادير ليس تدركها الاو، هام لطفا ولا تراها العيون،
ويمر القضا فى كل امر، حركات كانهن سكون،
ومن عرف نعمة العقل لم يصرف عقله الى ما لا يوصله الى قربة
ولا يكون سببا لوجود حسنة او لعدم قبيحة ومن صرف
عقله الى راى مذموم كان ذلك كفرا لنعمة العقل، والاشياء
انما تذم وتمدح بما تؤول اليه، قال عبد الملك ابن صالح، ما

استشرت احدا قط الا تكبر علي وتصاغرت له ودخلته العزة و
دخلتني الذلة صاحب الاستبداد جليل في العيون مهيب في الصدور
والمستشير ملحوظ بعين النقص والحاجة ومن لم ينتفع بظنه لم
ينتفع بيقينه العزيمة حزم والتخليط ضعف   شعر

وما العجز الا ان تشاور عاجزا ، وما الحزم الا ان تهم وتفعلا ،

اخر وما كل ذي لب بمعطيك نصحه ، ولا كل مؤت نصحه بلبيب ،

نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل وافضل من استشير في
كل وقت الزمان وجاء في الحديث المستشار بالخيار ان شاء قال
وان شاء امسك وليس ما ذكرناه اسقاط الراي والتدبير ولا
خروج عن ارتباط الوسائط حتى يعود الانسان صنيعة فيجهل
حكمة الله في اثبات الاسباب بل اختيار الفضائل باجمل الوسائل
وتجنب الاشنع بالرأي الانفع مما فيه رضا الحق بريئا من ايذاء
الخلق ويتبع الاحوط والاحزم متوكلا على الله اذا عزم ويفعل
ما في حقه الافضل كما في خبر اعقلها وتوكل وان التوكل مع
الكسب لا يتنافيان لان التوكل محله القلب والكسب محله
الجوارح ولا يتضادان في محلين وربما قدر الله وصوله
اليك بغير طلب وربما قدر الله وصوله اليك بعد الطلب
والطلب ايضا من القدر فلا فرق بين الامر المطلوب وبين
الطلب في انهما مقدوران والتقدير من الله فان تعسر

شيء

شيء فتبقدين وان تيسر شيء فتبقدين   شعر

من سلم الله هو السالم ، ليس كما يزعمه الزاعم ،
تجري الامور التي قدرت ، وانف من لا يرتضي راغم ،

باب في مدح الشجاعة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الشجاعة
ولو على قتل حية او عقرب ، وفي حديث اخر الشجاعة غريزة
يضعها الله في من يشاء من عباده ان الله يحب الشجاعة ولو في قتل
حية ، وقد تكون في الضعيف كما تكون في القوي ، وكان عمر
رضي الله عنه يقول اخيفوا الهوام قبل ان تخيفكم وعليكم
باهل الشجاعة والسخاء فانهم اهل حسن الظن بالله الشجاعة
غريزة في الانسان معدودة من مواهب الاحسان وقال
لقمان قوة النفس ابلغ من قوة الجسد محرض واحد خير
من الف مقاتل الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض
حتى الى اهله عز الرجل بثبات قلبه واصالة رايه ونصل
سيفه ونصرة خالقه مدح الانصار مادح فقال كانوا
يرغبون في الاخرة كما ترغبون في الدنيا ويحبون الموت
كما تحبون الحياة وقال الله تعالى ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص و
هذه صفة الشجاعة وقال سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم

من قوة ومن رباط الخيل فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على ما هو
مقدور البشر من العدة والالة وثبات القلب وقال على رضى
الله عنه قوة القلب من الايمان ، شعر

الحرب ان باشرتها ، فلا يكن منك الفشل اصبر على اهوالها ،
لاموت الا بالاجل الحرب من صبر فيها عرف ، ومن جبن فيها تلف ،

ويقال الحذر اشد من الوقيعة ومن جبس ليس ومن هاب خاب
الشجاعة وقاية والجراءة من اسباب الظفر وجاء فى الحديث
لا تمنوا لقاء العدو واسئلوا الله العافيه فاذا لقيتموهم فاصبروا
واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف وقال لقمان فى الصبر على النوائب
ادراك الرغائب ، واذا نزل بك مكروه فانظر فان كان له حيلة
فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع واياك ومعادات
الرجال فانك لن تعدم مكر حليم او مفاجات لئيم وان من
اعظم الخطايا محاربة من يطلب الصلح وفى التنزيل ما يؤيد هذا
وهو قوله تعالى بصيغة الامر وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقال
على رضى الله عنه لبعض بنيه يا بنى افة الشجاعة البغى لا تدع
احدا للقتال ولا يدعونك احد الا اجبته فالداعى باغى
والباغى مصروع واذا كانت مادة البغى لا تنقطع فاعلم ان
الصرع لا يرتفع لكل عاثر راحم الا الباغى ما رايت سلاحا
كالبغى اكثر عمله فى متحمله ما كثر ما كثرة البغى ولا اقوى من

قواه الظلم فرب هالك بماديره ومكره ورب جريح بالسلاح الذى
اشهره ومن اطال الامل اساء العمل وان افراط التوقى اول
موارد الخوف والتهاون باليسير اساس الوقوع فى العسير وان
افضل العدة ان يقدم بين يديه عملا صالحا من صدقة او صيام
او رد المظالم او صلة الرحم او دعاء مخلص او امر بمعروف او
نهى عن منكر وان التوبة ترد من البلاء ما لا ترده السيوف وقد
امر به عمر رضى الله وقال انما يقاتلونكم باعمالكم وان الحرب
خدعة عند جميع العقلاء والاتساع فيها مما يرضى به الالباء
وليس شئ انفع منها واضعفها ابلغ من اشدها ولكن كن من
احتيالك على عدوك اشد خوفا من احتيال عدوك عليك
فليلزمك التصبر والتبصر والاحتراس قيل فى قوله تعالى ولا
يحيق المكر السئ الا باهله ان كان الماكر من اهله حاق به و
عاد عليه وان كان الممكور من اهله حاق به وجرى اليه
يعنى مدار الحال على الاستيهال ملاك العقل الحيلة
والتانى وهما قيما الحزم ووكيلا الرشد ودعيما الراى
وصديقا الفطنة وسفير التدبير وبهما يحصل السرور
والحاجة تفتح ابواب الحيل الحيلة من فوائد الاراء المحكمة
وهى حسنة ما لم يستباح بها محظورا وربما كانت الحيلة
من القوة اغلب وبها يصاد الاسد الاغطب اما اذا حل

ملاك الشئ ما يتقدم ذلك الشئ هـ

القضاء ونزل كان العطب فى الحيل وقد يغلب الضعيف
باقبال دولته كما يغلب القوى بفناء مدته وقال حكيم جسم
الحرب الشجاعة وقلبها التدبير ولسانها المكيدة وجناحاها
الطاعة وقائدها الرفق وسائقها النصر والتفكر فى العاقبة من
امارات الجزع والعقل اصله التثبت وثمرته السلامة وكفى بالاجل
حارسا واذا كان الموت بكل احد نازلا فالطمانينة الى الدنيا حمق
وقال ابو النصر الفارابى المجاهد الفاضل اذا خاطر بنفسه فليس
يخاطر وعند نفسه انه لا يموت بفعله ذلك ولا ايضا لا يبالى
ان مات او عاش فان هذا تهور ولا خرحمق بل يرى انه عسى
يتخلص ولا يموت ولكن لا يجزع من الموت ولا يجزع اذا حل ولا يخاطر
وهو يعلم او يظن ان الذى يلتمسه يناله بلا مخاطرة بل انما يخاطر
بنفسه متى علم ان الذى يلتمسه يفوته ولا يناله اذا لم يخاطر
ويرى انه اذا خاطر يناله او يرى انه سيناله قومه لا محالة من فعله
ذلك مات او عاش ويرى انه ان سلم شاركهم فان مات نال
اولئك ويفوز هو بالسعادة بفضيلة متقدمة ولما بذل
الان من نفسه واذا مات الفاضل او قتل فلا ينبغى ان يناح
عليه بل يناح على قومه ويغبط بالحالة التى صار اليها على مقدار
سعادته ويخص المجاهد الذى قتل فى الحرب بان يمدح على بذل
نفسه وعلى اقدامه على الموت دون قومه شعر

فى الجبن عار وفى الاقدام مكرمة ومن يفر فلن ينجو من القدر
وقوم يرون ان الانسان اذا كان حكيما قبل الموت ازدادت
حكمته وكملت وصارت افضل واكمل لذلك وذلك انهم يرون
الموت كمالا وان مقارنة النفس البدن قسر ومعنى مفارقة
النفس البدن ان لا يحتاج فى قوامها الى ان يكون البدن مادة
لها وان لا يحتاج فى شئ من افعالها الى ان تستعمل قوة فى جسم
اصلا فانها ما دامت محتاجة الى شئ من هذا فليست كاملة
وذلك انما يكون للنفس التى تخص الانسان والى ان يصير الى هذه
الحالة فى تعب والام كثيرة وهو اذا صار الى هذا الحال فهى الحيوة
التى يرى فيها الانسان ربه وحينئذ يكون تصوره لذات المبدئ
الاول اكمل واوصى عبد الملك امير سريته فقال والله انت تاجر
لعباده فكن مضاربا كيسا ان وجدت ربحا اتجر والا احتفظ
براس المال ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة والشان كل
الشان ان يكون الرئيس شجاعا ذا بسالة ثابت الجاش صارم القلب
عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواقع الحرب فانه اذا كان كذلك
وصدر الكل عن رايه كان جميعهم كانهم مثله شعر
وما السيف الا زبرة مستعارة اذا لم يكن امضى من السيف حامله
وقال حكيم الفرس حبب الى عدوك الفرار بان لا تتبعهم
اذا انهزموا قال على رضى الله عنه لا فر عنكم ولا اكر على من فر

فالبغلة تكفيني ٭ وقال بعضهم ٭ شعر
تنح عن القبيح ولا ترده ٭ ومن اوليته حسنا فزده ٭
ستلقى من عدوك كل كيد ٭ اذا كاد العدو ولم تكده ٭ وقال بعضهم
لم ار شيا حاضرا نفعه ٭ للمرء كالدرهم والسيف يقضي له الدرهم
حاجاته ٭ والسيف يحميه من الحيف ٭ فصل ومما قيل في الشجاعة
قال الله تعالى خذوا حذركم ٭ وقال سبحانه ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله الا بالحق ٭ وجاء في الحديث من سعادة المرء ان يطول عمره
ويرزقه الله عملا صالحا ٭ وقال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وهذا امر يشمل انواعها واقسامها ان الله يامر بما ينفع وينهى عما
يضر ٭ وقال بعض الحكماء من خاصم بغير حجة وصارع بغير قوة
وقاتل بغير نجدة فقد اعظم الخطر وبالغ في الغرر ٭ ومن تفكر
في العواقب لم يشجع وما في الدنيا شجاع الا متهور ٭ واذا حكم
السلاح حكم بالفساد والصلاح ٭ الحرب تاخذ وتعطي والمتعرض
لها قد يصيب وقد يخطي ٭ الحرب صعبة ومرة والصلح امن ومسرة
وفيه سلامة الرجال ٭ وتثمير الاموال ٭ من اراد العافية فليترك
الشجاعة ٭ وسئل حكيم هل اضر من التواني ٭ قال الاجتهاد
في غير وقته ٭ وليس الشجاعة ان يكون مصرا في المحال لجوجا
في الباطل بل يكون غالبا لهواه مالكا لنفسه ٭ وقال جالينوس
كن حذرا كانك غر وفطنا كانك غافل ٭ وذاكرا كانك ناس ٭

كمال الفطنة اظهار الغفلة مع شدة الحذر ٭ وقال ترك التقدم
خير من التندم والاقدام على الهلكة تضييع كما ان الاحجام
على الفرصة جبن والفرار في وقته ظفر ٭ والظفر بالضعيف
هزيمة ان حاربت لم تحمد ٭ وان عجزت لم تعذر ٭ ويقال الشريف
ذو سماحة واحجام واللئيم ذو وقاحة واقدام ٭ الخائف ناج
والمقدام على خطر ٭ سمع معروف الكرخي امراة تدعو لابنها وهو
يخرج الى الغزو ٭ وتقول حفظك الله فقال ان حفظه الله لم يخرج
الى الغزو والقتال ٭ لا تستر عداوة واحد بصداقة الف ٭ شعر
ولا تحتقر كيدا لعدو ولا تقل ٭ على ضعفه اسطو بخل مساعد ٭
فلو ان اهل الارض صافوك ماوفوا ٭ بفرصة كيد من عدو معاند ٭
كما بسجود الكل لم ينج ادم ٭ وقد ضره منهم تمنع واحد ٭
ولم ينجه اذ صوره الله شخصه ٭ وعلمه الاسماء من كيد حاسد ٭
ومن اغتر بكلام عدوه فهو اعدى عدو لنفسه ٭ كونوا من المستبر
المدغل اخوف منكم من المكاشف المعلن ٭ فان مداواة العلل الظاهرة
اهون من مداواة ما خفي وبطن ٭ وقال ارسطاليس دار عدوك
لاحد امرين اما الصداقة تؤمنك ٭ او لفرصة تمكنك ٭ وقيل
لافلاطون بم ينتقم الانسان من عدوه قال بان يزداد فضلا في
نفسه شعر اذا ما رمت ارغام الاعادي ٭ بلا سيف تسل ولا سنان
فزد في مكرماتك فهي اعدى ٭ على الاعداء من نوب الزمان ٭

وقال عمر رضي الله عنه من خدعك فتخادعت له فقد خدعته ومن خدع
من لا ينخدع فقد خدع نفسه انكأ لعدوك ان لا ترية انك تتخذه
عدوا ولا يستثير السباع من مرابضها عاقل شعر

تجنب معادات الرجال فانها ، مكدرة للصفو من كل مشرب ،
ولا تستثر حربا وان كنت واثقا ، بقوة ركن او بشدة منكب ،
فلن يشرب السم الزعاف اخو حجى ، مدلا بدرياق لديه مجرب ،

وفي بعض منظومات الحكماء ، قد جعل الله لكم عقولا ، اضحت لكم الى
الهدى سبيلا ، لا تعجبن فكل شئ يهلك ، المرء يبكي والقضاء يضحك ،
ان القتال اخو الاعمال ، بعد نكول حيلة المحتال ، الحيز يقيله اللبيب الفاضل ،
والنصح لا يا باه الا جاهل ، وقال بعضهم ، احذر من الناس ولا ،
في معرك الشك تجل ، في قلب لب بت وخف ، ان بت في قلب رجل ،
وقال بزرجمهر من خاف شرك افسد امرك ، ومن لم يامن شرك لم
يحب خيرك ، وقال بعضهم ، ولم ار في الخطوب اشد هولا واصعب من معاداة
الرجال ، وجاء في الحديث لا تعادين احدا حتى تنظر كيف صنيعته
فيما بينه وبين ربه فان كان حسن الصنيع فان الله لا يسلمه
اليك بعداوتك له وان كان سئ الصنيع فان خطاياه تكفيه ،
وقال جعفر الصادق رضي الله عنه كفاك من الله نصرا ان ترى
عدوك يعصي الله فيك ، ورأى بهلول رجلا يصقل سيفا فقال
ما هذا قال بهذا يقتل الناس بعضهم بعضا قال سبحان الله ،

الناس

ة الجيد به والاستظهار على جميع المعاني تقال الحاجة
يجمع النهى واللب من اسماء العقل سمي لبا لانه صفوة الدين وفيها
ولب كل شئ خالصه ومحضه وجمع اللب الباب وفي القران العزيز
وفي الالباب ويسمى النهى وهو جمع نهية لانه ينتهي الذكاء والمعرفة
لنظر وهو نهاية ما يبلغ العبد بها من ... ويهدي الى الصلاح الدنيا والاخرة وفي القران
ويقال بهذا رجل ما ... ان في ذلك لايات لاولي النهى ويسمى حجرا لانه يحجر صاحبه عن
العظيم من هنا ... على ... ويقال للرجل اذا كان ضابطا لنفسه مالكا
ركوب المناهي وفي القران الكريم هل في ذلك قسم لذي حجر وعقلا لانه يعقل صاحبه
لامه اذ الذي حجر ... عقال الناقة يمنعها من الشرود وقد تقدم ذكره في ...
عن ركوب ... لعلكم تعقلون
وفي القران الحكيم

الزعاف بضم الزاء اي قاتل بسرعة يقال سم زعاف
اي سريع القتل وذاف بالهمزة لغة مثل زعاف
جوهري

الحجى اسم العقل من حجات الشئ اي قطعته
ومنه الاحجية فكانه سمي العقل بهذا الاسم
لكونه قاطعا بين الانسان وبين الافعال
القبيحة هر

الناس كلهم يموتون فما معنى المبادرة شعر

واياك والامر الذي ان توسعت ، موارده ضاقت عليك المصادر ،
وما حسن ان يعذر المرء نفسه ، وليس له في سائر الناس عاذر ،

ومن بعض الحكميات المنظومة ، فالماء من قول العدو الطف ،
والقلب من صم الصخور اضعف ، ثم اذا الماء على الصخر جرى ،
مدية غادر فيها اثرا ، والنهر عذب الماء ما لم يختلط ،
بالبحر في لجته وينبسط ، فان تعاطيت عظيما هائلا ،
تلوت به ما عشت شغلا شاغلا ، عمر الفتى صحته ولذته ،
وموته علته وترحته ، من صاحب الشر يلاقي شرا ،
وساءه من امره ما سره ، والعاقل الحازم من اذا عزم ،
امرا توقى فيه اسباب الندم ، ولا يكون مسرفا بل يقتصد ،
وان راه عسر لم يجتهد ، وقال اعرابي لولده يا بني كن يدا لا
صحابك على من قاتلهم ، ولكن اياك والسيف فانه ظل الموت
واتق الرمح فانه رشا المنية واحذر السهام فانها رسل الهلاك

باب في مدح الادب

والادب كل خصلة محمودة قولية كانت او فعلية وهو اجتماع
خصال الخير والوقوف على المستحسنات ، ويقع على كل رياضة
محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل ، والادب
في اللغة ادبان ادب نفسي وادب درسي ، ويقال ادب خبرة و

ادب عشرة والادب الذي كانت العرب تعرفه هو ما حسن من
الاخلاق وفعل المكارم ، وترك السفه وبذل المجهود في
ذلك وحسن اللقاء وبعد الاسلام بمدة طويلة سموا الشاعر
اديبا وهذه العلوم ادبا وانما سمي الشاعر شاعرا لانه شعر
لما لا يشعر له غيره من طبقات الشعر ، والفقهاء يطلقون
الادب على ما يقرب من السنن في العبادات ، روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ادبني ربي فاحسن تاديبي ، ثم امرني
بمكارم الاخلاق ، فقال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين ، وفي حديث اخر ادبوا اولادكم على ثلث خصال حب نبيكم
وحب اهل بيته وقراءة القران فان حملة القران في ظل الله يوم
لا ظل الا ظله مع انبياءه واصفياءه ، قال بزرجمهر ليت شعري
اي شيء ادرك من فاته الادب ، واي شيء فاته من ادرك الادب
وقال ابن المعتز من قعد به نسبه نهض به ادبه ، شعر
ليس الفتى كل الفتى ، الا الفتى في ادبه ، وبعض اخلاق الفتى
اولى به من نسبه ، لست تعدم من الاديب كرما من طبعه او تكرما
من ادبه ، ومن ترك الادب عقر عقله ، عز السلطان يوما لك ويوما
عليك وعز المال وشيك ذهابه جدير انقطاعه ، وعز النسب الى
خمول ودثور ، واما عز الادب لا يزول بزوال المال ، ولا
يتحول السلطان ولا ينقص بطول الزمان ، اهل الادب هم

العرف هو الخصال المحمودة
لا العرف الشرعي هم

الاكثرون وان قلوا ومحل الانس حيث حلوا شعر
ولا تخفى المكارم حيث كانت ، ولا اهل المكارم حيث كانوا ،
وقال بعض الحكماء الادب بهاء الملوك ورياش السوقة ، و
الناس بين هذين فتعلموه تجدوه حيث تحبون ، وقال لقمان
الادب صورة العقل فحسن صورة عقلك كيف شئت ، وقال علي
رضي الله عنه الادب كنز عند الحاجة وعون عند المروة وصاحب
في المجلس وانس في الوحدة تعمر به القلوب الواهية ، وتحيى به الالباب
الميتة وينال به الطالبون ما حاولوا ، عقل بلا ادب شجاع بلا سلاح ،
عليكم بالادب فانه سبب الى بلوغ الارب ، الحاجة اليه اشد والقول
به اسد ، وهو جام النفس ورائد الفهم ، وقائد المروة اليه تصغي الا
سماع وبه تجلب القلوب ، وبه يكون الامتناع وهو حدائق الاوداء ،
ورياض الاخلاء يزيد في السرور ، ويدل على محاسن الاخلاق و
الامور ، يدني من مجالس العظماء ، ويدخل في صحابة الرؤساء ،
يتشعب من الادب الشرف ، وان كان صاحبه وضيعا والقرب
وان كان صاحبه قصيا ، والعز وان كان صاحبه مهينا والغنى
وان كان فقيرا ، لا عقل لمن لا ادب له ، ولا حياء لمن لا دين له ،
ويقال راس الادب معاملة الناس بالجميل ، ومن كثر ادبه
كثرت حوائج الناس اليه ، وان كان فقيرا وبعد صيته وان
كان خاملا وساد وان كان وحيدا ، ان ابن الوضيع اذا كان

ادبيا كان نقص ابيه زائدا في منزلته وابن الشريف اذا كان غير
اديب كان شرف ابيه زائدا في سقوطه واحسن الادب ان لا
يعجب بادبه ليس شئ يعادل الفاضلة الا الانسان شعر
ولم ار امثال الرجال تفاوتا لدى الفضل حتى عد الف بواحد
وجاء في الحديث والله ليس لاحد على احد فضل الا بعمل حسب الرجل
خلقه وكرمه ودينه وقيل في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة الظاهرة استواء الخلق والباطنة حسن الخلق وقال
حكيم حسن اداب الظاهر عنوان اداب الباطن لان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لو خشع قلبه خشعت جوارحه لما عبث رجل
بلحيته في صلوته خير الادب ما حصل لك ثمره واظهر عليك اثره
وقال ارسطاليس الادب انس ان نشئت انسا وكنز ان شئت
كنزا وجمال ان احببت جمالا ومثوبة ان قصدت ثوابا واذا فاتك
الادب فالزم الصمت فانه ادب من لا ادب له وجاء في الحديث
لو اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لكملت ادابهم واستغنوا
عن المؤدب وقال لقمان كفى ادبا لنفسك ما كرهته من غيرك
الادب شريف لا ينطبع الا في مثله ولطيف لا يدركه الا من كان
فيه مثله واما الحكمة للاخلاق فهي كالطب للاجساد شعر
لا يكمل المرء الا لا بظاهره والنقص بالجهل يعلو عن طلاوته
وعلة الفهم داء لا دواء له اضر من سقم مضنى بعد صحته

والادب يحرز الحظ وينفي الفاقة ويونس الوحشة ويكف العدو
ويؤلف الصديق والادب اجل ما يقتنى ويكتسب واعز ما ينتمي
ويحتسب بنوره يستضاء في غياهب الجهالة ويكشف ستر الشبهة
عن اوجه الضلالة وهو اكرم الجواهر طبيعة يرفع الوضيع وينفع
الرفيع ويفيد الرغائب ويصيد المطالب وينجح المقاصد ويربح
الفوائد فالبسوه حلة وتزينوا به حلية فانه انفق معاش واجمل
رياش قال الله رب العالمين اني اعظك ان تكون من الجاهلين
وقيل عشر من كن فيه فقد استكمل الادب علم يدله على الحسن
وحياء يمنعه عن القبيح وزهد يكفه عن الفضول وقنع يغنيه
عما في ايدي الناس وبصيرة تطلعه على عوارت الدنيا وفطنة
تذكره عذاب الاخرة وتواضع يدله على قبول الحق ورأي يرشده
وتوفيق للمداراة وحلم يرد به جهل الجاهل وعقل يدبر ذلك
كله وقال لقمان خمسة لا تتم الا بخمسة لا يتم الحسب الا بالادب
ولا يتم الجمال الا بالحلاوة ولا يتم الغنى الا بالجود ولا يتم
الجهاد الا بالتوفيق ولا يتم العلم الا بالعمل وكما ان الادب
لا يكمل الا بالعقل فكذلك العقل لا يكمل الا بالادب وقال
بعض الحكماء لكل شئ زينة في الورى وزينة المرء كمال الادب
قد يشرف المرء باداب فينا وان كان وضيع النسب والاداب
هي الافعال المستحسنة في معاملة الناس ومخالطتهم

وقد اتفق العقلاء على تفضيل صاحبها اى من قامت به واتصف
بها واثنى الشرع على جميعها وامر بها فيدل الثناء عليها على حسنها
والامر بها على انها مكتسبة، ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها
وليس فى اباحة الشعر خلاف، وقد كان كبار الصحابة رضى الله
عنهم ينطقون ويشعرون، ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون، وكان
ابن عباس يقول تعلموا الشعر فان فى الشعر محاسن تبتغى ومساوى
تتقى وحكمة للحكماء ويدل على مكارم الاخلاق شعر
ولم اركالمعروف تدعى حقوقه، مغارم فى الاقوام وهى مغانم
ولا كالعلا ما لم ير الشعر بينها، فكالارض غفلا ليس فيها معالم
وما هو الا القول يسرى فتغتدى، له غرر فى اوجه ومياسم
يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة، ويرضى بما يقضى به وهو ظالم
ولولا خلال سنها الشعر ما درت، بنات المعالى كيف تبنى المكارم
وكل من نطق بالصواب، لا يذم ولا يعاب، ومن لا يرتجى يهجى وكان
الحسن رضى الله عنه يقول ان لله كنزا مخفيا مفاتحه لسان
الشعراء، ما ثبت لعبد مدح فى الارض الا وقد ثبت له فى السماء
واذا كان الايجاز كافيا، كان الاكثار عيا، واذا كان الاكثار
واجبا كان التقصير عجزا، والتصرف فى ذلك بحسب مناسبة
المقامات انما هى داب البلغاء، واذا كان المعنى شريفا واللفظ
لطيفا والكلام بليغا والطبيعة سليمة صنع فى القلوب،

الارض غفلا لا علم بها
ولا اثر عمارة هـ

صنع

صنع الغيث فى التربة الكريمة، واحسن الكلام ما غشاه الله
بنور الحكمة وذلك لا يكون الا بحسن نية صاحبه وتقوى
قائله، فاذا كان كذلك اصحبه الله من التوفيق ما يعظمه فى قلوب
الجبابرة، ولا يذهب به عن فهم عقول العامة، ثم جعل الله من بنى
ادم من ارتقب درجته فى ذلك، وتلاعب باطراف الكلام المستف
فى تلك المسالك، ولم يكن من ائمة البلاغة كل قاصر، وجاها فى
كل عصر باكرم ولى واعز ناصر، وفضل اهلها على من سواهم، بما
جبلهم عليه وسواهم، وبما خصهم به من الشيم، ورفع بعضهم
على بعض فتفاوتوا فى الاقدار والقيم، وبالبلاغة سحبت اذيال
المفاخر، ووقعت المنافسة بين الاوائل والاواخر، وغاصت الخواطر
على نفائس الجواهر فى بحرها الزاخر، والشعر ضرب من الصياغة
ونوع من التصوير اذا رقت اصوله، وراقت فصوله وطاب
مقطوعه، وموصوله علا وصوله، وحسن محصوله وقال بعضهم
ارى الشعر يحيى المجد والناس بالذى، يبقيه ارواح له عطرات،
وما المجد لولا الشعر الا معاهد، وما الناس الا اعظم نخرات،
والايجاز معدود من الاعجاز، والبلاغة من بلغت الغاية،
اذا انتهت اليها وبلغتها فسميت بلاغة لذلك اى لبلوغها النهاية
او لابلاغها المعنى لفهم السامع، ومعنى فصاحة اللسان
الاظهار لقول العرب افصح الصبح اذا اضاء وتمامها بتمام الة

البيان وهي اللسان **شعر** خير الكلام اقله لفظا واكثره معانيه
فاذا نطقت فلا ترد غير الاصابة والبيان، وقد فضل الله الانسان
باللسان، ونطقه على سائر الحيوان، وشرفه بالجنان فالجنان قابل و
اللسان قائل، وجاء في الحديث الجمال في اللسان **شعر**
رايت العز في عقل وادب، وفي الجهل المذلة والهوان، وما حسن الرجال
اذا لم يسعد الحسن البيان، كفى بالمرء عيبا ان تراه، له وجه وليس له لسان
وقال علي وهو اللبيب لفظه، قيمة كل امرئ ما يحسن **شعر**
ان كنت تطمع في العلياء تخطبها، وتبتغي منزل الكرماء تسكنه،
لا تخل نفسك من علم تسود به، فقدر كل امرئ ما كان يحسنه،
وقد اولع الناس بان الدهر مولع بالتحامل على اهل العلم والعقل
محارب لاهل الادب والفضل، ولو انصف العاقل الفقير لقال
للاحمق الغني ما آتاني الله خير مما آتاكم، الانسان العالم ذو
المروءة يكرم لغير مال، والغني الذي لا مروءة له يهان، وان
كثر ماله العقلاء راضون بالقسمة، شاكرون للنعمة ولهذا
اجازهم الله رضوانه، واحلهم من رياض القدس جنانه، ومن
العجب ان يتعجب العاقل العالم ان افقره الله واغنى بعض الجهال،
بل لو جمع لك بين العقل والعلم والغنى وحرمهم الجاهل كان
ذلك اولى بالتعجب الرزق المحسوس للمحسوم، ورزق الارواح
العلوم خذه ولا تخف، وسر به ولا تقف، وارض بما انت

النبل هو اجتذاب القلب فاذا
قوى ودام سمى لعاهم

فيه والخيرة فيما يصنع الله روي انه اوصى حكيم ولده فقال يا بني
عليك بالحكمة والادب فلان يذم الزمان فيك خير من ان يعاب
بك ان الله قسم بين خلقه المال والعلم والدنيا والاخرة فما نقص من
احدهما زيد في الاخر فقسم الاقسام والناس نيام، ولو جرت الارزاق
على قدر العقول لم تعش البهائم والانعام، واذا كان العاقل محروم
فالاحمق مذموم، والدنيا لا تدوم وهي رائحة، لا يبقى منها الا
الاعمال الصالحة، فطوبى لمن صفقته رابحة، اعظم الناس مصيبة
في الدنيا والاخرة من لم يكن له عقل ولا حكمة، ولا له في الادب
رغبة، وغاية الادب ان يستحيي المرء من نفسه

فصل ومما قيل في الادب

قال الموصلي في مقاماته ولقد باد الادب وطالبه، وطمست
معادنه ومطالبه، حتى كان الفضائل ذهبت مع الاوائل،
بيدانه لم يبق من رسم النثر والنظم، سوى رميم العظم،
فكانه قد الاوان وانقلب الزمان، ويقال للادب حرفة لا يخلو
منها اديب، وانك لا تجد الناس الا رجلين، مؤخر في نفسه
قدمه حظه، ومقدم في نفسه اخره جده وبالغ لا يكتفي
وطالب لا يجد، **شعر**
ما الناس الا عاملين فواحد، قد مات من عطش واخر يغرق،
والناس في طلب المعاش وانما، بالجد يرزق منهما من يرزق،

وقال ابو حامد الغزالي الاشياء انما تقع في هذا العالم معاوضات
ومحاسبات اذا اعطي الانسان شيئا من جهة نقص بحسبه من جهة
اخرى كما يجري ذلك في العقول والاموال قلما يجتمع هذا لا
يقع الا نادرا وذلك لعزة الكمال فهذا سر من اسرار العالم لم الق
مقدورا على استحقاقه في الحظ اما ناقصا او زائدا وعجبت للمكدود
يحرم ناصبا كلفا وللمجدود يرزق قاعدا والبحر لولا ان يسير سفنه
بالريح ما برحت عليه رواكدا ماخطب من حرم الارادة وادعا
خطب الذي حرم الارادة جاهدا ومن الحكم البديعة تقدم الجهال
على العلماء والبله على الاذكياء والضعفاء على الاقوياء وما يعلم
تاويله الا الله ليعلم العالم ان الله فاعل مختار ويعلم العالم ان علمه لا
يقدمه ولا ذكاء الذكي ولا قوة القوي ونبه على ذلك في القران
الكريم بقوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم
وقال محمد ابن الحنفية وكل الجهل بالغنى والعقل بالحرمان ليعلم
العاقل انه ليس له من الامر شيء وقال حكيم الفاقة خير من الغنى با
لحرام كما ان الخرس خير من النطق بالاثام والشعراء يعظم
جيده كذبا بالك والشاعر فانه اذا غضب عليك هجاك واذا
رضي عنك كذب لك ويطيب على الكذب مثوبة وقد وصفهم
الله انهم يقولون ما لا يفعلون وهذه صفة الكذاب ثم نجى
الله المتقين فاستثناهم فقال تعالى الا الذين امنوا وعملوا

الصالحات

الصالحات وذكروا الله كثيرا ولم يشغلهم الشعر عن ذكر الله والاعمال
الصالحات شعر لا يكذب المرء الا من مهانة او عادة السوء او من قلة الادب
وقال القرطبي في تفسيره سمى رسول الله الفصاحة واللسانة فيه
سحرا بقوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وذلك لان
فيه تصويب الباطل حيث يتوهم السامع انه حق فعلى هذا يكون
الحديث خرج مخرج الذم اذ شبهها بالسحر وقيل خرج مخرج المدح
للبلاغة والتفصيل للبيان والاول اصح والدليل عليه قوله صلى
الله عليه وسلم فلعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض وقد
فسره ابن عباس رضي الله عنه فقال اما قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من البيان لسحرا فالرجل قد يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج
من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وهو عليه و
انما يحمد العلماء البلاغة واللسانة ما لم يخرج صاحبها الى تصوير
الباطل في صورة الحق ولا ينفك الشعر من كلام كثير والايجاز
مع الاصابة عسير واللسان المكثار لا يامن من العثار وليس
شيء اوضع للانسان من كثرة الكلام ابلغ الناس من ترك
الفضول وافضل الالسن ما كان معقولا ان كان الشوم
في شيء ففي اللسان من اراد ان ينور الله قلبه فليترك الكلام
فيما لا يعنيه قال معروف الكرخي الكلام فيما لا يعني فاعله
خذلان من الله وقال مالك بن دينار اذا رايت قساوة في

قليلك او حرمانا في رزقك فاعلم انك تكلمت فيما لا يعنيك و
يستبين ورع الرجل في منطقه فان اللسان ترجمان القلب
يؤدي علم ما فيه ان خيرا فخير وان شرا فشر انما يهلك الناس فضول
المال وفضول الكلام وجاء في الحديث رحم الله امرأ امسك فضل
لسانه وبذل فضل ماله وقال حكيم اياك وفضول الكلام فانه يظهر
من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن وجاء في الحديث لا
يتقي العبد ربه حق تقاته حتى يخزن من لسانه ويقال شر ما طبع المرء
عليه من الشر خلق دني ولسان بذي اما اغتياب الناس فهي اقبح
آفات اللسان لانها مصيبة في الدين ثوابها للغير شعر
فقل صالحا تجزى غدا صالحا به فما هذه الدنيا بدار جزاء
ومن كلام الحكمة الغيبة جهد العاجز وجاء في الحديث اذا مدح الفاسق
غضب الرب واهتز لذلك العرش لان الله امر بهجر الفاسق و
المباعدة عنه فمن مدح فاسقا فقد كذب بكلامه بمدحه وخالف
امر ربه اذا كان مدحه اظهار المودة له مع ترغيب غيره في مودته
وقد امر الله بهجرانه وهو من موجبات البغض واهتزاز العرش
الهز في الاصل الحركة واهتزاز اي تحرك والحركة قد تكون عند
الارتياح والاستبشار وقد تكون عند ضد ذلك والمراد
يهتز من هيبة غضب الله او المراد بالعرش اهل العرش كما جاء
في القرآن الكريم واسأل القرية اي اهل القرية ويقال من تسلم

خير

خير من نطق تندم عليه ولا ينبغي صرف الذهن الوقاد والرأي
النقاد الا الى ما يرضي الله وهذه نتيجة التقوى وسجية المؤمن
ويقال لمن اتى بلفظ وزنه واخلاه من المعاني الحسنة اللطيفة
وزان وليس بشاعر ومنهم من يظفر بمعنى ولكن يأتي بجمل
غير مفيدة ويقلبه تركيبا ومنهم من يكون فيه ذكاء وحدس
ويصرفه الى ما لا ينبغي وانما مدار الشرف على الصواب وقال
افلاطون الادب يزيد العاقل عقلا والاحمق شرا وان للكلام
غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال و
دعى الى الملال فذلك الفاضل هو الذي سمعت الحكماء يعيبونه
العي داخل في الذم والهذر خارج عن الاستحسان ثم ان الانسان
تختلف نفسه وحالاته ووقع اسم العي على كل شيء قصر عن المقدار
قال الجاحظ اما انا فاني استحسن هذا جدا باب في مدح الصمت
قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال يا معاذ انت سالم ما سكت فاذا تكلمت فلك او عليك
وفي حديث آخر ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله عبد ولينظر
ما يقول وفي رواية فليتق الله امرئ على ما يقول وقال تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهذه الآية وردت
زجرا عن المعاصي كلها عامة وفي حفظ اللسان خاصة
احسبوا كلامكم من اعمالكم يقل كلامكم الا في الخير وقال

وهب ابن منبه بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة من الصمت والعاشر
الاجتناب من الناس وجاء في الحديث عليك بالصمت فانك تغلب
به الشيطان وفي حديث اخر الصمت حكمة وقليل فاعله وفي لفظ
اخر الصمت حلم وقليل فاعله وكذلك في الصحف الاولى ابن ادم
صمتك عن الباطل صوم وكفك عن الشر صدقة وباسك عن الخلق
صلوة وردك هواء نفسك جهاد وحفظك جوارحك عبادة
وقال علي رضي الله عنه صلاح البدن في السكوت وما ندم من سكت
الصمت زين العاقل وستر الجاهل من لزم الصمت امن من المقت
والكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر ويخبر عن مكنونات
السرائر لا يمكن استرجاع بوادره ولا يقدر على رد شوارده فحق
على العاقل ان يتحرز عن زلله بامساكه عنه او باقلاله قال بعض الحكماء
انما خلق للانسان لسان واحد وعينان واذنان ليبصر ويسمع اكثر
مما يقول اعقل لسانك الا عن عظة شافية يكتب لك اجرها وحكمة
بالغة يجمل عنك نشرها او عن حق توضحه او باطل تدحضه و
قال لقمان من اكرام الرجل نفسه ان لا يتكلم بكل ما احاط به علما
رحم الله من قال فغنم او سكت فسلم ومن سكت فسلم كان كمن
قال فغنم من حيث ان السلامة غنيمة قد نالها بسكوته وقال
الحسن رضي الله عنه اقل عادة في السكوت تستبيح الاعضاء
واجل فوائد هذه السلامة من عثرات اللسان شعر

قد افلح الساكت الصموت ، كلام راعي الكلام قوت ، ما كل قول له جواب
جواب ما تكره السكوت ، يا عجبا لامرئ ظلوم ، مستيقن انه يموت
وجاء في الحديث اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم خوضا
فيما لا يعنيه وقال سفيان اللسان انفع ما يكون للانسان
بصلاحه واضر ما يكون بفساده من قل كلامه قلت اثامه ومن
خزن لسانه اكثر في الدارين امانه شعر
احفظ لسانك ان تدان تسلما ، حتى تحقق مغرما او مغنما
ان كان خيرا فاغتنمه وان يكن ، شرا فلا تفتح به يوما فما
فلربما نفع الكلام وربما ، اهوى بصاحبه لنار جهنما
ولقل ما ينجو امرئ من لفظه ، الا الذي عصم الاله وكرما
مكتوب في الحكمة خلق الله الافة وجعل النطق مثارها
وقدر السلامة وجعل الصمت مدارها وقال حكيم ما على وجه
الارض شيء احوج الى طول سجن من اللسان وفي الحديث عن
الحسن رضي الله عنه مرسلا اول العبادة الصمت شعر
اذا شئت ان تحيى ودينك سالم ، وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورت امرئ ، فللناس عورات وللناس السن
وعينك ان ابدت اليك معايبا ، لناس فقل يا عين للناس اعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ، وفارق ولكن بالتي هي احسن
وقال عيسى عليه السلام البر ثلاثة المنطق والنظر والصمت

فمن كان منطقه بغير ذكر الله فقد لغى، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سهى، ومن كان صمته في غير تفكر فقد لهى، لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم وان كانت لينة فان القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون، وقال لقمان لكل شئ دليل ودليل العقل التفكر ودليل التفكر الصمت، وعند جمهور العلماء ان الفكرة على خمسة اوجه فكرة في الاء الله يتولد منها المحبة وفكرة في ايات الله يتولد منها التوحيد، وفكرة في وعد الله يتولد منها الرغبة و فكرة في وعيد الله يتولد منها الهيبة وفكرة في تقصير النفس عن الطاعة مع احسان الله يتولد منها الحياء، وقال لقمان ما يستقيم دينك حتى يستقيم لسانك، ولا يستقيم لسانك حتى تستحيي من ربك، وقال حكيم الكلام اسير في وثاق الرجل فاذا تكلم بكلمة صار اسيرا في وثاقها، افرح بما لم تنطق به من الخطا مثل فرحك بما نطقت به من الصواب، وقال بعضهم القلوب اوعية الاسرار والشفاه اقفالها، والالسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره شعر

بتوح بسرك ضيقا به، وتبغي لسرك من يكتم، وكتمانك السر ممن تخاف، ومن لا تحاذره احزم، فان ذاع سرك من مخبر، فانت وان لمته الوم، وقال بعض الحكماء سرك كتمه من عدوك لا تطلع عليه صديقك، من اختار السلامة من الناس والنجاة من شرهم فلا يبدلهم سره

ولا

ولا يسالهم عن سره، وفي الامثال لا تصاهر خاطب سرك، ولا تباشر شر اسرك اسيرك ان صنته، وانت اسيره ان ظهر، صن السر عن كل مستخبر، وحاذر فما الحزم الا الحذر، وقال الحسن رضي الله عنه اصعب الاشياء على الانسان وانفعها له ان يعرف قدره ويكتم سره فمن عرف قدره تيسر عسره ومن كتم سره ازاح ضره، يعني من ملك سره خفي عن الناس امره، وافشاء السر تهاون بحقوق الاصدقاء والمعارف، وخلق مذموم، وقال بعض البلغاء شعر

واسكت اذا خفيت عيون الحق عنك عن الاجابة، فاقل ما يحوي الفتى، بسكوته عز المهابة شعر وما دل على الاحوال كالاقوال، وهي طابع سر الرجال

اخر وكم ساكت نال المنى بسكوته، وكم ناطق يجني عليه لسانه، اذا المرء اقنعه رزقه، ولم يتجاوز مدى قدره، وكان على الصمت ذا قدرة، فذاك الموفق في امره، وجاء في الحديث من افتتح بكلمة سوء، ثم خاض الناس في مثلها كان عليه مثل اوزارهم، وقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه صن سمعك عن الفواحش، كما تصون لسانك لتكمل بمحاسن الاخلاق سرك وعيانك، فان السامع شريك القائل، ولو رددت كلمة جاهل في فيه لسعد رادها كما شقي قائلها لان سماع الفحش داع الى اظهاره وذريعة الى اكثاره، و كان اعراضه عنه احد النكيرين كما ان استماعه احد الباعثين شعر

تحر من الطرق اوساطها، وعد عن الجانب المشتبه

وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فانك عند استماع القبيح شريك لقائله فانتبه ومن اسمعك اسمع
عنك ومن كذب لك كذب عليك ومن مدحك بما ليس فيك وهو
راض ذمك بما ليس فيك وهو غضبان ومن علامات العقل
حسن سمة الرجل وطول صمته فالنطق بالصواب نتيجة الصمت عن
الخطاء شعر رايت اللسان على اهله اذا ساسه الجهل ليثا مغيرا
وقال ابو حامد الغزالي القلب في حق الله كاللسان في حق الخلق
ومن ظن انه فارغ من المهلكات فهو معجب بتعبيد المهلكات تجرى
مجرى الطهارة والطاعات تجرى مجرى الزيادة وقال فيثاغورث
الافات تعرض للحيوانات من عدم الكلام وتعرض للانسان من
قبل الكلام ينبغي ان تعرف الوقت الذي يحسن فيه الكلام من
الوقت الذي يحسن فيه السكوت وقال يحيى ابن اكثم جراب الخطاء
بالصمت يختم وقال بعض الحكماء شعر ولو لم يرد جود البزات على القطا
مكونها ما صاغها بمناسر رايت سكوتي متجرا فلزمته فان لم يفد
ربحا فليس بخاسر فصل ومما قيل في الصمت
قال الله تعالى فلما كلمه اليوم قال انك اليوم لدينا مكين امين ولم
يقل فلما سكت عنده وجاء في الحديث تكلموا تعرفوا ومن
تكلم فاحسن قدر ان يسكت فيحسن وليس من سكت فاحسن
قدر ان يتكلم فيحسن رب كلمة افادت نعمة لا شيء اذين على

الانسان من الفصاحة والبيان وقال علي رضي الله عنه لا خير
في الصمت عن العلم كما انه لا خير في القول بالجهل شعر
عجبت لادلال العيي بنفسه وصمت الذي قد كان بالحق اعلما
وبالصمت ستر للعيي وانما صحيفة لب المرء ان يتكلما
وللسان فضائل معدومة على سائر الجوارح ودرجة عالية
على درجاتها اذا كثرت حركته بالتعلم دقت عذبته يولد اللؤلؤ
المنثور وينظم بالاقلام في الكتب وقال بعض الحكماء الصمت
نتيجة الموت كما ان المنطق نتيجة الحياة شعر
تكلم وساود في الكلام فانه كلامك حي والسكوت جماد
فان لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك عن غير السداد سداد
وقال الحسن البصري لسان العاقل من وراء قلبه فاذا
اراد الكلام تفكر فان كان له قال وان كان عليه سكت و
قلب الجاهل من وراء لسانه فان هم بالكلام تكلم به له او عليه
وقال رجل عند عمر رضي الله عنه الصمت مفتاح السلامة
فقال نعم ولكنه قفل الفهم عادت الصمت تورث العي
اللسان عضو ان مرنته مرن وان تركته حرن وقال حكيم
الصمت نوم والنطق يقظة والساكت بين النائم والاخرس
شعر خلق اللسان لنطقه وكلامه لا للسكوت وذلك حظ الاخرس
فاذا نطقت فكن مجيبا سائلا ان الكلام يزين رب المجلس

وجاء في الحديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن
انها تبلغ ما بلغت يكتب الله له رضوانه الى يوم القيمة، والمرء اذا
اعتلت مسائله كان في الصمت هلكته، النطق جنة الفم وحشاه،
وعدة المرء كلامه، قال برزجمهر الرجال ثلثة رجل بنفسه
ورجل بماله ورجل بلسانه، شعر كن ابن من شئت وكن مؤدبا،
فانما المرء بفضل حسه، وليس من تكرمه لغيره،
مثل الذي تكرمه لنفسه، روي انه سئل كسرى وزيره فقال
ما خير ما يرزقه العبد، قال عقل يعيش به، قال فان عدمه
قال ادب يتحلى به، قال فان لم يكن قال فمال يستره، قال فان
عدمه قال صاعقة تحرقه، وتريح منه العباد والبلاد، وقد
يجد البليغ من الم السكوت ما يجد العي من الم الكلام، و
ذكروا عند الاحنف الصمت، والكلام، فقال الكلام افضل
لان الصمت لا يعدو صاحبه، والكلام ينتفع به من سمعه، واذا
كان العبد ناطقا فيما يعنيه، ولا بد منه فهو في حد الصمت،
وما ابلغ حسن البيان في تسخير القلوب، وقبولها له وغبتها
فيه وتاثرها منه وميلها اليه وانبساطها عليه، ويقال
للكلام الفصيح البليغ السحر الحلال، وليس الكلام كله
افضل من الصمت كله، ولا الصمت كله افضل من الكلام
كله، بل قد علمنا ان عامة الكلام افضل من عامة السكوت،

وكيف يكون الصمت انفع، والايثار له ارفع، ونفعه لا يكاد يجوز
راس صاحبه، والكلام يعم ويخص والرواة تروي كلام
الناطقين، كما روت سكوت الصامتين، وتمدح الصمت بالمنطق
ولا تمدح المنطق بالصمت، وما عبر عن الشيء افضل منه، و
انما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المراء وعن التكلف
والتزين، وكل ما ضارع الريا والسمعة وعن التهاتر والتشاغب
وعن المغالبة والمماتنة والبذخ واما نفس البيان كيف وان
كلام ربنا بيان للناس، وقد اضاف الله تعالى البيان الى تعليمه
فقال عز وجل الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان،

باب في مدح الفقر

الفقر شعار الصالحين، ومن عرف الحق استغنى به عن الخلق الا
ترى الى قوله تعالى، يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو
الغني الحميد، فجعل الفقر اليه سببا يؤدي الى الوصول اليه، و
الدوام بين يديه، فتبين ان الحاجة باب الى الله، وسبب يوصل
الى شرف مناجاته ومنح هباته، وجاء في الحديث من مات و لم
يترك درهما ولا دينارا لم يدخل الجنة احد اغنى منه، وفي
حديث اخر خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تضجعا في
الجنة ضعفاؤها، وفي خبر اخر لا يبلغ العبد ان يكون من
المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس، وفي خبر اخر

من لم يرض بالقوت شغل قلبه وانعب بدنه وحبس في اخرة عند
الميزان ويقال الفقير مخف والغنى مثقل الفقير اقل عدوا و
حاسدا واكثر امنا لان الفقير خفيف الظهر من كل حق منفك
الرقبة من كل ربق لا يستعطيه اخوانه ولا يطمع فيه جيرانه فهذا
اما غانم واما سالم والغنى غنيمة كل يد سالبة ومصيدة كل
نفس طالبة وفريسة كل فئة غالبة طبق موضوع على شارع
النوائب وعلم منصوب على مدرجة المناصب يطمع فيه كل طامع
ويطرقه الحدثان والمصارع ويتحوم اليه النقصان ويحيده
كل انسان والعاقل يعلم انه عند الغنى اكثر حاجة منه حال فقره
لانه في حال فقره لا يتمنى الا سلامة نفسه واما في حال الغنى
فانه يتمنى سلامة نفسه وماله ومماليكه يعني كما قيل بالفارسية
انانكه غنى تراند محتاج تراند والغنى فرع طارد على الفقر و
الفقر رداء الشرف وهو محمود مع القناعة وعدم الاستشراف
بلا خلاف والاستشراف هو تطلع النفس وطمعها بالشئ و
طموحها اليه وجاء في الحديث ما من يوم وليلة وساعة
الا لله فيها صدقة يتصدق بها على من يشاء من عباده
الفقراء وقال سفيان الثوري الصبر على الفقر جهاد في
سبيل الله يعني مع النفس وفي الحديث ان للمساكين دولة
اذا كان يوم القيمة قيل لهم انظروا من اطعمكم في الله لقمة

اوكساكم ثوبا واسقاكم شربة فادخلوه الجنة قال الحسن البصري
المسكين من كان ساكنا عن الحرص في الدنيا متصفا بالتعفف
فانما الحالة ليس المراد اصل المسكنة وقد توجد مع الغنى قال الله
تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فسماهم
مساكين ولهم سفينة يعملون فيها وجاء في الحديث ان الله اذا
احب عبدا حماه الدنيا كما يحمى احدكم سقيمه الماء وفي خبر اخر
ما من احد يقوم يوم القيمة غنيا وفقيرا الا ود ان رزقه كان
في الدنيا قوتا اكل القوت وعلل النفس انها تموت وقد كانت
الفاقة احب الى الانبياء عليهم السلام من الغنى لما كشف
الله عن بصائر قلوبهم فعرفوا ما يورث في العقبى المواهب الجليلة
ويكون سببا للرضا من له الامر وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول في دعائه اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا ومرة يقول
كفافا وان اكثر الاخيار مبتلون في هذه الدار بالفقر و
الضائقة لم تزل هذه الحالة عامة في اغلب اهل الخير والصلاح
في قديم الدهر وحديثه ان الله اختار للخواص العيشة الراضية
في الدار الاخرة فقضى عليهم برقة الحال هنا لتتوفر حظوظهم
هناك قال بعض الحكماء السهر الذ للمنام كما ان الجوع ازيد في
طيب الطعام وهذا مطرد في كل نعمة تزداد طيبا وموقعا
اذا جاءت بعد اضدادها وقال بعضهم الشدائد قبل المواهب

بمنزلة الجوع قبل الطعام يحسن به موقعه ويلذ معه تناوله والعلم
الالهي من الانسان بمنزلة الحياة منه فما منع احدا من وجه الا و
اعطاه في ذلك المنع من وجه اخر وانما جعل الله الدار الاخرة محلا
لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسعه ما يريد ان يعطيهم
لان الله اجل اقدارهم على ان يجازيهم في دار لا بقاء لها وان ذلك
اليها ظاهر نهاك عنها باطن من تمام النعمة عليك ان يرزقك ما يكفيك
ويمنعك ما يطغيك وليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه وان
اردت ان لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك وما ذل عبد الا اعز
الله كما في خبر من تواضع لله رفعه الله شعر
اذل النفس اهوى لاكسب عزة ، وكم عزة قد نالها المرء بالذل
اذا كان من تهوى عزيزا ولم تكن ، ذليلا له فاقر السلام على الوصل
ومن لم يصبر على صحبة مولاه ابتلاه بصحبة العبيد ومن تزين بزائل
فهو مغرور ومن اشتغل بطلب الدنيا ابتلي بذلها وجاء في الحديث
من تواضع لغني لاجل غناه ذهب ثلثا دينه هذا في غني صالح
فما ظنك بالغني الظالم وفي حديث اخر ان لكل امة فتنة وان
فتنة امتي المال وروي ان عيسى عليه السلام قال المال فيه داء
كبير قيل وما داؤه قال يمنع صاحبه حق الله قيل فان ادى حق الله
قال لا ينجو من الكبر والخيلاء قيل فان نجا من ذلك قال يشغله
اصلاحه عن ذكر الله شعر سر من عاش ماله فاذا حاسبه الله سره الا عدام

وجاء

وجاء في الخبر خير الاموال ما اخذ من الحلال وصرف في النوال
وشر الاموال ما اخذ من الحرام وصرف في الاثام وقال جالينوس
اذا انعم عليك بنعمة بها فضل عنك فاعلم ان فيها نصيب لغيرك
فتسرع الى اخراجه تامن بغتة الاستدراك وكل ما قل من الدنيا
قل من حساب الاخرة روي عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال
صاحب الدرهمين اشد حسابا يوم القيمة من صاحب الدرهم
الواحد وكانت دعوة الصحابة رضي الله عنهم على من ظلمهم ومقتهم
اللهم اكثر ماله واوطا عقبه يعني كثرة الاتباع لان فتنة العبد
باتساع الدنيا عليه وانقياد الوجود له اعظم من فتنة الضيق
وعصيان الخلق له وجاء في الحديث من كثر ماله كثر حسابه و
من كثرت اتباعه كثرت شياطينه وقال ابو الدرداء رضي الله
عنه اهل الاموال ياكلون وناكل ويشربون ونشرب ويلبسون
ونلبس ويركبون ونركب ولهم فضول اموال ينظرون اليها
وننظر عليهم حسابها ونحن برآء من ذلك وقال لقمان
الدنيا ادناها يكفي الانسان وكلها لا يغنيه شعر
النفس تجزع دائما من فقرها ، والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فان ابت ، فجميع ما في الارض لا يكفيها
ومن كلام لقمان الغنى قلة تمنيك والرضا بما يكفيك عش قنعا
تكن غنيا استغنائك عن الشيء خير من استغنائك به وعلى

قدر ما تمنى تنقى وعلى قدر المقام يكون الملام وقال علي رضي
الله عنه ان اكثر المعاصي انما تكون لاجل تحصيل الغنى وليس يعصي
الله احد ليفتقر وروي ان داود قال لسليمان عليهما السلام
يا بني يستدل على تقوى الرجل بثلاثة اشياء بحسن توكله على الله
فيما ياتيه وحسن رضاه فيما اتاه وحسن صبره فيما فاته والتقوى
اما جملة فهي عبارة عن امتثال المامورات واجتناب المنهيات و
اما تفصيلا فالتقوى في القران الكريم تطلق على ثلثة اشيا
احدها بمعنى الخشية والهيبة قوله تعالى واياي فاتقون وقوله
سبحانه واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثاني بمعنى الطاعة و
العبادة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال
ابن عباس اي اطيعوا الله حق طاعته وقال مجاهد هو ان يطاع
فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث تنزيه
القلب عن الذنوب وهذه الحقيقة في التقوى دون الاولين
الا ترى الى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله و
يتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى
فعلمنا بهذا ان حقيقة التقوى معنى غير الطاعة والخشية
وهي تنزيه القلب عما ذكرنا فقد رايت استعمال الاية الكريمة
على المنازل الثلثة وقال ابو حامد الغزالي وجدت التقوى
بمعنى اجتناب فضول الحلال وهو ما في الخبر المشهور عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي المتقون متقين لتركهم ما لا
باس به حذرا مما به باس وقوله عليه الصلوة والسلام لا يبلغ
العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس
شعر من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي ما يصنع العبد
بعز الغنى والعز كل العز للمتقي التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به
فكم تجد فيه من جوهر شريف نفيس وخير كثير ورزق كريم
وغنم جسيم وملك عظيم فكان خير الدنيا والاخرة جمع في
هذه الخصلة التي هي التقوى وتامل ما في القران الكريم من
ذكرها كم علق بها من خير وكم وعد عليها من ثواب وكم اضاف
اليها من سعادة فمن ذلك المدحة والثناء قوله تعالى وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اي من اهم الامور التي ينبغي
التصميم والعزم عليها ومنها الحفظ والحراسة من الاعداء قوله
تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ومنها
التاييد والنصرة قوله تعالى ان الله مع المتقين ومنها النجاة
من الشدائد والرزق من الحلال قوله سبحانه ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومنها اصلاح العمل قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح
لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومنها محبة الله قوله تعالى ان الله
يحب المتقين ولو لم يكن في التقوى الا هذه الخصلة التي هي

محبة الله لكفت عما عداها ومنها القبول قوله تعالى انما يتقبل الله
من المتقين ومنها الاكرام والاعزاز قوله سبحانه ان اكرمكم عند
الله اتقيكم ومنها البشارة عند الموت قوله عز وجل الذين امنوا وكانوا
يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ومنها النجاة من النار
قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ومنها الخلود في الجنة قوله تعالى اعدت
للمتقين وقد علمنا من قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ان لو كانت في العالم خصلة هي اصلح
للعبد من هذه الخصلة التي هي التقوى كان الله اوصى عباده
بذلك وهو اعلم بصلاح العباد وارأف بهم وان هذه الخصلة
هي الجامعة لخير الدنيا والاخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة
الى اعلا الدرجات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال
رضي الله يا بلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا قال وكيف لي بذلك
يا رسول الله قال عليه الصلوة والسلام اذا سئلت فلا تمنع واذا
اعطيت فلا تخباء وهذا امر من رسول الله ولا يامر الا بالافضل
ثم يرده الى الادنى فاشبه الفقر في الاحوال كاليقين في الايمان
فلم يرض لبلال الا ما يرضاه لنفسه وهذا مجمل الخبر في تفضيل
الفقر على الغنى وهو حال الانبياء عليهم الصلوة والسلام
قد اختاروا التقلل من الدنيا ورضوه لانفسهم ودلوا على
انه احمد عاقبة واولى للعبد ايثارا ومنقبة وجاء في الحديث

يا عجبا

يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور
وفي حديث اخر اذا اراد الله ان يهلك عبده كان اول ما يفسد دينه
وقال ابو حازم ان عوفينا من شر ما اعطينا لا يضرنا فقد ما زوي
عنا وجاء في الحديث الفقر شين عند الناس وزين عند الله و
اما كاد الفقر ان يكون كفرا اي عند الاغنياء لانهم يانفون
منه وعند الفقراء اذا اضطروا الى سؤال من لا يكون اهلا
وان الفقر اذا تم وتمكن العبد في مقام المحبة حصل له حال لا
يعرفه حكم الظاهر واذا كان الخطر على الفقر الكفر وهو الافتقار
لغير الله مع ايمانه بانه لا فاعل الا الله دل على ان الفقر افخر الاحوال
لان الشئ وضده على حسب فضيلته وقدره فكل ما كان في نفسه
افضل فضده وافته انقص ولما كان الايمان اكمل الاوصاف
واعلاها كان ضده انقص الاوصاف وادناها وقال ابو هريرة
رضي الله عنه ان في الجنة درجة لا ينالها الا اصحاب الهموم في
امر المعيشة وطلبها وقال بعض العلماء يخاف على من لم يحزن
ان لا يكون من اهل الجنة لان اهل الجنة قالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن وينبغي لمن لا يشفق ان لا يكون من اهل
الجنة لانهم قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وجاء في
الحديث تكون امتي في الدنيا على ثلثة اطباق اما الطبق
الاول فلا يرغبون في جمع المال وادخاره ولا يسعون في

طلبه واحتكاره وانما ارضاهم من الدنيا ما سد جوعه وستر عورته
وغناهم فيها ما يبلغ الاخرة فاولئك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
واما الطبق الثاني فيحبون جمع المال من سبيله وصرفه في احسن
وجوهه يصلون به ارحامهم ويبرون به اخوانهم ويواسون به
فقراءهم ولعض احدهم على الرضف اهون عليه من ان يكتسب درهما
من غير حله وان يضعه في غير وجهه وان يكون خازنا له الى حين
موته فاولئك ان نوقشوا في الحساب عذبوا وان عفي عنهم سلموا
واما الطبق الثالث فيحبون جمع المال ما حل وحرم ومنعه مما
افترض ووجب وان انفقوه جعلوه اسرافا وبدارا واذا
امسكوه امسكوه بخلا واحتكارا اولئك الذين ملكت الدنيا
ازمة قلوبهم فاوردتهم النار بذنوبهم وقال وهب ابن
الورد اختار الفقراء ثلاثة اشياء الراحة في النفس وفراغ
القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء ثلثة اشياء تعب
النفس وشغل القلب وشدة الحساب وقال علي رضي الله عنه
من كان مسلما وبدنه في عافية فقد اجتمع عليه سيد نعيم
الدنيا وسيد نعيم الاخرة شعر ان صح دين المرء مع جسمه
فنعمة الله له وافية اياك ان تاس على فائت وعندك الاسلام
والعافية وقال لقمان اذا اسلا القلب عن الشئ فهو معافا
منه والعقل ادناه ترك الدنيا واعلاه ترك التفكر في ذات

الله

الرصف حجارة صغار تحمى عليها وتسخن بها الحليب

٧٦

الله وجاء في الحديث الفقر يقذفه الله في قلب العبد فيستصغر
الكائنات والكون واما فقر النفس لا يرده ملك الدنيا وفي
تفسير قوله تعالى وليمحص الله الذين امنوا اي يخلصهم من ذنوبهم
بما يقع لهم من مصائب وبلاء ومحن وضيق في معاش واقتار
في رزق وقال ابو هريرة رضي الله عنه اذا سال الله احدكم الرزق
فلينظر كيف يسال فان الله يرزق الحرام والحلال ولكن يقول
اللهم ارزقني بما ينفعني ولا يضرني ونعم حاجب للشهوات غض
البصر وجاء في الحديث تداركوا الهموم والغموم بالصدقات
يكشف الله ضركم وينصركم على عدوكم ويثبت عند الشدائد
اقدامكم وفي حديث اخر الصدقة ترد سبعين بابا من السوء
وفي حديث اخر الصدقة في السر تطفي غضب الرب نعم القوم
الفقراء يقولون للاغنياء هل توجهون للاخرة شيا الفقراء
قوم افردهم الله في خلقه لتادية حقه وكان سفيان يقول
الصدقة صداق الجنة وقال الشيخ عبد القادر في الغنية
واما الصحبة مع الفقراء فبايثارهم وتقديمهم على نفسك في
كل شي ولا ترى لها عليهم فضلا في شي من الاشياء البتة
واذا دخلت عليهم سرورا ورفقا واستعملت معهم خلقا هدية
وايادي وسببا من الاسباب فلا ترى بذلك لك عليهم فضلا
بل تتقلد منهم منة في قبولهم ذلك منك اشكر الله على ما اولاك

من توفيقه وتيسيره لك وجعلك اهلا له فان الفائدة اليك عائدة
قال الله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها و
من اداب الفقراء والفقير اما ادب باطنه ان لا يكون كارها لما ابتلاه
الله من الفقر ويكون متوكلا على الله موقنا انه ياتيه قدر ضرورته
لا محالة واما ادب ظاهره ان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى
والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره وهذا مما مدح الله اهله في قوله
تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف واما ادب اعماله فان لا
يتواضع لغني لاجل غناه قال علي رضي الله عنه ما احسن تواضع
الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني
ثقة بالله واما ادب افعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادته ولا
يمنع بذل ما يفضل عنه وذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة
تبذل عن ظهر غنى وقال ابو حامد الغزالي ولاصحاب الحق سر لطيف
وهو انهم اذا اضاقوا عاملوا الله بالصدقة على قدر قوة حاله وحسن
يقينه فاذا احسنت نية العبد وخلصت معاملته ووجد في نفسه
طمانينة فان العوض لا يكاد يتاخر عنه وجاء في الحديث كل
معروف صدقة بما عاملت به الخلق يعاملك به الحق وبما عاملت
به الحق يعاملك به الخلق

شعر

اصنع الخير ما استطعت الى الناس وان كنت لا تحيط بكله
فمتى تصنع الكثير من الخير اذا كنت تاركا لاقله

والرزق رزقان رزق لا ياتيك الا بالسبب ورزق ياتيك من
حيث لا تحتسب وسئل الحسن البصري عن نفس التوكل ما هو
فقال هو الاعتماد على الله بازالة الطمع من سوى الله وترك اختيار
النفس والاستغناء بالكفاية وموافقة القلب لمراد الرب وان
لحقه الاطماع من طريق الطباع والغيرة ان لا تعرف ولا تعرف
وفتنة الفقر هي حسد الاغنياء والنظر الى اموالهم والتذلل لهم
بما يثلم الدين ويدنس العرض وعدم الرضا بما قسم له وجاء في
الحديث اطلبوا الحوائج بعزة الانفس فان الامور تجري بالمقادير
فاقل ما تفيد هذه الاخبار بعد التفكر فيها والاعتبار لاولي
الايدي والابصار ان لا يحزن لضيق باله من ضيق ماله ولا
يغتم من مصاب منها اصابه ومناب بها نابه ولا يفرح ولا يعجب
من وسع عليه فيها بل يخاف ويشفق ويتبع الاحوط والارفق
ولا يزري على الفقراء ولا يحتقر المساكين ويطلب منازل الزاهدين
من اعرض عن الاعراض فهو الحكيم المتادب والعفاف زينة
الفقر الراضي بالدون هو من رضي بالدنيا ومن اعرض عنها لم
ياسف على تركها ومن عمل في ايام امله قبل حضور اجله نفعه عمله
ولم يضره اجله طوبى لمن عمل للبقاء لا للفناء وجمع للجود لا
للاقتناء وجاد لله لا للثناء رغبك الله فيما يبقى وزهدك
فيما يفنى ووهب لك اليقين الذي لا تسكن القلوب الا اليه

ولا يعول في الدين الا عليه، والفقر فقران فقر خلقة وفقر
صفة ففقر الخلقة عام لكل حادث من العدم مفتقر الى خالقه،
وهذه حقيقة العبودية لعبد الى عناية الامداد احوج منه الى
نعمة الايجاد، واما فقر الصفة فهو التجرد من المال ومن محبة العبد لربه
ايثار الفقر والاتصاف به، ومن تمام محبة رسول الله الاقتداء باقوال
رسول الله وافعاله واحواله صلى الله عليه وسلم، ومن قوت القلوب
ان النبي عليه الصلوة والسلام احتذى نعلين جديدين فنظر اليهما
وخر ساجدا فقال اعجبني حسنهما وتواضعت لله خشية ان يمقتني
ثم خرج فدفعهما الى اول فقير راه وامر عليا فاحتذى له نعلين عتيقين،
قال الراوي فرايته قد لبسهما جرداوين مقطوعتين، وانه دخل على
سلمان رضي الله عنه بعض اصحابه عند موته فجزع فقيل له ما اجزعك
يا ابا عبد الله وقد كانت لك سابقة في الخير، وشهدت مع رسول
الله مغازي حسنة فقال ان حبيبا عهد الينا عهدا لم نحفظه
قال ليكفي احدكم من الدنيا كزاد الراكب، فهذا الذي اجزعني فلما
مات سلمان نظر فيما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما، وروى
فضالة ابن عبد الله اشعث حافيا وهو والي مصر فقيل له لم انت
هكذا وانت الامير فقال نهانا رسول الله عن الارفاه، وامرنا ان
نحتفي احيانا شعر
لا عار ان عطلت يداي من الغنى، كم سابق في الخيل غير محجل،

وليس

وليس الغنى الا عن الشيء لا به، وعاد ناس خباب ابن الارت رضي ٧٨ وهو من احكم الايجاز نصف بيت الشعر
الله عنه عند موته فقالوا ابشر ابا عبد الله ترد على محمد واصحابه
الحوض فقال كيف بهذا وهذا واشار الى اسفل البيت واعلاه،
وجاء في الحديث الايمان بضع وسبعين شعبة اعلاها لا اله
الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق، ولا شك ان الزهو
والعجب والكبر واتباع الهوى اذى في طريق سعادة المؤمن
ولا يماط هذا الاذى الا بعدم الترفه في الدنيا، وفقنا الله لما
يحب ويرضى، قال الشيخ ابن العربي في كتاب مواقع النجوم التوفيق
هو العناية التي للعبد عند الله قبل كونه المتصل به عند ايجاده
اياه وهو مفتاح السعادة الابدية، والهادي الى سلوك الاعمال
النبوية، والقائد الى التخلق باخلاق الالهية، به تحصل النجاة و
تنال الدرجات، ومع انه سر موهوب، ونور في قلب العبد موضوع
فان ارادة العبد له من جهة العلم بخصائصه وحقائقه متعلقة
بجود الله تعالى، وقد نبه على ذلك في القران الكريم بقوله سبحانه
وما توفيقي الا بالله، فقد يحصل للعبد بتلك الارادة فيتخيل
انه كسبي، وما علم ان تلك الارادة التي حركته لطلب التوفيق،
من التوفيق، وانها من اثاره، ولولاه لم يكن ذلك فان ارادة
التوفيق من التوفيق لكنه لا يشعر لذلك اكثر الناس، فاذا
تقرر هذا فيكون الانسان انما يطلب على الحقيقة كمال التوفيق،

من الله، ومعنى كمال التوفيق استصحابه للعبد في جميع احواله من
اعتقاداته وخواطره واسراره ومطالع انواره، وافعاله كلها لا
انه يتجزى ويتبعض، فانه معنى من المعاني القائمة بالنفس، فنقصه
الذي يطلق عليه انما هو ان يقوم بالعبد في فعل ما من الافعال
ويحرمه في فعل اخر، وكذلك زيادة استصحابه لجميع افعال العبد
فقد يقوم التوفيق في فعل ما والمخالفة في فعل اخر في زمان واحد،
كالمصلي في الدار المغصوبة او كمن يتصدق، وهو يغتاب او ينظر احدا
في حال واحد، واشباهه، فلهذا ما سأل العبد مولاه كمال التوفيق،
الا ويريد استصحابه له في جميع احواله كلها، حتى لا يكون مخالفة
اصلا، وقد بان علة سواله في التوفيق من الله وتبين ان التوفيق لم يكن
عنده معد وما عند سؤاله الله فيه، فاذا كمل التوفيق للعبد كما ذكرنا
فهو المعبر عنه بالعصمة والحفظ الالهي فصل وما قيل في الفقر
روي عن علي رضي الله عنه، انه قال الفقر داء من كتمه قتله ومن اذاعه
فضحه، وقال بعض الحكماء ما ضرب العبد بسوط اوجع من الفقر،
وقال لقمان الفقر جند من جنود الله يذل به من طغى وتجبر، واذا
افتقر الرجل اتهمه من كان يأمنه، واساء به الظن من كان يحسنه،
واذا اذنب غيره نسب اليه، ومن كان له صار عليه، ويقال الفقر
الذي هم بالليل وذل في النهار شعر الا قبح الله الضرورة انها
تكلف اعلا الخلق ادنى الخلائق، ولله در الاقتصاد فانه

يبين

٧٩

يبين فضل السبق من غير سابق، وقال ابن المعتز لا ادري ايهما امر
موت الغني ام حياة الفقير شعر اذا قصرت حال الفتى عن همومه،
فما هو الا في الحياة يعذب، وقال الزمخشري الفقير باق كفان،
وان لم يدرج في اكفان، اسير الله في الارض ضيق عليه الكون بالطول
والعرض، وقيل لحكيم ما النعمة قال الامن فانه ليس لخائف عيش،
والغنى فانه ليس لفقير عيش، والصحة فانه ليس لسقيم عيش، ويقال
الفقر مجمع العيوب، ومرتع الكروب، وبقدر ما ينزل بالفقير من
الفقر يذهب بهاؤه، ويأتي عناؤه، ويتضع لقاؤه، ويرتفع ثناؤه،
وقال ابن المعتز جهدت جهدي ان انظر الى الفقير بالعين التي انظر
بها الى الغني فلم يتهيأ لي ذلك، وقال الحسن البصري تعظيم ذوي
الاموال شيء جعله الله في القلوب لا يكاد دفعه شعر
وكل مقل حين يغدو لحاجة، الى كل من يلقى من الناس مذنب،
وكانوا بنو عمي يقولون مرحبا، فلما راوني معدما ما ترحبوا،
[illegible] مكدود معنى، ليس من يخطر بباله، لو يكن في الناس خير لم يكن في مثل
حاله، ومحاسن الغني مساوي الفقير اذا كان جوادا قالوا مبذر،
وان كان لسنا قالوا مهذار، وان كان شجاعا قالوا متهور،
وان كان حليما قالوا صموت، وان كان وقورا قالوا عيي، وان
كان منبسطا قالوا خفيف، وان كان منقبضا قالوا ثقيل،
وكل ما مدحوا الغني به ذموا الفقير، وقال بعضهم شعر

نطقت مذا استفدت المال حتى ، كانك عالم دلق اللسان ،
وشجعك الذى قد كان قدما ، يسميك الجبان ابن الجبان ،
وقال بزرجمهر الدنيا اذا اقبلت على رجل البسته محاسن غيره ،
واذا ادبرت سلبته محاسن نفسه ، وقال حكيم الامال متعلقة
بالاموال ، وقد انقاد الناس قديما وحديثا للمال ، وكذلك اخبر
الله في امر طالوت وقول القوم ، ولم يوت سعة من المال ، وما
خاطب الله تعالى بقوله عز وجل واقرضوا الله قرضا حسنا ، الا
اصحاب الجدة فاحب العارفون المال ليكونوا من اهل هذا الخطاب ،
ويحصل لهم باعطائه وصلة مناوله الحق فلولا المال ما سمعوا
ولا كانوا من اهل هذا الخطاب الالهي ، ولا حصل بالقرض هذا
التناول الرباني ، قال الحسن البصري ما ذكر الله الصدقة بالقرض
الا حتى لا يمنوا بها على الفقراء ، لان فى ذكر القرض تحقق الجزاء
وقوله تعالى ، واقام الصلوة وايتاء الزكوة ، فايجاب الزكوة عليهم ،
دليل على ان قد يكون منهم اغنياء فلو نهاهم عنه لنهاهم عن السبب
المودى اليه ، ولا يخرج عن المدحة غناهم اذا قاموا بحقوق
مولاهم ، فقد تبين من هذا ان ليس كل طالب الغنى مذموما ، بل
المذموم من طلبه لنفسه لا لربه ، ولدنياه لا لاخرته ، فالناس اذا
على قسمين عبد طلب الدنيا للدنيا وعبد طلب الدنيا للاخرة ،
وعلى ذلك يحمل الصحابة والسلف الصالحين ، فكل ما دخلوا فيه من

اسباب

اسباب الدنيا فهم بذلك الى الله مقربون ، والى رضاه منتسبون ،
لا قاصدون بذلك الدنيا وزينتها ، ولا وجود لذتها ، ومن
ضعف عن كسب المال اتكل على زاد غيره ، ومن فقد المال قلت
الرغبة اليه ، والرهبة منه ، ومن لم يكن فى موضع رغبة ولا رهبة ،
زهد الناس فيه واستخفوا به ، وقال ابن عباس رضى الله عنه
فى قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم اى اموالا الى اموالكم ، وقد تقرر
ان عز الدنيا بالمال ، وعز الاخرة بالاعمال ، وانما سمى الفقير فقيرا لانه
نزعت فقرة من ظهره فضعف صلبه عن النهوض فى الامور فلا
يقوى على شىء من امره وبقى كالعاطل عن القوة ، عاجز عن التصرف
وهو ماخوذ من فقار الظهر ، ويقال الدراهم مراهم ، والنقود
تحل العقود ، وبقدر ما تعطى من المال ، تعطى من الاجلال ،
وفى الامثال قيمة كل امرئ ما معه ، ومن شعر بعض الادباء
ان الدراهم فى المواطن كلها ، تكسو الرجال مهابة وجلالا ، وهى
الكلام لمن اراد فصاحة ، وهى السلاح لمن اراد قتالا ، وقال
بزرجمهر من زعم انه لا يحب المال ، فهو عندى كاذب ، حتى
يثبت قوله فان ثبت فهو احمق ، المال نعم الرفيق فى الرخاء و
المضيق ، وقد سمى الله المال خيرا فى قوله تعالى ، وانه لحب الخير لشديد
اى المال ، وفى قوله سبحانه ان ترك خيرا اى مالا ، وكل ما ادى الى
الخير هو خير فى نفسه ، ولا استمال القلوب بمثل المال ، وانما

سمي المال مالا لانه يمال اليه بالطبع حيث جعل الله تيسير الامور
بوجوده، وجاء في الحديث نعم العون على تقوى الله المال، لا تستهن
بالمال وتثميره، فان المال عون على الدهر، والة للمكارم، وقوة على الدين
ومتالف للاخوان، وقال حكيم المال يستعبد الاحرار، ويستذل
الاشرار، المال مهيبة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم، ويكف به وجهه
ويؤدي به امانته، ويصل به رحمه، وفي المال نعمة لا تقاس، وهي لا
ستغناء عن الناس، ومن بديع الكلام قولهم، وقرة العين بانسانها
وقرة الانسان بالعين، العين من اسماء الذهب **شعر**
اذا كنت في حاجة مرسلا، وانت بتجيزها مغرم، فارسل حكيما ولا توصه،
وذاك الحكيم هو الدرهم، وما احوج من الفقر يستلزم سوال من لا
صبر له من الناس، والشكوى اليهم وايذاء من يساله بالطلب منه، وروى
عن ثوبان رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا تسألوا الناس، فما سالت احدا شيئا بعدها، قال وكان
سوطه يسقط من يده وهو راكب فينزل عن الدابة ياخذه، ولا يسال
احدا يناوله اياه، وجاء في الحديث المسالة لا تحل الا لاحد ثلثة
رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل اصابته
جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسالة حتى يصيب قواما من
عيش، ورجل اصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى
من قومه لقد اصابت فلانا فاقة فحلت له المسالة حتى يصيب

سدادا

٨

سدادا من عيش فما سواهن من المسالة فسحت ياكلها صاحبها سحتا،
رواه مسلم الحمالة بفتح الحاء المهملة ان يصلح بين فريقين على مال يحمله
والجائحة الافة والقوام بفتح القاف وكسرها ما يقوم به امر الا نسان
والسداد بكسر السين المهملة ما يسد حاجة المعوز ويكفيه، والفاقة
الفقر والحجى العقل، وفي حديث اخر المؤمن لا يذل نفسه، ومن
افات الفقر الاستدانة، قال حكيم اذا اراد الله ان يذل عبدا جعل
في عنقه دينا، وقال علي رضي الله عنه هم الدين كوجع العين، وقال
رجل من الانصار يا رسول الله ارايت ان قتلت في سبيل الله مقبلا
غير مدبر ايكفر عني خطاياي، قال نعم الا الدين بذلك اخبرني
جبريل، وجاء في الحديث صاحب الدين محبوس عن الجنة بدينه
وفي خبر اخر من انظر معسرا الى ميسرة انظره الله بذنبه الى توبته،
وفي حديث اخر من انظر معسرا بعد حلول اجله كان له بكل يوم
صدقة، واجمع العلماء على ان ما احوج من الفقر مكروه وما
ابطر من الغنى مذموم، والكفاف حالة متوسطة بين الغنى
والفقر وهي حالة سليمة من افات الغنى الموقع اي في الافات
والفقر الموقع اي اتصل بالتراب، الرقعا من اسماء الارض مثل
قولهم ارمل اي افتقر، واتصل اي لصق بالرمل، ومنه قوله تعالى
او مسكينا ذا متربة، وجاء في الحديث خير امتي الذين لم يعطوا
حتى يبطروا ولم يقتر عليهم حتى يسالوا، الكفاية هي من قسمة

الغنى والفقر اقرب الى السلامة وابعد من الندامة وهي وان كانت
حالة متوسطة فهي الى الفقر اقرب واصحابها ليسوا من الذين يتمتعون
كما يترفه الاغنياء ويتمتعوا بالحيوة الدنيا وهم ان شاء الله تعالى صدر
كتيبة الفقراء الداخلون الجنة قبل الاغنياء وقال المعتمر السلمي
الناس ثلثة اصناف اغنياء واوساط وفقراء فالفقراء موتى
الا من اغناه الله بعز القناعة والاغنياء سكارى بتوقع الغير
الا من عصمه الله واكثر الخير مع اكثر الاوساط واكثر الشر مع اكثر
الاغنياء والفقراء لسخف الفقر وبطر الغنى شعر
خلقان لا ارضى طريقهما تيه الغنى ومذلة الفقر والفقر المذموم
على الاطلاق الافتقار لغير الله وروى ان رجلا قال يا رسول
الله ادبرت الدنيا عني وضاقت ذات يدي فقال صلى الله عليه
وسلم اين انت عن صلاة الملئكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون
ان تقول ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الغداة مائة مرة سبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله تاتيك الدنيا
راغمة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الى يوم القيمة ولك ثوابه
وفي حديث اخر من اتقى الله وقاه كل شيء باب في مدح الغنى
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا باس بالغنى لمن
اتقى وقيل لحكيم من انعم الناس عيشا قال من كفيهم الدنيا
بالغنى وهم الاخرة بالاحسان وقيل لا خوما لنا نجد من

يطلب

يطلب الغنى من العلماء اكثر ممن يطلب العلم من الاغنياء قال لمعرفة
العلماء بمرافق الغنى وجهل الاغنياء بشرف العلم وقال بعضهم
كن غنيا ان استطعت والا فكن حكيما فما عداهن غفلة انما سود
الفتى العلم والمال وما ساد قط فقر وجهل وان الغنى من لعافية
واللذات بالمؤنات وما قدر الدنيا حتى يحمد من يزهد فيها ومن
ولد في الفقر ابطره الغنى ومن ولد في الغنى لم يزده الغنى الا
تواضعا وان افتقر فلم يرده الفقر الا شرفا وجاء في الحديث
خير الناس من ينفع الناس طوبى لكل غني نفاع للغير وتبا لكل
دني مناع للخير وفي حديث اخر نعم المال الصالح للرجل الصالح
يصون به نفسه في الدارين المال الصالح هو الحلال والرجل
الصالح من ادى حق الله من ماله فان تصدق فله زيادة اجر
وفي حديث اخر الدراهم والدنانير خواتيم من خواتيم الله فمن
ذهب بخاتم من خواتيم الله قضيت حاجته وقال
ابن المعتز اذا كنت ذا ثروة من غنى فانت المفضل
في العالم وحسبك من نسب صورة تخبر انك
من ادم وجاء في الحديث ان الله ليصرف العذاب
عن الامة لصدقة الرجل منهم وان نوحا عليه السلام
كان اذا اكل طعاما او شرب شرابا او لبس ثوبا
قال الحمد لله فسمي عبدا شكورا وسئل سفيان الثوري

عن الرجل ايكون زاهدا وله مال قال نعم اذا ابتلى صبر واذا انعم
عليه شكر ووافقه سفيان ابن عيينه والزهرى وقالا من
لم تمنعه النعما عن الشكر ولا البلوى عن الصبر فذلك الزاهد بعينه
والسعيد من اذا ظلت نعم الله عليه دارة لم يشتغل بشكرها عن
شكرها الشكور مزاده والتقوى خير زاده قال السبكى ان الله
قطع بالمزيد مع الشكر ولم يستثن واستثنى فى خمسة اشياء
فى الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى
فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال سبحانه فيكشف
ما تدعون اليه ان شاء وقال تعالى ويرزق من يشاء ويغفر
لمن يشاء ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عز شانه
وعم نواله فى الشكر من غير استثناء ولئن شكرتم لازيدنكم ومن
قوت القلوب وان من لم يملك ما ملك لا يضره الغنى بعد ان لا
ينظر الى نفسه فيه كما لا يشهد له بل يجده فى خزانة الله التى
هى يده وتمليكه ويكون موقوفا فيها الى تنفيذ حكم الله من وضعه
فى مواضعه واخراجه الى اهله فهذا مستودع يؤدى الامانة ووكيل
يطيع الموكل به فمقام هذا من التوحيد وشهادته بعين اليقين
يزيد على مقامات الزاهدين ومحنة هذا المقام الذى تصح به
هذه العين هو استواء وجود المال وعدمه من حيث استواء
قلبه لمثبته عن التقليب للحيلولة بين الهوى والتحبيب بان جعله

سليما

سليما مما سواه انما هو محكوم عليه يجرى بحكم حاكم لا بهوى
نفسه وهو قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
وهذا تحقق وصف العبودية محضا للمعبود صرفا فحال هذا
العبد فى مرتبته عند الله بحقية المعرفة به والقيام بشهادة
قيوميته اعلا من مقامات الزاهدين فى الدنيا الدنية وفوق
درجات الراغبين فى الاخرة العلية وقال صاحب نزهة المجالس
فهمت من قوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء ان الماء اذا لم يتغير له لون ولا ريح ولا طعم فهو طاهر
وطهور وكذلك الغنى بالمال اذا لم يتصف بحرام وشبهة ولم يورث
صاحبه اعجابا وفخرا لا يضر من استغنى به وكل ما يرجح الغنى
ففى قوله صلى الله عليه وسلم لا باس بالغنى لمن اتقى ولكن من
الناس من يحتاج الى تفصيل واعراب وروى ان عيسى عليه
السلام قال لرجل ما تصنع قال اتعبد قال من يعول عليك قال
اخى قال اخوك اعبد منك لانه هو الذى اعانك على الطاعة
وفرغك لها وان الغنى والعوافى فى الانسان مثل الرجا فى
الاحوال من الناس من يقبل قلبه عندهما ويجتمع همه بوجودهما
ويوجد نشاطه وحسن معاملته بهما وروى ان لقمان كان
اذا مر بالاغنياء يقول يا اهل النعيم لا تنسوا النعيم الاكبر و
اذا مر بالفقراء يقول اياكم ان تغبنوا مرتين وقيل لعلى رضى

الله عندي شيء اقرب الى الكفر فقال ذو فاقة لا صبر له وقال لقمان
اذا اقبلت الحكمة خدمت الشهوات العقول واذا ادبرت خدمت
العقول الشهوات وقال ثلثة لا ينبغي لعاقل ان يدعهن ومن
الطاعة علم يحثه على عمل يتزوده وطب يذهب به عن جسده وصنعة
يستعين بها على امر معاشه وقال حكيم معاداة الاغنياء من عادات
الاغنياء فمن عادى معانا عادمها نا ولا تعادوا الدول المقبلة
تدبروا باقبالها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا
يقول اللهم لا تحوجني الى احد من خلقك فقال له لا تقل هكذا
قل اللهم لا تحوجني الى شرار خلقك قال من هم يا رسول الله
قال الذين اذا اعطوا منوا واذا منعوا عابوا **فصل ومما قيل في الغنى**
قال الله تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى اي راى
نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز
ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد راه اصله لان راه اي
لرؤيته نفسه استغنى كما يقال انكم لتطغون ان رايتم غناكم
وجاء في الحديث الزاهدون في الدنيا والراغبون في الاخرة
هم الامنون يوم القيمة وقال علي رضي الله عنه الغنى مادة البطر
واوصاف العبودية هي اخلاق الايمان وهي التي احبها الله
من المؤمنين ووصفهم بها مثل الخوف والتواضع وترك
العلو في الارض والفقر مضاف اليها واوصاف الربوبية

ابلي

ابتلي بها قلوب اعدائه الجبارين والمتكبرين مثل العز والكبر و
حب البقاء فالغنى مضموم اليها ومن اشتبه عليه ان الغنى
افضل لانه صفة الحق يقال له الحق غني بلا اسباب غني بوصفه
لانفراده عن الاسباب فان كان اشتبه عليه من جهة المعنى
لانه ان كان فضل الغنى على الفقر لان الغنى معنى صفة الحق
فينبغي ان يفضل المتكبر والجبار ومن احب المدح والعز والحمد
لان كل ذلك معنى صفة الحق فلما اجمع اهل القبلة على ذم من
كان ذلك وصفه كان الغنى في معناه وقال ارسطاطاليس اذا
اردت الغنى فاطلبه بالقناعة فانه من لم يكن له قناعة فليس
المال مغنيه وان كثر ربح العمر العيش يوما بيوم وقال لقمان
انه ليس بالموسر من كان يساره انما يبقى معه زمانا يسيرا و
من يمكن غيره ان ياخذه منه ولا يبقى له بعد موته لكن اليسار
هو الباقي دائما عند مالكه ولا يمكن غيره ان يسلبه اياه
ويبقى له بعد موته وهذه الصفات موجودة للعلم والحكمة
ومن دبر خصاله وقمع شهواته كان حكيما ومن تقطع حياته
صفرا من الاشياء قل تفجعه عند موته ومن طلب اكثر من
حاجته شغل عن منفعته ومن اشتغل بما يضره خفي عليه
ما ينفعه ومنع منه لا راحة لحريص ولا غنى لذي طمع وجاء
في الحديث ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب

المرء بنفسه، وفي رواية برايه وثلاث منجيات خشية الله في
السر والعلانية والعدل في الغضب والرضا والقصد في الغنى
والفقر، فهذه الصفات الستة نعوة ابناء الدنيا الراغبين فيها
وابناء الاخرة الزاهدين في الدنيا، والشح والهوى والعجب مجموعة
في حال الغنى وموجودة في مجمل من الاغنياء، وهي مهلكة
الهالكين، وفي الزهد الخشية والعدل والقصد وهي منجاة
للناجين، وفي حديث اخر من اخرجه الله من ذل المعصية الى
عز التقوى، اغناه بغير مال واعزه بغير عشيرة ومن خاف الله
خاف منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء، ومن رضي
من الله باليسير من الرزق رضي الله منه باليسير من العمل، ومن لم
يستحي من طلب الحلال خفت مؤنته، ونعم اهله ومن زهد في
الدنيا انبت الله الحكمة في قلبه واطلق بها لسانه، وبصره في
عيوب الدنيا داؤها ودواؤها واخرجه منها سالما، وفي
حديث اخر اقلوا الدخول على الاغنياء، فانه احرى ان لا تزدروا
نعم الله، الازدراء الانتقاص والعيب والاحتقار، وذلك
انما يكون عند مشاهدة الاغنياء وكثرة اعراضهم فخلو
الصدر منه اروح للقلب، واقر للعين، قال لقمان من اطلق
ناظره اتعب خاطره ومن كثرت لحظاته دامت حسراته،
العين باب القلب منها تدخل افاته وشهواته، ونعم حاجب

الشهوات غض البصر، وقال بعضهم شعر
منافسة الفتى فيما يزول، على نقصان همته دليل،
ومختار القليل اقل منه، وكل فوائد الدنيا قليل،
وجاء في الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض، انما الغنى غنى النفس
وفي رواية في النفس، معنى الحديث ان الغنى النافع الممدوح
هو غنى القلب، بان يكون قانعا بما رزقه الله لا يحرص على الازديا[د]
لغير حاجة، قاله القرطبي رحمه الله، وقال بعضهم شعر
من كان ذا مال كثير ولم، يقنع فذاك الموسر المعسر،
وكل من كان قنوعا وان، كان مقلا فهو المكثر،
الفقر في النفس وفيها الغنى، وفي غنى النفس الغنى الاكبر،
لان غنى النفس ينشاء عن الرضا بقضاء الله، وقسمه والتسليم
لامره علما ويقينا بان الذي عند الله هو خير وابقى، فهو
حينئذ يعرض عن الحرص ويلزم التوكل شعر
سل الله من فضله واتقه، فان التقى خير ما تكتسب،
ومن يتق الله يجعل له، ويرزقه من حيث لا يحتسب،
قال الله تعالى وقد خلقكم اطوارا، اي انواعا صحيحا وسقيما
وغنيا وفقيرا ومختلفي الطباع والشيم، وقال ابو حيان
الانسان وعاء القوى، وهدف الاعراض وله في كل شيء
مسلك وبينه وبين كل شيء نسبة وله نزاع الى الطرفين،

الى ماينحط عن الكمال، والى ما يعلو بالتنزه عن النقصان وهو
مرتهن بالاسباب العالية والدانية، وتابع للغالب ومنجذب
مع الجاذب، وفاعل فيما علا وغلبه وقبل اثره وقابل لما انحط
عنه، وسرى اليه اثره فاذا اقتربت النفس من العقل ازدادت الانفة
والسماحة، واذا ابعدت منه اختارت طاعة الجسد والبخل عما
سواه، وقال افلاطون احسن ما في الانفة الترفع عن مطالب
الناس، وترك الخضوع لما زاد عن الكفاية عزيز النفس وعزيز
العقل هو الذي لا يذل للفاقة، لا تجرد شهوتك من العقل
واستعن عليها بالغضب والا كنت بهيميا، وجاء في الحديث
من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في
يديه شعر ولست ارى السعادة جمع مال، ولكن السعيد هو التقي،
وجاء في الحديث من اراد ان يرزقه الله علما بغير تعلم وهدى بغير
هداية فليزهد في الدنيا وقال بعض الحكماء طالب الغنى طويل
العنا دائم النصب كثير التعب قليل منه حظه خسيس منه نصيبه،
شديد من الناس حذره، ثم هو ما بين قوي يرعاه ويفغر عليه
فاه، وبين ضعيف يحسده واكفاء ينالون منه واعداء يبغون
عليه، وولد يودون مودته وجيران يقعون فيه ونوائب
تعتريه ومصائب تحتازه، وحقوق تجب عليه يمقت على منعها
والعاقبة الى حسرة وندامة شعر

وكانما

وكانما ثروة السري اذا انتمى، جرم جناه على الوضيع الاصغر،
فانه عن تمنى ما لم ينله احد الا قل متاعه به وكثر عناؤه فيه،
واشتد مؤنته عليه، وعظمت رزيته لفراقه الراضي القانع
امنا مستريحا بخلاف الشره الحريص، خير الاخلاق اعونها على
الورع، ولا ورع كالكف، ولا غنى كالرضا وقال بعضهم شعر
اراك يزيدك الاثراء حرصا، على الدنيا كانك لا تموت،
فهل لك غاية ان صرت يوما، اليها قلت حسبي قد رضيت،
وقال حكيم كلما زاد المال كثرة كان الخارج منه اشد حسرة،
ليس الراى الا تحصيل غنى النفس، استحب الفقر مع الحلال على
الغنى مع الحرام، واحذر ان تفعل ما يجلب عليك الحسد اذا اراد
الله ان يسلط على عبده من لا يرحمه سلط عليه حاسدا، ولا
يظن ظان ان اصحاب الاكثار من الدنيا والفضول لهم من
فضل الراحة، واللذة بحسب ما عندهم من عروض الدنيا بل يعلم
يقينا ان الغاية التي يمكن بلوغها من لذاذة العيش وراحته
هو الكفاف، وان ما فوقه من احوال المعاش متقاربة بعضها
لبعض، ثم للكفاف بعد ذلك فضل الراحة من وجوه كثيرة،
فاى وجه لفضل الفضول الا اتباع الهوى، دون العقل
فيه، الفضيلة موجودة في كل طبقة وليست تباع بالثمن انما
هو حسن تفعله قولا ان لم يكن بذل، وصمت ان ضر القول،

وانت تستحقها بهذا القدر ان لم تستطع اكثر منه وعلى حسب
التزيد فيما تجد السبيل اليه يجب عليك التزيد فيها خصلتان
مذمومتان الاستطالة مع السخاء والبطر مع الغنى وقال
علي رضي الله عنه ما منع مال من حق الا ذهب في باطل ان الله
فرض اقوات الفقراء في اموال الاغنياء فما جاع فقير الا بما
منع غني والله سائلهم عن ذلك اقبح من فاقة الغني رجوع
الامال عنه قال ابو الطيب شعر
الغنى في يد اللئيم قبيح، مثل قبح الكريم في الاملاق، وقال
الشيخ ابن العربي مسالة الغني الشاكر والفقير الصابر مسالة
طبولية يعني مسموعة مشهورة وغاية ما قال الناس فيها
ان الغني افضل لتصدقه والذي عندي في ذلك انما كان ي
افضل لاجل سبقه الى مقام الفقر ومساعدته اياه بالصدقة
فله زيادة اجر وهو كان نقصه من الدرجة على قدر ما امسكه
وقد يحتج متوهم لفضل الغني على الفقراء عنده بقوله تعالى
مخبرا عن الفقراء تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا
يجدوا ما ينفقون، فلم يكن بكاؤهم على فوت الدنيا ولا على
طلب الغنى والله يمدحهم بصبرهم عن الدنيا وبذلهم الدنيا اليهم
لكن كان حزنهم على طلب المزيد من الفقر ليجدوا الانفاق فيخرجوا
فيفتقروا منه فيزدادوا فقرا من الدنيا بذله الى فقرهم،

فعلى

فعلى كثرة الانفاق وحقيقة الفقر من الدنيا كان حزنهم فهذا
فضل ثاني للفقر الا على الجمع والادخار والموضع الاعلى الذي
فضل به الفقراء من هذه الاية عند اهل الاستنباط والدراية
هو مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم في حاله ووصف
الله تعالى رسوله بمثل حالهم في قوله تعالى قلت لا اجد ما احملكم
عليه ثم نعتهم بمثله فقال سبحانه الا يجدوا ما ينفقون فان
كان لا بد من مال فسخره لك لا مسلطا عليك بل تكون انت المسلط
عليه لا المسخر له ويكون مالك هو المسخر لك فهذا من حسن التوفيق
للاغنياء وقال يحيى ابن معاذ الرازي مصيبتان لم يسمع بمثلهما
الاولون والاخرون للعبد في ماله عند موته يؤخذ منه كله
ويسال عن كله وقال علي رضي الله عنه ما سرت الدنيا بقدر
ما ضرت فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها
وان امرءا ذهب ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير ان
تطول حسرته لا فخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى ولكن بين
الرقود النظر الصحيح مفقود، ويقال اكثر العوام كالهوام و
اكثر الاغنياء اغبياء وقال الحكيم اذا كان العبد ملتبسا بحال
من احوال دنياه وكان له فيها شغل يمنعه من الاعمال الصالحة
واحال ذلك العمل على فراغه من تلك الاشتغال وقال اذا
تفرغت عملت فذلك من رعونة النفس والرعونة ضرب من

الحاقة وحماقته من وجوه الاول ايثار الدنيا على الاخرة وليس هذا
شان عقلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلب منه وامر به والاخرة
خير وابقى والثاني تسويفه بالعمل الى اوان فراغه وقد لا يجد مهلة
بل يختطفه الموت قبل ذلك او يزداد شغله فان اشتغال الدنيا
يتداعى بعضها الى بعض كما قيل شعر
فما قضى منها احد لبانته ولا انتهى اربا الا الى ادب
والثالث ما الذي يؤمنه من تبدل عزمه وضعف نيته ثم فيه
من دعوى الاستقلال ورؤية الحول والقوة في جميع احواله
ما يستحقر في جنب جميع هذا بل الواجب عليه ان يبادر الى الاعمال
على اي حال كان وان ينتهز الفرصة فان فرصة الامكان سريعة
الفوت ويحذر مفاجات الموت وان يتوسل الى الله في تيسيرها
عليه وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها قال افلاطون لا
تدفع عملا عن وقته فان للوقت الذي تدفعه اليه عملا اخر ولست
تطيق ازدحام الاعمال لانها اذا ازدحمت دخلها الخلل وقال
الحسن البصري اول الشغل بالدنيا اول البعد عن الله وكلما
زاد الشغل شغلا ازداد البعد بعدا وان ذا الشرف محسود
او حاسد ومحقود عليه او حاقد ولا يخلو من ود ويمدح
وحسود يقدح وقد يحسد الانسان على سعد يذبح ورب
مغبوط بنعمة هي داؤه ورب مرحوم من سقم هي شفاؤه

ما اثر الدنيا على الاخرة حكيم وما عصى الله كريم شعر
اشغل فؤادك بالتقى واحذر زمانك تلتهي واعمل لوجه واحد
يكفيك كل الاوجه روي ان اويس القرني كان يقول انفع
انفع كلمة قالها حكيم اعمل لوجه واحد يكفيك الوجوه كلها
وقال سفيان الثوري ما من ضلالة الا عليها زينة وفي
اهلها لها رغبة والتعمق في الباطل قطع لامال الرجوع عنه
واذا لم يكن لله في العبد حاجة خلا بينه وبين الدنيا شعر
كن بما اوتيته مغتبطا تستدم عيش القنوع المكتفي
ان في نيل الغنى وشك الردى وقياس القصد عند الشرف
كسراج دهنه قوت له فاذا اغرقته فيه طفى رغبة العاقل
فيما يكفيه وهم الجاهل فيما لا يعنيه واشرف النظر تمييز الا
رفق وايثار ما يدوم نفعه ولا يرى ذلك قبل بوز الحكمة
بالزهد في الدنيا انظر النفس للنفس هو العناية بالنفس
ان العيش زهيد والتبعة مخوفة واولى الناس بالسعادة
اقلهم ذنوبا واتركهم للامور التي عاقبتها فساد وثمرتها
عقاب الاخرة الهوى يلازم ضعف العقل فمتى كان الا
نسان اوفر عقلا كان اقل هوى فاذا قل الهوى كره الانسان
زينة الدنيا وجانب الشرور والخوض في الفضول ولزم
ما يعنيه واخلص الطاعات ورحم الخلق واذا قل عقل الانسان

مال الى الاشياء الدنية وولهج بالفضول واكثر الخوض فيما لا
يعنيه فاذا انكر العبد شيئا من اخلاقه فليستغث بمولاه ليصلح
فاسده فان للدعاء تاثيرا بينا فى الاشياء قال صاحب المختار
الادعية والاذكار لتوجيه القلب الى المطلوب والمؤثر هو لا هى
ولكن لها دخل فى افادة قوة التوجه وشدته كانها رابطة تربط
القلب الى المطلوب لحصول التوجه التام المؤثر لا من نفس الادعية
والاذكار فقط لكن تفيد شدة حضور النفس وتوجهها
بكليتها الى ذلك الامر فافهم حتى يتضح لك سر التوجه التام قال
الله تعالى ادعونى استجب لكم والامر بالدعاء وعدا بالاجابة
وان هذه الاهوى من بلايا هذا العالم والطريق فى تقليلها
تسكين النفس ومعاشرة الاخيار العقلاء فلا يكاد احدهم
يدخل فى امر يقبح عليه والله قد جعل هذه العقول لعباده
انوارا يستضيئون بها فهى اصول الخيرات فى امورهم قاطبة
فهم بتفاوتهم فى العقول تتفاوت طبقاتهم فى الاعمال الدينية
والاحوال الدنيوية فلا يغرنك ما ترى فى بعض الناس من ذى
وابهة فان كان مع ذلك سداد افعاله وحسن تدبيره والا فلا
تحفل به ولا تعول عليه فان ذلك قد يكون فى اقوام ضعيفة
عقولهم لادراكات الحسية ليست بفضيلة ولا اصحابها
معدودون فى قسم العقلاء وقل احد ان يسلم من الهوى

ولكن

٨٩

ولكن قد يقل ويكثر ويخفى ويظهر على قدر مغالبة العقل له
وعلى قدر قوته وضعفه فالعاقل يدارى هواه مداراة و
السخيف يعجز عن ذلك لضعفه فيظهر هواه ويسوء حاله و
ان العقول تصيب وتخطى والاراء هى اقصى غايات العقول
وقد يعرض لها الزلل ومن اكثر الالتجاء الى الله تعلقت به
عنايته فقومه وسدده واراه وجه الصواب فتاب واناب
وان الضلالة لها حلاوة فى قلوب اهلها فلا يجدون الحرام
الا حلوا وان كثرة المال والاعوان والشهرة والشان من
اكبر اسباب الخسران وقد اراد الله عبدا علم ان الانسان لا يقبل
النصح المجرد فاذا ظهر سلطان العقل على الانسان جاءته
الصفات الحميدة والاخلاق المرضية والطباع الكريمة
ومال حينئذ الى الزهد فى الدنيا وعرفت نفسه هذه الملاذ
الفانية واكثر ما يكون العقول فى اصحاب القلوب الرقيقة
اللينة فهولاء اصحاب الفهوم الثاقبة والاراء الصائبة و
تقل العقول فى اصحاب القلوب الغليظة القاسية يقتحمون
الامور القبيحة ولا يبالون ان يرون بعين نقيصة لقسوة
قلوبهم وكثافة ارواحهم واكثر ما يكون الاشرار من هذا
القسم فان هذه القلوب اللينة السليمة فى راحة بما منحوا
من الافهام وعمارة البواطن وعموم الناس فى خباط

الاقتحام الدخول فى شدة

ونزاع يضيعون اعمارهم النفيسة في الهوس، ويلهجون بامور
لا تجدي عليهم، ولا تزيدهم الا حيرة **شعر**
سقطت نفوس ذوي العقول فاصبحوا، يستحسنون مكاسب الانذال،
وقال معروف الكرخي ازهد الناس من لا يبالي الدنيا في يد من
كانت، طوبى لمن اخرجته السعادة من باب الشقا وادخلته
الصيانة باب الاتقا، عمل محسوب، وميزان منصوب، ومجاز قاصد،
وكتاب لا يغادر، وثواب وكل راجي، وعقاب، وفاز الناجي،
طوبى للمتقي الخامل العالم العامل، صن كنزك في التراب وسيفك
في القراب، يعني كن كنزا مستورا، ولا تكن سيفا مشهورا،
كيف يحرص على الدنيا لبيب، ويسر بها اريب، وهو على ثقة من
فنائها غير طامع في بقائها، ويقال من رتع وقع، ومن لقط
سقط، وقال سليمان ابن عبد الملك لعمر ابن عبد العزيز وقد
اعجبه سلطانه كيف ترى ما نحن فيه قال سرور لولا انه غرور،
ونعيم لولا انه عديم، ومال لولا انه وبال، ومحمود لولا انه
مفقود، وعلا لولا انه بلاء، وغناء لولا انه عنا وارتفاع لولا
انه اتضاع، ولذات لو لم تقترن بافات، وكرامة لو صحبتها سلامة،
وفرحة لولا تعقبها ترحة، وحيات لولا انها ممات، ومن
الامثال خير واد ليس فيها مهلك، لا تسكن الا السهل ان
اردت ان تكون من الاهل، ولا تسال الله ما لا يدوم لك،

نفعه، رب فرصة تؤدي الى غصة، وعطب تحت طلب اغبطوا
الناس باجتناب الذنوب لا بالغنى، لان الغنى يصيب اهله
منه فرحا قليلا وحزنا طويلا، وان اهل الاجتناب من الذنوب
يصيب اهله منه نصيب قليل، وامن طويل، والسرور ما كان
معه رجاء الحسن معاده، فاما ما سوى ذلك فهو مطرح عند
ذوي الالباب، قال ابو الطيب **شعر**
اشد الغم عندي في سرور، تيقن عنه صاحبه انتقالا،
وقال لقمان المفروح به هو المحزون عليه، ليس الصفو ما عاد
كدرا، ولا الكدر ما عاد صفوا ولكل مدة غاية، وجاء في
الحديث، تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم، وكان عمر
رضي الله عنه يقول اقدحوا هذه الانفس، فانها اسال شيء
اذا اعطيت، واعطى شيء اذا اسألت، كن نصوحا لنفسك
فليس احد ادنى بك منك، الانسان الى تجنب ما يضره احوج
منه الى تناول ما ينفعه، ولكل شيء صناعة، وصناعة العقل
حسن الاختيار، وان الارجح هو اختيار القليل من الدنيا،
والدليل على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم عرضت عليه
كنوز الارض فلم يقبلها، وقال افلاطون ليس بطول الالتذاذ ذلك
بشيء حسي، ولا طبيعي، لانه سريع التنقل والحركة وانما
يثبت لك الالتذاذ بالاشياء العقلية التي تثبت ولا تحتاج

الحراسة هيو لاهاه وقال سلطان العقل على باطن العاقل
اشد من سلطان السيف على ظاهر الاحمق لا تعاشر ذوى اليسار
دون غيرهم وترى انهم اخف عشرة واقل مؤنة عليك من سائر
طبقات الناس فان مودتهم فاسدة ورياستهم كاذبة وبهم
يشتد حرصك ويقسو على اهل المسكنة قلبك وانت منهم في
حسد قائم وتعير لازم ولكن عاشر ذوى النباهة في الراى لئلا
يغيب عنك علم ما يتوقع من محبوب او مكروه وليس يحيى الفضائل
الا من مات موتا اراديا مال الغنى وبال عليه ما وجد ظاهر
الخلة شديد الفاقة مكديا لاكتساب لا تنصب في نفسك
جميع ما يعدك الامل فتحرب في الحرص وتسرف في التواضع و
تشقى في الرد ولكن امزج ما ترجوه من الامل بما تخافه فان هذا
يوفر سعيك ويعظم قدرك ويسليك عما قصرت عنه وجاء في
الحديث لا تبالوا من ذل الدنيا وشدتها فان ذل الدنيا وشدتها
لصاحبها عز وراحة في الاخرة وقال بعض الحكماء اخرجوا من
الدنيا قلوبكم قبل ان يخرج منها ابدانكم ففيها حييتم ولغيرها
خلقتم وان الرجل اذا مات قالت الناس ما ترك وقالت
الملئكة ما قدم قدموا بعضا يكون لكم ولا تخلفوا كلا
يكون عليكم الزهد معرفة الدنيا والترك لها بالتقلل منها
وقد يكون دوام العوافي والغنى من العقوبات اذا كانا

سببين

سببين الى المعاصى والفرح والسرور بما نال من الدنيا مع ما
لا يبالى ما خرج من دينه من العقوبات وما احد يعطى من الدنيا
شيئا الا قيل له خذه على ثلثة اثلاث ثلث هم وثلث شغل وثلث
حساب وقال بشر ابن الحارث من سال الله الدنيا فانما
يسال طول الموقف وقال حكيم ما اصنع بدنيا ان بقيت لها
لم تبق لي وان بقيت لي لم ابق لها ويقال كنية الدنيا ابو
الفنا وكنية الادميا ابو الجفا فلا تطلب من الفنا بقا ولا
تطلب من الجفا وفا وقال لقمان القنية بيت الاحزان وقال
افلاطون خير حظك من الدنيا ما لم تنل لانها شرور وغرور
وقال وهب ابن منبه حكيم العرب كل ما فاتك من الدنيا فهى
غنيمة اذ ليس عليك حسابه وما اصبت منها من حل فعليك
حسابه ومن حرام فعليك عقابه شعر
هذه الدنيا وهذا شانها اتعب الناس بها اعوانها وذو
الاحلام قالوا انها حلم يقضى بها يقظانها ذوا الاحلام
اهل الحلم والعلم وقال الحسن البصرى من اراد نعمة زائلة
وحياة منقطعة فقد ظلم نفسه ونسى الاخرة وعزة دنياه
واراد ظاهر الاثم وباطنه لا خير في عز ادى الى مذلة و
لا خير في مسرة ادت الى حسرة واذا اردت ان تعرف
منزلة الدنيا عند الله فانظر في يد من هى واذا تيسر الانس

بالله لم يكن مطلب المحب الا الانفراد والخلوة وكان ضيق الصدر
من معاشرة الخلق متبرما بهم فان خالطهم كان في جماعة
منفردا بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر وحلاوة الفكر
فان قلوب المغترفين من المعرفة منابر الملئكة وبطون المتلذذين
بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة ومن تورط بجهله عثر
بذيل امله واغتراره وتعامى عن شمس نهاره وسقط سقوط
الذباب على الشراب وتهافت تهافت الانسان بجالة اصوب
دع الونا وخل الهوينا الامراهم والخطب الطم فخذ ما هو
لدينك اصون ولا تاخذ بما هو عليك اهون واصل ذلك كله
والمرجع اليه هو طلب السلامة وما لك من دنياك الا ما
اصلحت به مثواك توفيق قليل خير من عقل كثير وقال بعض
الحكماء اذا فسد الزمان كسدت الفضائل وضرت وكان
خوف الموسر اشد من حزن المعسر وروى عن عمر رضي الله
عنه انه قال سمعت رسول الله يقول ان فقراء المسلمين يدخلون
الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم فقيل يا رسول الله وما نصف
يوم قال صلى الله عليه وسلم خمسمائة عام وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون قال الامام القرطبي في ذلك مثله
كمثل سفينتين في هذا البحر مرت واحدة وليس فيها شيء
فقال صاحب البحر خلوا سبيلها ومرت الاخرى موقرة

فحبست

فحبست لينظر ما فيها ثم يخلوها ولا شك ان العلائق عوائق عن
الحقائق نور الحقيقة احسن من نور الحديقة اقطع العلائق
واهجر الخلائق شعر فاز المخفون في الدنيا ولا عجبا في فوز
اخرى بهذا قد اتى الخبر واعلم ان الدنيا ليست محذورة لعينها
ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله ولا الفقر مطلوب لعينه
ولكن فيه عقد العوائق الوصول الى الله هو العلم به وقربك
منه ان تكون شاهدا لقربه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال للصحابة لان تصبروا على ما انتم عليه احب الي من ان
يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكن اخاف ان تفتح
عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السماء
بعد ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه وقال بعض
الحكماء اطلب الغنى الذي لا يفنى والحيوة التي لا تتغير والملك
الذي لا يزول والبقاء الذي لا يضمحل ولا ترغب في فضول
الدنيا فانك قليل البقاء فيها قارن اهل الخير تكن منهم وباين
اهل الشر تبن عنهم ولا تكن سخط من رضاه الباطل وكفى من
العقل ما اوضح سبيل الرشد من الغي باب في مدح القناعة
والقناعة في اللغة الرضا بما قسم الله له والاكتفاء بقدر
الضرورة والرضا به وروى عن ابن عباس رضي الله عنه في
قوله تعالى ولنحيينه حيوة طيبة القناعة وقيل في قوله

تعالى ان الابرار لفى نعيم اى لفى قناعة فى الدنيا وقال مجاهد رضى
الله عنه سال موسى عليه السلام ربه عز وجل اى عبادك اغنى قال
الذى يقنع بما اوتى وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم ما القناعة
يا رسول الله قال الياس مما فى ايدى الناس ومن كلام الحكماء ظرف
السخاء الواقع فى النفس التنزه عما فى ايدى الناس فهذا وصف
يشمل السخاء والقناعة وهى صفة جامعة لهما ينبغى ان يقال
لمن اتصف بها سخى قانع والمروة التامة مباينة العامة وجاء
فى الحديث من ياس من شئ اغناه الله عنه ومن رضى بما قسم
الله له بارك الله له فيه شعر
ان الغنى هو الغنى بنفسه ولو انه عارى المناكب حافى ما كل ما
فوق البسيطة كافيا فاذا قنعت فبعض شئ كافى وجاء فى
الحديث من اصبح امنا فى سربه معافا فى بدنه ما لكا قوت يومه
فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها اى بجملتها وكليتها يقال ملك
كذا بحذافيره يعنى جميعه بحيث لم يبق منه شئ جمع حذفود
او حذفار وهى الناحية وقال فى النهاية الحذافير الجوانب وقيل
الاعالى ومن قوت القلوب روينا ان الله تعالى يقول ان عبدا
اغنيته عن ثلث لقد اتممت عليه نعمتى عن سلطان ياتيه وطبيب
يداويه وعما فى يد اخيه وليس فى القناعة الا الم الصبر عن
الشهوات والفضول وهذا الالم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب

الاخرة

الاخرة وانما الشهوات شهوات لمشتهيها وجاء فى الحديث خيار
امتى القانع وشرارهم الطامع وقال على رضى الله عنه من كرمت
عليه نفسه هانت عليه شهوته كفى بالقناعة عزا وبحسن الخلق
نعيما وقال بعض الحكماء كل العيش جربناه فوجدناه يكفى ادناه
فاستظهرنا على الدهر بخفة الظهر شعر
يكفى قليل المال بل الثرى والطين رطبا بله اليبس وكل نفس ولها لازم
صاحبها وهو بها ابصر وقال لقمان الرضا بالكفاف يؤدى الى
العفاف وطلب ما فوق الكفاية اسراف ومن قنع اراح واستراح
انما الدنيا عافية وكفاف وامن وعفاف وسلامة وانصاف
الكفاية بلغة وما زاد عن الحاجة ابتلاء ومحنة ومن الامثال
حسبك من القلادة ما احاط بالعنق من شاء ان يكثر او يقلل
حسبك ما بلغك المحل وقال سفيان الثورى القناعة شرف
المؤمن فى الدنيا ومنزلته فى الاخرة وعز المؤمن استغناؤه عن
الناس شعر ان الغنى عن لئام الناس مكرمة وعن كرامهم ادنى الى الكرم
وقال حكيم الدنيا من طلبها نصب ومن ملكها تعب ومن جوبها
عتب ومن رغب فيها صار عبدا لاهلها ولم ينل الا ذلها
العبد مستحق الذم عاجلا والعقاب اجلا لسوء مباشرته اشيا
ودخوله باختياره من بابه من قنع طاب عيشه ومن طمع طال
طيشه راحة النفس فى الياس ومن جاوز الكفاف لم يغنه

الاكثار ومن قنع باليسير هان عليه كل عسير يعني من تخلص من
قيد الطمع وضيره سهل عليه ما يصعب على غيره ما اكتسبت
القلوب الريون الا من كثرة فضلات البطون ومن حفظت
حواسه تعطرت انفاسه والعجب ان الخمول نعمة وكل احد يا باه
والظهور نقمة وكل احد يتمناه قال عبد الملك ابن مروان لاعرابي
تمن قال العافية قال ثم ماذا قال رزق في دعة ثم قال ماذا
قال الخمول لاني رايت الشر الى ذي النباهة اسرع شعر
لقد رضيت همتي بالخمول وصدت عن الرتب العاليه وما
جهلت طيب طعم العلا ولكنها تؤثر العافيه شعر
وان قراب البطن يكفيك ملئه ويكفيك سوات الامور اجتنابها
وقال حكيم شرف النفس مع قصر الهمة اولى من علو الهمة مع دناءة
النفس لان من علت همته كان متعديا الى طلب ما لا يستحق
ومتخطيا الى التماس ما لا يستوجبه ومستشرفا الى فعل ما
لا يجب ومتطلعا الى ما يستغني عنه والباعث على ذلك شيان
كثرة الشره وقلة الانفة وحسم هذه المطامع شيان الياس
والقناعة والمانع شيان الحياء والحذر وشرط المروة في
نفسه العفة والنزاهة ومن شرفت نفسه مع قصر همته فهو
تارك لما يستحقه ومقصر عما يجب له وفصل ما بين الامرين
ظاهر وان كان لكل واحد من الذم نصيب والصيانة هي

صيانة

صيانة النفس بالتماس ما يكفها عن تحمل المنن والاسترسال في
الاستعانة شعر طوبى لمن عاش في امان ونفسه فيه مطمئنة
ولا له في الورى عدو ولا لشخص عليه منه شعر
فضول العيش اكثرها هموم واكثر ما يضرك ما تحب اذا
اتفق القليل وفيه سلم فلا ترد الكثير وفيه حرب وقال
حكيم اعلم ان رايك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم ليس بنصيبك
من الدنيا غنى وانت الى نصيبك من الاخرة افقر سوة لمن
اعطى الراحة فجزع لفقد التعب قال ابو الطيب شعر
واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرامها الاجسام النفس
واحدة وصفاتها متعددة تتبدل اذا اعطيت اهويتها
فتارة تتبع القلب والروح وتارة تميل الى جانب الطبع و
حقيقتها كالروح لا تعرف وتعلق العلم بها بحسب خواصه
وقال بعضهم شعر طيب الحياة لمن خفت مؤنته ولم تطب لذوي
الاثقال والمؤن هذا يقضي بيسير عمره طربا وذا يذوب من الاهوال
والمحن فاجهد لزهدك في الدنيا وزينتها ان الحريص على الدنيا لفي حزن
وكلهم يزعم انه راشد وكل راي غير راي فاسد اعمل لما تخاف وما
ترجو حسب الغريق مغنما ان ينجو ولو كانت الدنيا وما فيها
لرجل واحد لم يكن له منها الا قوت يغذيه وبيت يؤويه و
ثوب يستره فلم يكن له الا ما يدفع عنه الاذى والحاجة فاما

اخر

ما سوى ذلك فليس له منه الا ما لعينه من خط العين والنظر شعر
لو بدت سافرا اهينت ولكن شغف الناس حسنها في النقاب
يعني كما قيل شعر يا من غدا في حبه والها مسلوب ما اهواه من لبه
لو فكر العاشق في منتهى الحسن الذي اسباه لم يسبه شعر
ومن يحمد الدنيا لشئ يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها
واصل الزهد هو الاستقلال يقال هذا شئ زهيد اي قليل
واذا استقل الشئ دق في عينه وحقره وتهاون به وجاء
في الحديث لو ان رجلا له خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة حتى
يرضي خصمه فما ظنك بعد هذا شعر انا والله اشتهي سحر عينيك
واخشى مصارع العشاق وجاء في حديث اخر من راى مبتلا
فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به هذا وفضلني عليه وعلى
كثير من خلقه تفضيلا عافاه الله من ذلك البلاء كائنا ما كان و
قال بعض الحكماء من قنع استراح من اهل زمانه وفاق على اقرانه
ومن عف خف على قلوب اخوانه من قنع برزقه استغنى ومن صبر
نال ما تمنى شعر ومن كلفة النفس فوق كفافها فما ينقضي حتى الممات
عناؤه وقال بعضهم ياس القلب راحة النفس ورب زيادة هي
نقصان فائدة ولفساد قائدة لا يزال المؤمن بخير ما كان له واعظ
من نفسه وكانت المحاسبة من همه شعر

لیسعى

يسعى الفتى في صلاح العيش مجتهدا والعيش ما عاش في افساده ساعي
يعني ما جاء في حديث كفى بالسلامة داء غز القدرة طرح
مؤن الاستكثار وما الراحة الا في القاء الحشمة قال البناي
رحمه الله شعر حسبك القنع منصبا وكفى المرء نعيما مخاطرات الكرام
هي اهنى موارد العيش لكن كدرتها مؤنة الاحتشام وقال
علي رضي الله عنه لا شرف اعلا من الاسلام ولا كرم اعز من
التقوى ولا معقل احرز من الورع ولا شفيع انجح من التوبة
ولا لباس اجمل من العافية ولا مال اذهب للفاقة من الرضا
ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد تعجل الراحة وتبوء الدعة
وخفض العيش والحرص مفتاح التعب ومطية النصب وداع
الى التقحم في الذنوب والشره جامع لمساوي العيوب وكفاك
ادبا لنفسك ما كرهته لغيرك ومن تورط في الامور من غير نظر
في الصواب فقد تعرض لمدحات النوائب والطمع فخ من
فخاخ ابليس وشرك من عظيم احتياله يصيد به العلماء وذوي
البصائر ومن كانت همته عالية لم يظهر همته تاثير في الدار
الفانية فانها تفنى بفنائها وترحل عن فنائها ومن كانت
نفسه مهذبة بالمعارف مكملة بالعوارف متسمة بالاخلاق
الحميدة متصفة بالسجايا الكريمة والطباع السليمة فحقيق
ان لا يكون لها قيمة وما سواها مهين مبتذل ولعمري ان

النفوس الخيرة الزكية الابية الكاملة لو كانت تشترى بعوض لكانت
اعلاما فى ايدى الناس من الجواهر والذهب ولكنها فيض من
رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من امره على من يشاء من
عباده ويقال الشرف فى التواضع والعز فى التقوى والحرية
فى القناعة وان الامور الخطرة لا يدرى صلاحها من فسادها
فان الامور مبهمة فكم شر فى صورة خير وضر فى هيئة نفع فا
ذا اردت الامور قطعا واخذت باختيارك فما اسرع ما توقعك
فى ندامة وان من كان فى يده شئ فليس له وليس بباق معه وان
الدنيا تعظ من بقى بمن مضى وهذا الجسد ذو افات تنقيه الحيوة
وهى الى نفاد ومن الحكم المتداولة ربما اقترن خفض العيش
بخفض المنزلة وكانت المعاطب فى المناصب وقال بشر ابن الحارث
الحافى ما امر الله بشئ الا واعان عليه ولا نهى عن شئ الا واغنى عنه
من طلب المكارم اجتنب المحارم ومن طلب عزا بباطل اورثه الله ذلا
بحق ومن بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية ما يكره وكفاك من كل
يوم خبر يورده عليك ويعلمك ما فيه من عبرة وتاديب فمن فهم
عن الايام اورت زناده وسطع نور علمه ولم يفتقر الى غير نفسه
وعلى حسب حالة عقله واعانة فهمه له يكون اشرافه على الامور
فاما ذو الغفلة فلو صحب الدنيا بعجايبها فيما تصرفت به على
القرون لكان جذعا فى الغرة متدلها فيما يحدث لغفلته فى

زمانه

زمانه وقلة تحفظه لما تفيده الايام من تجاربه لان الغفلة
ظلمة راكدة والمعرفة مصباح مضئ للخليقة ولولا غيبة المخلوق
وما يعزب من عقولهم من عجيب فطرهم لكان فيما يقف المرء عليه
من نفسه مشغلة عن التعجب من غيره ولن تحصل الفضيلة الا
بعد مغالبة النفس والهوى فانظر ما تحمد من غيرك فلا تزينن
من نفسك الا به وقد رفع الله لكل خلف اعلام سلف وايدهم
من بعدهم باخبارهم فاصحب العقل واصبر على صيانة نفسك
فان صاحبها على ذروة من الشرف وان فى فصوص الافلاك
الدائرة ما يغنى عن نصوص الامم الغابرة اللهم الا اذا عميت
عين الروية والاعتبار وصمت اذن الخبرة والاختبار والفضيلة
لو كانت لا توجد الا فى البلد النازح بالمؤن العظام وجب على
من عرف قدرها ان يلتمسها على كل حال لكنها فى اخلاقك مستكنة
فاقدحها تنشر دونها وتظهر عندك جلالتها وتنلها بان
تدع كل ما تكرهه من غيرك وترفض ما يشين اهل التقى ونفيس
الاخلاق وقال حكيم القانع بما رزقه العزيز العليم راتع
فى حدائق النعيم شعر يا من يروم نعيما يدوم فيه السرور
كن قانعا بقليل فالعمر منه قصير وقيل لافلاطون ما سرور
الدنيا قال الرضا بما رزقت منها قيل فما غمها قال الرغبة فيها
والحرص عليها شعر ومن ترك الدنيا واصبح زاهدا فما للاذى يوما عليه سبيل

وجاء في الخبر اغنى الغنى ترك المنى، ومن كلام الحكمة اذا قل العقل
كثرت الاماني شعر ليس من بات معتقا من امانيه كمن بات للاماني
رقا، ان المرء في الحيات على الله الى ان يموت عمرا ورزقا، خلني من
حديث كد وسعي، واغتراب في الارض غربا وشرقا، ما الذي اقتنيه
من عرض يفنى، اذا كان جوهري ليس يبقى، وقال بعضهم شعر
لقد شكت الكرام بكل ارض، صنيعا ان لم بها ملم، عليك الياس،
فاجعله شعارا، فليس عليك بعد الياس هم، واذا اهمل العبد
تقوى الله وتساهل في المحرمات والاثام، ساءت اخلاقه واختلط
عليه امره، نصيب كل عبد من الجهل على قدر نصيبه من الغفلة،
ونصيبه من الغفلة على قدر حبه للدنيا وحب الدنيا على قدر قوة
الهوى، وقوة الهوى على قدر غلبة سلطان النفس، ونشر صفاتها
وقوة صفات النفس على قدر ضعف اليقين، وذلك عن كثافة
الحجاب وبعد العبد، والحجاب والبعد يورثان الحرص والكبر وقسوة
القلب، والقسوة تورث الانهماك في امور الدنيا وادمان المعاصي،
عن الاعراض، والاعراض عن المقت والمقت عن قلة عناية المولى بعبده
وسوء النظر له، فمن جرى بجواد اليقظة احرز قصبات الامال،
ومن اهتدى الى جواد الفطنة امن قواطع الضلال ومصارع
الاغتيال، ومن اقتدى بعلوم الحكماء في اقتناء الاخلاق الكريمة
واهتدى بنجوم الفضلاء في اقتفاء الطريقة المرضية كان

خليقا

خليقا ان يوصف بالنفس الزكية الاخرمية، وجديرا ان يعرف
بالهمة العلية البهية، وذو الهمة العلية والنفس الزكية يرغب في
الحظ الوافر والنصيب الاوفر، ومن لم يتفقد اعماله فيعلم ما عليه
وماله فقد خسر الربح واضاع النصح، ينبغي للعاقل ان لا يسامح نفسه
في هذه الصبوة، ولا يصالحها على هذه الشهوة، وقد علمنا من قوله
تعالى، ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان
اتقوا الله، ان لو كانت في العالم خصلة هي اصلح للعبد من هذه الخصلة
التي هي التقوى، كان الله اوصى عباده بذلك وهو اعلم بصلاح
العباد، وعلمنا ان هذه الخصلة هي الجامعة لخيري الدنيا والاخرة،
الكافية لجميع المهمات المبلغة الى اعلا الدرجات، ومن لم يصن نفسه
عن اتباع هواها ولا يخوفها عاقبة رداها ساقته الى قرار عطب لا
نجاة لمن رآها، فسبيل من ايقظه الله من رقدة هواه، وافاض عليه
من نور هداه، ان يعتبر بعاقبة من اوبقه الحرص فارداه، ويعلم
ان الانسان يواخذ بتفريطه يوم ينظر المرء ما قدمت يداه،
ومن امارات العناية الالهية بالتوفيق انتهاز الفرصة فانها خليسة
تثبت عند راس الامر ولا تثبت عند اخره، رب متخوض فيما اشتهت
نفسه ليس له يوم القيمة الا النار، من رزق العقل دله على اسباب
السعادة، ومن رزق السعادة لم يبق له غاية يطلبها لان
السعادة غاية كل مطلوب شعر لعيني تقذى العين وتتقي،

ويكرم الف الحبيب المكرم. وقال ابو حازم شيئان هما خير الدنيا
والاخرة ان عملت بهما تحمل ما تكره اذا احبه الله. وترك ما تحب اذا
كرهه الله شعر وافضل الناس من لم يرتكب سببا حتى يميز ما تجني عواقبه.
امراض القوة الفكرية. وان كانت كثيرة بحسب المراتب فاعظمها و
اشدها داءة الجهل. والانسان مفطور على هذه الحالة لكن
الوقوف وعدم الترقي منه هو العائق عن كمال البشرية. ويمكن الغفلة
في السعي. وليس شيء في العالم الا وله وجهة حسن ووجهة قبح.
فاذا اراد الله ان يفعل الانسان شيئا اراه جهة حسن ذلك الشيء
فيفعله. واذا اراد ان لا يفعل الانسان شيئا اراه جهة القبح فيتركه.
عليك بالقيام بكل ما تعرف ان الله يحبه منك فتبادر اليه. فانك
اذا تحليت به على طريق التحبب لله احبك. واذا احبك اسعدك.
بالعلم به. والتجلي والنعيم الخاص له. فان لكل حب الهي لصفة علم وتجلي
ونعيم. ومنزلة بها يمتاز صاحب تلك الصفة من غيره. فالفلاح
الحقيقي والنجاح المعنوي ان تزكي نفسك عن مطلق الرذائل العائقة
عن التوجه الحقيقي نحو الحق حتى يغنيك بالقبول. ويهديك الى
سبيل الوصول. ويحبيك بكل مامول ومسؤل. وقال بعض الحكماء
الشهوة زمام الشيطان. وتعتبر في جميع امور الدنيا من المعيشة
والمسكن والاثاث والرياسة والقبول عند الخلق والجاه و
السمعة وكل شيء من فضول الدنيا. والقناعة محمودة العاقبة

في

في جميع ذلك. والتخلق بالقناعة يشمل ذلك كله. ومن قنع في
شيء ولم يقنع في شيء كان من المتلونين المذبذبين. وليس ذلك
طريق المتقين. ولا شيمة اهل العقل والدين. ومامن شيء يؤدي
الى النظر الصحيح المؤدي الى الصواب كالقناعة التي تنشاء عن
الزهد في الدنيا. وذلك ان الداعي الى الزهد غريزة كاملة عاينت
الحق حقا فاتبعته. ورات الباطل باطلا فتجافته. ومن هذا
حاله تاخذ بعنان قلبه الى سلوك طريق الاستقامة. فلا
تزال به الاستقامة حتى تؤدي به الى المنهج القويم. والصراط
المستقيم. ومن رزق الاستقامة ظاهرا وباطنا هدي
الى الطيب من القول. وهدي الى صراط الحميد. والاعوجاج في
طريق الدين يورث الاعوجاج في النظر المستبين. ومن اعوجاج
النظر اضطراب الاراء من ارباب الاهواء. وذلك لنكوبهم عن
صراط الاستقامة. فمبادي النكوب اهمال الجوارح عن سياسة
العلم. ثم الدرجة الثانية في النكوب الميل الى فضول الدنيا.
بالخروج عن حد القناعة في جميع ما ذكرناه. ثم الدرجة
الثالثة في النكوب متابعة الهوى. واستيلاء محبة الدنيا.
واصل البلاء فقدان القناعة بوجود الطمع. وغلبة الحرص
عن استقرار الغفلة. وطموح النفس. فمن قدر على الكفاف
والعيش بالاقتصاد. فلا يطلب الفضول فانه ليس له نهاية في

السياسة رعاية الشيء بما يصلحه

الكفاف بالفتح هو ما اغنى عن الناس

والقصد ما لا يجزي ما دونه ولا يضر ما فوقه

لطلبه مشقات ليس لها غاية خير حظ الانسان من الدنيا مدارات
الجوع والعطش والحر والبرد لا لذات الجسمانية وتمتعات
النفسانية التي في حقائقها الالام والاسقام وان كانت في
الصورة لذيذة ففي الاعراض عنها اللذة متصورة والصحة حاصلة
وقال بزرجمهر من وافق شهوته عدم صفوته ومن امات شهوته
احيا مروته المروة اصلها مروءة من لفظ المرء كالانسانية من
لفظ الانسان وحد المروة ان يستحيي الانسان من نفسه
وهي شعبة من الفتوة وقال مالك ابن دينار القناعة من الرضا
كما ان الورع من الزهد ولا يحمد لامرئ ورع حتى يشفي على طمع
ويقدر عليه فيتركه لله غير ناظر لما تركه فان القناعة عند الا
ستطاعة اضعف الناس من ضعف عن كتمان سره واقواهم من قوي
على غضبه واصبرهم من ستر فاقته واغناهم من قنع بما تيسر له
وقال الحسن البصري ليس الزهد فقد المال انما الزهد فراغ القلب
عنه لكن يحتاج الى صفاء عقل من صدى الهوى والغفلة فان
العقلاء قد وقع اتفاقهم على ان الاصلح للانسان ان يقنع ويقع
اكتفاؤه من الغذاء والمسكن والملابس على القدر الحقير وان يعرض
عما يزيد على ذلك وهي سنة الانبياء الذين كشف الله عن بصائر
قلوبهم فنظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها
والى اجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها سكنت قلوبهم بموعود

الله

الله وهم اعرف بما يرضي من له الامر ولا جديد لمن لا يلبس الخلقا
وقال ابو النصر الفارابي العفيف انما يترك اللذات المحسوسة
ليعتاض مكان ما ترك لذة اخرى من جنس ما ترك اعظم مما ترك
فيكون شرهه وحرصه على توفير اللذة يحمله على ترك ما ترك وينبغي
ان يكون رايه انما تركها ليصير الى مثلها وزيادة ربح يربحه وانه
يتركها حرصا على الربح والعوض مما يتركه بشيء زائد زيادة عظيمة
على ما تركه وهذا سر ذكر الجنة في كتاب الله الكريم واخبار عما
عنها ووصفها لهم بما تدركه عقولهم ووعدهم بها ليسهل على
النفوس التخلي عن جميع اللذات المحسوسة في عالم الفناء فعلم
ان احدا لا يترك شيئا نفيسا الا اذا راى انفس منه لا يرسل
الساق الا ممسكا ساقا والحق تعالى محيط رحال الخلق اجمعين
وهم في القرب منه على قدر امتثالهم الاوامر كثرة وقلة وكثرة
محبتهم له واقبالهم عليه واول شروع العبد في درجات القرب
زهده في الدنيا فاذا زهد فيها تخلص من محبة غير الله ولم يبق
في قلبه محبة لغير من امره الله بمحبته من الانبياء والاولياء
وصالح المؤمنين وليس من صفات احدهم محبة الدنيا
باجماع اهل الملل كلها وعلم ان من لم يزهد في الدنيا لم يصح
له شروع في درجات القرب ولا قدر ذرة ويقال اذا بقي
ما فاتك فلا تاس على ما فاتك من العجب عاقل ياسف وقال

حكيم اعبد الناس للدنيا احوجهم اليها فاذا كانت الحاجة تستعبد
المحتاج اليها بقدر حاجته الى من اليه احتاج فعدم الاحتياج افضل
منهاج وقال علي رضي الله عنه التقلل ولا التوسل استغن عما
شئت فانت نظيره واسال من شئت فانت اسيره وكل عز في
السؤال ذليل لا خير في المرء اذا لم يكن قنعا استكثر ومن المحامد
فان المذام قليل من يجوزها ولا يسلك طريق القناعة الا رجلا
اما متقلل يريد اجرا لاخرة او كريم يتنزه عن لئام الدنيا اقصر
من شهوة خالفت عقلك بالخلاف عليها وفي الامثال نقل
العفيف خفيف قبيح على اللبيب ان يسره ما يضره ومن اذل
حواسه واستعبدها فيما يقدم من خير لنفسه بان فضله وظهر
نبله لا يلام الرجل على ان لا يعرف الصواب في كل شيء انما يلام
من سمع الصواب فلم يعرفه ولعمري ان السلامة في الخمول خير من
العطب في المعالي ولقد رضي بالخمول جماعة من العلماء والحكماء
المتقدمين في العلم والمنصب وقد فعل ذلك جماعة من الاعيان
الزهاد من يسلك العقلاء بعروة الوثقى والحكيم يقدع نفسه
وان نال الانسان من الدنيا نعما فانه يزداد بذلك اثما النباهة
فتنة والوجاهة محنة والظهور يقصم الظهور شعر
يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى سفاها وريب الدهر عنها مخادع
ويطمع في سوف ويهلك دونها وكم من حريص اهلكته مطامعه

العطب في كلام العرب بمعنى الوصب و المنصب في توليه الاعمال السلطانية وان استعماله في تولي الاعمال السلطانية مولد لم يسمع من العرب ه

القدع هو المنع ه

اذل

اذل الحرص اعناق الرجال وان لكل ذنب عقوبة الا ان يعفو الله
وان الغم على ما يفوت من الدنيا والهم بالحرص عليه من العقوبات
والفرح والسرور بما نال من الدنيا مع ما لا يبالي ما خرج منه
من العقوبات وقد يكون دوام العوافي واتساع الغنى من عقوبات
الذنوب اذا كانا سببين الى المعاصي كل حزب بما لديهم فرحون
لجهلهم بما لهم فلو علموا ما لهم في الحزن ومن ينبغي له ان يحزن شعر
اذا ما اطعت النفس ما لبث الهوى الى كل ما فيه عليك بلاء وقال
بعضهم ارى حاجة الانسان قوتا وملبسا وسائر حاجات النفوس فضولها
فما العمر الا ساعتان فساعة تولت واخرى انت ترجو حصولها
فكم كل هذا الكد من اجل ساعة وليس يقينا ان تنال وصولها
فمن تفكر ونظر تبصر واعتبر وصبر فظفر وهذا يكون عند
دخول نور الايمان يطفي نار الهوى وبعده يكون الانس والعيش
الهني وجاء في الحديث جمود العين من قسوة القلب وقسوة
القلب من كثرة الذنوب وكثرة الذنوب من نسيان الموت
ونسيان الموت من طول الامل وطول الامل من حب الدنيا
وفي عقود عوام المؤمنين وعلمهم ان الله هو الخالق الرزاق
الا ان في الاكثر جهلا بالحكمة وغفلة عن الحاكم يحيلون ذلك
الى عاداتهم ويريدون ان يكون رزقهم من حيث معتادهم
او من حيث معقولهم باختيارهم وبالعجز والفخر والتطاول

العفو ان يعفو ان لا يعاقب فعن ... ه

والانفة لا على التواضع والفقر والقناعة ولا يكلون امورهم
الى الله فيرضون بتدبيره ان يرزقهم كيف شاء فيوثرون اخلاق
الجبابرة المتكبرين على اخلاق المؤمنين لبعدهم عن شهادة
اليقين والاستيلاء اخلاق النفس عليهم بوجود الغفلة وذ
هابهم عن شهادة ما يعلمون فقد شركهم الموقنون بتسليم
ذلك لله في العلم والقدرة واثبات الاواسط والاسباب وكن
زادوا عليهم بجميل الصبر وحقيقة الرضا فحصل لهم مقام في
اليقين وحال من التوكل ونصيب من الرضا وخرج اولئك
من حقائق هذه المعاني ودخلوا في عمومها وقال سهل ابن
عبد الله التستري ما ادري اي النعمتين افضل ان هداني للا
سلام او عافاني من الاهوى لله در اقوام فتحوا ابصار البصائر
فشاهدوا باطن الامر اذا شاهد الناس الظاهر كانت اوجه
الايام بوجودهم بيضا مقبلة فعادت من فقدهم سودا مدبرة
حتى طال الامد وبعد العميد واستولت محبة الدنيا على العقول
شعر يا متعبا كده الحرص في الفضول وكاده لو حزت ما حاز كسرى
وما حوى وافاده ما كنت الا معنى ومغرما بالزيادة فوض على الخير نفسا
فانما الخير عادة العادات قاهرات فمن اعتاد شيئا في السر فضحه
في العلانية وقال صاحب كتاب الحقائق نا قلا عن علماء
التفسير في قوله تعالى يوم تبيض وجوه اي تبيض وجوه قوم بالقناعة

عميد القوم سيدهم والمراد
هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتسود

وتسود وجوه قوم بالطمع ومن وصية لقمان لولده يا بني لا تطلب
حاجتك من غير اهلها ولا تطلب ما لست له اهلا واياك ومن لا
ماء في وجهه ولا تستعن على حاجتك من لا تتوسم نجحها عنده
فانه ان ردها ساق اليك محنة وان قضاها اتخذها عليك منة
واسال الله فانه يحب من ساله ويبغض من لم يساله وقال شيان
يسلبان من المرء كمال الحرية قبول البر وافشاء السر يعني من قبلت
بره فقد اوجبت على نفسك الخضوع له ومن اطلعته على سرك
فان حذرك من افشائه يلزمك التقية له اخرج الطمع من قلبك
تحل القيد من رجلك ولا تذهب الى من يواري عنك غناه و
قال الفضيل ابن عياض نعم الثواب العافية اذا اسند على الكفاف
والقناعة من حقائق التوكل وانما الغنى والفقر بعد العرض
على الله وقال كعب رضي الله عنه مكتوب في التوراة من رضي
بما اعطاه الله استراح في الدنيا والاخرة وان العبد اذا امن
وتوكل فحينئذ نظر الى مولاه الذي تولاه فراه في كل شيء و
وثق به وقنع منه بايسر شيء وصبر عليه ورضي به اذ لا غنى
عنه ولا بد منه فثم لا يطمع في سواه ولا يرجو الا اياه هنالك
حقت عبادته وخلص توحيده الثقة بالله مال المؤمن ولا
توهم ان التوكل يستلزم عدم التوسل لان التوكل اسقاط الا
سباب عن حيز الاعتداد بها والاعتماد عليها لا اسقاطها عن

حيز الامداد على الوجه المعتاد، وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم
الى ان التوكل ليس هو التعطل بل لابد من التوسل بنوع من السبب،
حيث قال لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقتم كما ترزق الطير
تغدو خماصا وتروح بطانا، فقد ذكر الغدو والرواح بان
الطير ترزق بالسعي والطلب، ودل على ان الرزق من الله وكفيه
تسبباعاديا من العبد بمباشرة اسبابه وقال بعضهم شعر
وليس الرزق عن طلب حثيث، ولكن الق دلوك في الدلاء،
يجئ بملئها طورا وطورا، يجئ بحماءة وقليل ماء، وقال
لقمان ان تعب في الخير فان التعب يزول والخير يبقى، وان التذذ
بالاثام فان اللذة تنقضي والاثم يثبت، ومن كلامه القناعة
عز المعسر والصدقة كنز الموسر، ومن ترك اكل الحيوان شاهد
لطائف الانسان، حقيقة الزهد خلاف الرغبة، واستصغار
الدنيا واحتقار جميع شانها فمن كانت الدنيا حقيرة صغيرة
في نظره هانت عليه، وقنع منها بما لابد منه في بقاء الحيوة
وترك الفضول من كل شئ، واما ترك ما يجب من قوام نفسه
ونفس من يلزمه الانفاق عليه فمعصية، القانع هو المستصغر
للدنيا المحتقر لها التارك ما لا يعنيه منها، الذي انصرف قلبه
عنها لضعف قدرها عنده، فلا يفرح بشئ منها ولا يحزن
على فقده، ولا ياخذ منها الا ما امر باخذه مما يعينه على طاعة

لخادة الطبع

ربه ويكون مع ذلك دائم الشغل بذكر الله، وذكر الاخرة فهو في
الدنيا بشخصه، وفي الاخرة بروحه وعقله، ما اعظم مصاب من
كان الامل سميره، وما اعجل عقاب من جعل الهوى مشيره، رحم
الله من انتهز نثار الخير في مكان الامكان، قبل ان يدخل في خبر
كان، ما امتثل امر ربه عبد الا اثابه، وما دعاه مضطر الا اجابه،

فصل وما قيل في القناعة قال بعض الحكماء الصواب يختلف في بعض
الامور، باختلاف الاحوال، فمن تعطل بالقناعة عن المكاسب،
ولا يكون له علم يؤخذ عنه ولا عمل صالح يقتدى به، فانه ياخذ منافع
الناس، ويضيق عليهم معاشهم، ولا يرد اليهم نفعا فلا طائل في
امثالهم الا ان يغلوا سعر الماء شعر انا عبد ما دام فيك رجاء،
واذا ما مضى فنحن سواء، واذا ما الرجاء اسقط بين الناس،
فالناس كلهم اكفاء، وقالوا من تعطل فقد انسلخ من الانسانية،
ومن اخذ من الناس ولم يعطهم فانه لم يدخل في عموم قوله تعالى
والمؤمنين والمؤمنات بعضهم اولياء بعض، وقال بعض
المهالبة الرجل من ينفع غيره ولا يعدم خيره، والله ذو الافضال
استعمل اقواما لانجاح الامال، ومن اتخذ القناعة صناعة
تلحف بالخمول، وفاتته معالي الامور، وقال بعض بني مازن،
العاجز يسمي البطالة توكلا، وقصر الهمة قناعة، ليس مقام الطيب
من بذل النعمة، وعلو الهمة القعود من اخلاق الخوالف والقناعة

المهالبة طائفة من ملوك العجم
بنو مازن ايضا طائفة من ملوك العرب

من طباع البهائم من رقى فى درجات الهمة عظم فى عيون الامم شعر
خلق الله للحروب رجالا ورجالا لقصعة وثريد وقال بعضهم
رايت المقام على الاقتصاد قنوعا به ذلة للعباد اذا ما الاديب
ارتضى بالخمول فما الحظ فى الادب المستفاد ولا شر منه بخاف
العدو ولا خير برجوع اهل الوداد فللموت خير من ان تراك
بعين الخساسة عين الاعادى فان لم تنل مطلبا رمته فليس عليك
سوى الاجتهاد المذموم هو طلب الشهرة فاما وجودها من
الله من غير تكلف من العبد فليس بمذموم بل افضل من الخمول
فى حق من قدر على نفع الناس مع خلوص نيته وسلامة طويته
ولذا قال الله تعالى يريدون علوا دون يعلون وقال حكيم
الدنيا كنز والاخرة كنز فكنز الدنيا حسن الثناء وطيب الذكر
وكنز الاخرة العمل الصالح واكتساب الاخرة شعر
من يفعل الخير لم يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
ولا بد لمن اراد الارتداء برداء السعداء والاقتداء بالائمة
من الاسداء والاهتداء بنور افعالهم فى الاعادة والابداء
من ان يقع لهم على وقائع كرام اعتمدوها وصنائع معروف
رفدوها وطرائق خيرات قصدوها وحقائق مروءات
وجدوها ومنن نظموها فى قلائد الاعناق وقلدوها
واحسان استرقوا به رقاب الاحرار فاستعبدوها فجدير

ان

ان ينتقل عنها غرائبا تنفتح لها ابواب المسامع ورغائب غوادب كانها
نور لامع ويحصل منها على عجائب يعجب عند ذكرها كل سامع من
ارتدى بجلبابها واقتدى باربابها واهتدى باسبابها فمنح
معروفا وافرج ملهوفا وكشف عن ابناء جنسه حتوفا استحق له
حاكم فعله البشر فاصله وادخله المعروف فى زمرة اهله وفضله النوع فيق
على غيره بما اتاه الله من فضله سيما فيما يدفع شرا ويرفع ترديا
ويجلب خيرا ويفيد سرا ويستعبد حرا ويخلد ذكرا ويستجد
شكرا ويزيد برا ويمد الى مكارم الاخلاق جسرا قال الله تعالى
وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا
وجاء فى الحديث والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه
اجهل الناس من يمنع الخير ويطلب الشكر ويفعل الشر ويتوقع
الخير وانما زينة الدنيا جميعها بالناس قال اعرابي والله لولا
ان المروءة ثقيل حملها شديدة مؤنتها ما ترك اللئام للكرام منها
شيئا والحق ابين من ان يظهر بشرح وبيان وقال على رضى الله
عنه على الاكارم ان يردوا اصافى المكارم ويدلجوا فى حاجة النا
ئم فوالذي وسع سمعه الاصوات ما من احد اودع قلبا
سرورا الا خلق الله من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة
جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة
الابل وقال ابو حامد الغزالى ومن احب التقرب الى الله مما جربه

اهل المعرفة وهو النفع المتعدى من اصطناع المعروف وجبر القلوب
المنكسرة واطعام الذوى الاكباد الجائعة وادخال السرور على
المساكين المحرومين فهذا القسم من الخير يؤثر تاثيرا عجيبا فى
القلوب لو به عواطف عميمة ورحمة سابغة للخلق فالسعيد
من الهم الخير فاقتفى رحمة ربه وتحننه على خلقه وان الانسان
اعز جواهر الدنيا واعلاها قدرا واشرفها منزلة خلق ضعيفا
فلما احتاج الضعيف الى لطف اللطيف تلطف بهم فقال تعالى
الله لطيف بعباده فمن ترك من اللطف شيئا فقد خالف سنة
الله والله لا يرضى من الناس الا بمثل ما رضى لهم به فانه امرهم
بالترحم ورحمهم وامرهم بالتصادق وصدقهم وامرهم بالجود
وجاد عليهم وامرهم بالعفو وعفى عنهم فليس قابلا منهم الا
مثل ما اعطاهم ولا اذن لهم فى خلاف ما اتاهم واعلم انه ليس لك
الا ما نلت من جميل الذكر ورضوان الخالق وان لصانع المعروف
اجلالا فى القلوب وثناء الالسن وحسن الاحدوثة وذخر
العاقبة ومحمدة الاعقاب وقال يحيى بن معاذ الرازى المحسود
على ما عنده من النعمة خير ممن ليس عنده نعمة يحسد عليها فيشكر
على نعمة ويبغض حسوده وقال بعضهم شعر
محسد وكان المكرمات ابت ان توجد الدهر الا عند محسود
ونعمة الله مقرون بها الحسد وقال حكيم المحسود خير من المحروم

والمنافسة

والمنافسة فضيلة من حيث انها داعية الى اكتساب المكارم ولا
قتداء بالافاضل والمنافسة هى اشتداد الرغبات فى امر يقتضى
التحاسد عليه والغبطة وهى من النفس فكان المنافس فيه
لرغبته فيه وحرصه عليه كمثل نفسه عنده وقال رجل لولده
يا بنى القناعة حرفة هنية لكنها دنية لا ترضى لنفسك الاكل
غاية الدهر يعامل الخامل بالقهر وقال بعضهم شعر
خاطر بنفسك لا تقعد بمعجزة فليس حر على عجز بمعذور
لن يبلغ المرء بالاحجام همته حتى يباشرها منه بتغرير
وجاء فى الحديث لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فاذا تساوو
هلكوا وقال بعض الادباء شعر اذا المرء ما لم يبغ الا لباسه
ومطعمه فالخير عنه بعيد فذرنى اجول فى البلاد لعله
يسر صديق او يساء حسود اخر ان كنت تطلب عزا فادرع تعبا
او فارض بالذل واختر راحة البدن عز القناعة ذل ان رضيت به
فكم عزيز بطول الذل مرتهن وروى ان ايوب عليه السلام لما
امطر الله عليه جرادا من ذهب صار يحثوا الذهب فى ثوبه فاوحى
الله اليه الم اكن اغنيتك عن هذا قال بلى ولكن لا غنى لى عن
خيرك وبركتك يا رب مع انه قانع بلا شك فقد رجعت القناعة
بهذا التقدير الى بابها فى لسان العرب وهى المسالة لكن من الله
لا من غيره قال الله تعالى فى الظالمين يوم القيمة مقنعى رؤسهم اى

راقعين رؤوسهم الى الله يسالونه العفو والمغفرة عن جرائمهم باب في مدح الاصدقاء
المودة والاخوة سبب للتالف والتالف سبب القوة والقوة حصن
منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنجح المقاصد وتنال الرغبات
وجاء في الحديث المؤمن يالف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف
وقد من الله على قوم وذكرهم بنعمته عندهم بان جمع قلوبهم على
الصفا وردهم بعد الفرقة الى الالفة والاخا فقال تعالى
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم
بنعمته اخوانا ووصف نعيم الجنة وما اعد الله فيها للاولياء
من الكرامة اذ جعلهم اخوانا على سرر متقابلين وذكر نقيم
الجحيم وما يلقى اهلها من الم ان تقولوا فما لنا من شافعين ولا
صديق حميم قال صاحب عوارف المعارف الاصل في الحميم
الهميم ماخوذ من الاهتمام اي يهتم بامر صديقه ابدلت
الهاء بالحاء لقرب مخرجهما اذ هما من حروف الحلق وقال قتادة
رضي الله عنه في قوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات
يشفعون في اخوانهم ويزيدهم من فضله يشفعون في
اخوان اخوانهم وجاء في الحديث المرء كثير باخيه وقال
بعض الحكماء من اتخذ اخوانا كانوا له اعوانا اعجز الناس من
فرط في اتخاذ الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم
عليك بالاخوان فانهم زينة في الرخا وعدة عند البلاء

وان

وان بلية الالف ليس بدون بلية العشق بل لو قال قائل انه
اوكد وابلغ لم يكن مخطئا في قوله النفس بالصديق انس منها
بالعشيق والود اعطف من الرحم وقيل لحكيم اي الاخوان او
جب عليك حقا قال الذي يسد خللي ويعفو زللي ويبسط مللي
ومن انا غاية شغله واوكد فرضه ونقله شعر لم يبق مما فاتني كسبه
الا فتى يسلم لي قلبه يكون حسبي من جميع الورى في كل حال وانا حسبه
وقال ابن السماك عز اخوانك تذل اعداك وقال لقمان ابني
على ذي المودة خيرا عند من لقيت فان راس المودة حسن الثنا
كما ان راس العداوة سوء الذكر ومن اسرع الى الناس بما يكرهون
قالوا فيه ما لا يعلمون ومن ساءت اخلاقه طاب فراقه ملاك
المعاشرة والمعاملة الرفق والمجاملة والمجاملة حسن المعاملة
وهي كون الرجل مع الحق بالصدق ومع الخلق بالانصاف
ومع الصديق بالنصيحة ومع النفس بالقهر ومع الكبير
بالخدمة ومع الصغير بالشفقة ومع العدو بالحلم ومع العالم
بالتواضع ومع الجاهل بالصمت واحسن ما عوشر به الناس
البشاشة وتخفيف المؤنة المحبة فضيلة من فضائلنا وهي
من الاشياء المضطرة في الحياة والعمر والانسان يحتاج الى
الاصدقاء كما يحتاج الى سائر الخيرات واصحاب الاقتدار و
الاغنياء يحتاجون الى الاصدقاء ليجعلوهم اخطارا جميلة

ملاك الشئ ما يتقوم به الشئ م

ويضعون معروفهم عندهم ولولا من يقبل الجود لم يكن من يجود
وهو اعانة على البر تمام السعادة الانسانية في اقتناء الاصدقاء
ومن المحال ان يكون السعيد وحيدا او يختار جميع الخيرات مع الوحدة
وقال حكيم يحتاج الى الصديق عند حسن الحال وعند سوء الحال
فان الانسان يطلب صديقه في كلتي الحالتين لان عند سوء الحال
يحتاج الى معونة الاصدقاء وعند حسن الحال يحتاج الى الموانسة
حضور الاصدقاء ثنا في حسن الحال وسوء الحال ومن وصية
لقمان لولده يا بني كن قريبا من الناس سهلا فان الله يحب كل سهل
طلق وهو راس اخلاق الصالحين ام الدنيا اقصر من ان يطاع
فيها الاحقاد من كان من القائلين بفضلك فليكن من القائلين
بطلك من كان كله لك كان كله عليك وقال رجل لعلي رضي الله
عنه علمني صحبة الاخوان قال لا تبلغ بهم النفاق ولا تقصر
بهم عن الاستحقاق وسئل حكيم كيف تتخذ الاصدقاء فقال
ان يكرموا اذا حضروا ويحسن ذكرهم اذا غابوا وجاء في الحديث
ما اصطحبا اثنان الا وكان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه
وقال بزرجمهر الاحسان يزيد في صداقة الاصدقاء و
ينقص من عداوة الاعداء ومقاربة الناس في اخلاقهم امن
من غوائلهم ترك المدارات طرف من الجنون وان لم يكن وفاق ففراق
شعر باعد قرابك من قريب ان ابى الابعاد واعر مودتك البعيد

الاولى تمنح العقول والثانى تمنح القبولة

تكن

١٢٦

تكن قريبا مستفادا وقيل لسفيان الثوري ما تقول في
الاستيناس بالناس قال ان وجدت عاقلا فلا باس احرص
على ان تتخذ الاصدقاء بذاتك لا بالاشياء التي تملكها لا
تغتر بمن يميل اليك حتى تعرف علة ميله فان كان لشئ من
صفاتك الذاتية فابرح ثباته وان كان لشئ من احوالك
العارضة فلا تحفل به ولا تعول عليه فانه يقيم عليك بمقام
ذلك الشئ وينصرف عليك بانصرافه وقال ابن عباس رضي
الله عنه لكل شئ محل ومحل العقل مجالسة الناس والانسان
انما يعامل الناس لصفاتهم لا لاعيانهم احذر مقارنة ذوي
الطباع المرذولة كيلا يسرق طبعك منهم وانت لا تشعر
قال افلاطون لا تصحبوا الاشرار فانهم يمنون عليكم بالسلامة
منهم وقال بزرجمهر فساد الوقت وتغير اهله يوجب شكر
من كان شره مقطوعا وان كان خيره ممنوعا قال ابو الطيب
شعر انا الغني ومن ترك القبيح به من اكثر الناس افضال واجمال
وقال المامون الناس ثلاثة طبقات فطبقة كالغذاء لا
يستغنى عنه ابدا وطبقة كالدواء يحتاج اليه في بعض الا
حايين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه بحال ومن اصطفى الا
شرار استحق البوار قال ابو معشر شعر تجنب مجالس اهل الفساد
وابتع ذنوبك منهم ببعد فقد يفسد المرء بعد الصلاح

فساد الاماكن والشر يعدي كما السعد يقبل الطبع النحوس اذا كان
في موضع غير سعد وقال علي رضي الله عنه فساد الاخلاق بمعا
شرة اهل النفاق واصل البلا مقارنة اهل الهوى ومن جالس
الجهال فليستعد لقيل وقال واعلم انك لا تصيب المغلبة الا با
لاجتهاد عاشر الناس معاشرة من الصلة اثر عنده من القطيعة
والاحتمال اغلب عليه من البحث وانما يخرجهم الى التعدي والا
خلاق الذميمة اغراض وظنون فاسدة فمتوقهم واعذرهم وان
الامم قد اتفقت على ان من غرس الكبر اجتنى المقت ومن غرس
الحرص اجتنى الذل ومن غرس الحسد اجتنى الكمد ومن غرس الطمع
اجتنى الحزن ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس المداراة
اجتنى السلامة ومن غرس الزهد اجتنى العزة ومن غرس التقوى
اجتنى الكرامة ومن غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الحكمة
اجتنى الخير الكثير ومن كظم غيظه وقيد لفظه ونظف منطقه
وطهر نفسه فقد غلب الشر كله وقال سفيان كنا نعد المروة
الصبر على كظم الغيظ شعر اذا اجمع الناس في واحد وخالفهم في الرضا
واحد فقد دل اجماعهم دونه على عقله انه فاسد وقالت الحكما
من استعان بذوي العقول فاز بدرك المامول ومن اصطنع
جاهلا فقد اعرب عن فرط جهله لا يسرك قول عدو وان حسن
ولا يسوؤك قول صديق وان خشن وانما سمي الصديق صد

كل كلام وافق الحكمة فهو حكمة

لصدقه

١١٧

لصدقه لصاحبه وانما سمي العدو عدوا لعداوته عليك اذا
ظفر بك ان الناصح لك والمشفق عليك من صدقك الامر وصدقك
ومن حسن ما لم يكن حسنا او سكت عنه فليس بصديق ولا
صاحب وان الغاش الناشي لهواك والخاطب عليك من مدك
في الاغترار ووطا لك مهاد الظلم تابعا لمرضاتك منقادا
لهواك وقال علي رضي الله عنه عذرك من ذلك على الاساءة و
غشك من استخطك بالباطل شعر احذر مودة ماذق شاب المرارة
والحلاوة يحصي الذنوب عليك ايام الصداقة للعداوة
العاقل مقدم التجريب على التقريب والاختبار على الاختيار
والمقة على الثقة ومن لم يقدم الاختبار قبل الثقة والثقة
قبل الانس اثمرت مودته ندما وصار وجودها عدما ثق و
توق وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لا تعجل بمدح احد
ولا تذمه فانه رب من يسرك اليوم يسوؤك غدا ورب من يسوؤك
اليوم يسرك غدا وقال حكيم اذا رفضت احدا فلا تخرجه من
اسر الطمع فيك واذا كاتبته فلا تويسه من مراجعتك وقال
جالينوس لا تحمدن احدا حتى تجربه ولا تذمن من لم تختبره
واذا لم تصحب الاخيار فتجنب الاشرار طوبى لمن كان ضعيفا
عن الخير كان ضعيفا عن الشر شعر صافي الكريم فخير من صافيته
من كان ذا شرف وكان عفيفا ان الكريم اذا تضعضع حاله فالحلو

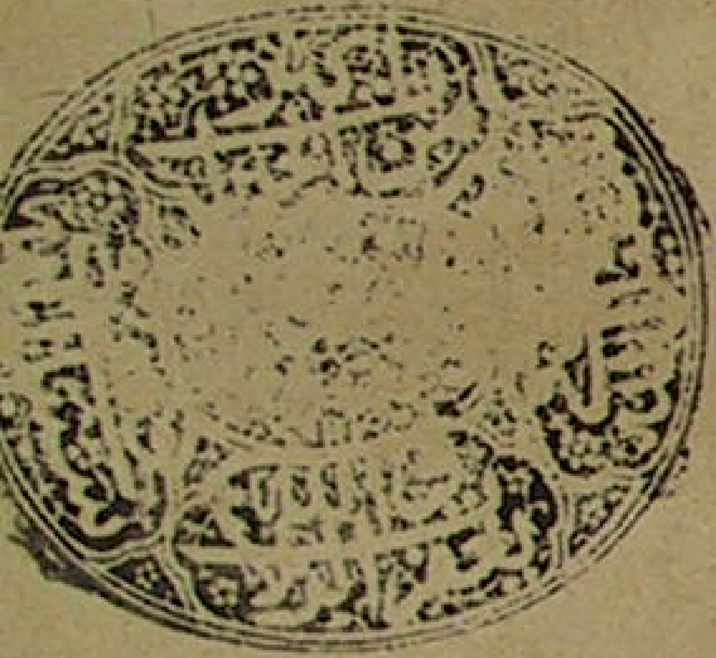
فيه لا يزال شريفا من كان ظريفا فليكن عفيفا وقال علي رضي الله
عنه بئس الاخوان من احوجك الى مداراة وتكلف وقال المامون
احب الاخوان الي من يكفيني مؤنة التحفظ شر الناس من يتقيه الناس
وقال مخارق بين يدي المامون شعر واني لمشتاق الى ظل صاحب
يروق ويصفو ان كدرت عليه اذا انا لم ارغب اليه استمالني وعن
مني ان رغبت اليه فلما سمع المامون هذا الكلام طرب وقال يا مخارق
خذ مني نصف الخلافة واعطني هذا الصاحب ان وجدته شعر
ما ضاع من كان له صاحب يقدر ان يصلح من شانه فانما الدنيا
بسكانها وانما المرء باخوانه الصديق عمدة الصديق وعدته و
ربيعه وزهرته ومشربه وزهرته ليس للصديق اذا حضر عديل
ولا منه اذا غاب بديل والحاجة الى الصديق المعين كالحاجة الى
الماء المعين شعر واذا تصيبك والحوادث جمة حدث حداك الى الخليل الاول
قال حكيم خير الاخوان من يغفر زللك ويحقق املك وشر الاخوان
من يمنعك ما هو واجب لك ويلزمك ما هو ساقط عنك لقاء الاخوان
نزهة القلوب ومجالسة الاصدقاء مسلاة الاحزان وان ملاقات
الاخوان لغنما وان قل ويستحسن الصبر عن كل شيء الا عن الصديق
الصديق الصدوق ثاني النفس وثالث العين ومثل الصديقين
كاليدين ولا تساع مراة الحياة الا بالاخوان الثقات من كثرت
اصدقاؤه ركبت اعناق اعدائه وجاء في الحديث اكثروا من الاخوان

فان ربكم حيي يستحيي ان يعذب عبده بين اخوانه يوم القيمة
وفي حديث اخر من نظر الى اخيه نظر مودة لم تكن في قلبه احنة
لم يطرف حتى يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وقيل لابن السماك
اي الاخوان اخلق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافي عقله الذي
لا يملك على القرب ولا ينساك على البعد ان دنوت منه داناك و
ان بعدت عنه اشتاقك لا يقطعه عنك عسر ولا يسر وان استعنته
عضدك وان احتجت اليه رفدك ويكون مودة فعله اكثر من مودة
قوله يستقل كثير المعروف من نفسه ويستكثر قليل المودة من
صاحبه فضل القول على الفعل دناءة وفضل الفعل على القول
مكرمة واحسن المقال ما صدق بحسن الفعال ولو لم يكن من
الصاحب الصالح الا ان الحياء منه يمنعك عن معصية الله لكان كافيا
خير الاصحاب من كان تقيا قال افلاطون الاخ الصالح خير لك
من نفسك لان النفس امارة بالسوء والاخ الصالح لا يامر الا بالخير
ومما يصفي لك ود اخيك ان تبداه بالسلام اذا لقيته وان تدعوه
باحب الاسماء اليه وان توسع له في المجلس واذا حدثك حديثا
فاقبل عليه واصغ اليه ولا تقل قد سمعناه وان كنت احفظ
له منه وكن كانك لم تسمعه الا منه فان ذلك يكسبك المحبة و
الميل اليك وان كان ما ياتي به ليس بعظيم الفائدة فان لكل احد
عند نفسه قدرا قال ابو تمام شعر من لي بانسان اذا اغضبته

وجهلت كان الحلم رد جوابه • واذا صبوت الى المدام شربت من اخلاقه
وسكرت من ادابه • وتراه يصغى للحديث بطرفه • وبقلبه ولعله ادرى به
وقال محمد ابن واسع من رضى بصحبة من لا خير فيه لم يرض بصحبة من
فيه خير • ولا خير فى صحبة من لا يرى الحق لك مثل ما ترى الحق له • وان
القلب اذا اقبل الى الله اقبل الله بقلوب المومنين اليه • وقال ابو بكر
رضى الله عنه اصلح نفسك يصلح لك الناس • وان لكل نفس شهوة اذا
اعطيتها تمادت فيها ورغبت اليها • واعلم ان الاحسان خير خلال
الانسان • وفى الامثال اذا عز اخوك فهن ومعناه مياسرتك صديقك
ليس بضيم يركبك منه فيدخلك الحمية به انما هو حسن خلق وتفضل
فاذا عاسرك فياسره حسن الخلق يعدى وسوء الخلق اعدى • وحسن الخلق
بالناس ان لا تحمل الناس على مراد نفسك • بل تحمل نفسك على مرادهم ما لم
يخالفوا الشرع • قال الشيخ عبد القادر الجيلى كن مع الله كان لا خلق
ومع الخلق كان لا نفس الحر من وفا بما يجب عليه • وسمح بكثير مما يجب له
وصبر لعشيره على ما لا يصبر له على مثله • وكانت حرمة القصد عنده
توازى حرمة النسب • وذمام المودة لديه يفوق على ذمام الافضال
عليه • وكان جعفر الصادق رضى الله عنه يقول افعل الخير ولا تبالى
فيمن تكون اهلا له • وان لكل صفة محمودة من حيث ما هى مكرمة خلق
تتحلى بها وتكون محلا لها لشرفها عند الله وثناء الخلق عليها
والطلب الفضائل لاعيانها • واجتنب الرذائل لاعيانها • واذا فاتك



خير



خير فادركه • واذا ادركك شر فاسبقه • وان التودد يكون
من القوى تواضعا • ومن الضعيف ملقا • وقال على رضى الله عنه
سلوا القلوب عن المودات فانها شهود لا تقبل الرشى شعر
واذا اعتراك الوهم فى حال امرئ • واردت تعرف خيره من شره •
فاسأل فوادك عن ضمير فواده • يخبرك سرك بالذى فى سره • وقال
عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما اتقوا من تبغضه قلوبكم فما ثم دليل
اقوى من القلب ولا اظهر • وقال بعض الحكماء لا تقطع اخاك •
الا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه • وليس احدا الا وفيه من كل
طبيعة سوء غريزة • وانما التفاضل بين الناس بمغالبة طبائع
السوء • فاما ان يسلم احد من ان لا يكون فيه تلك الغرائز فليس فى
ذلك مطمع الا ان الرجل القوى اذا كان يكابرها ابدا بالقمع لها
كلما تطلعت لا يلبث ان يميتها حتى كانها ليست فيه • وهى فى ذلك
كامنة ككمون النار فى العود • فاذا وجدت قادحا من سبب او
غفلة استورت كما يستورى النار عند القدح • ثم لا يبيد النار
الا بعودها الذى كانت فيه • ولا يمنعك عيب رجل من الانتفاع
به فيما لا عيب عليك فيه شعر ومن لم يغمض عينه عن صديقه • وعن
بعض ما فيه يمت وهو عاتب • ومن يتتبع طالبا كل عثرة • يجدها
ولم يسلم له الدهر صاحب • يعنى من تتبع خفيات الذنوب
حرم مودات القلوب • اجعل حسنات اخيك له محسوبة وسيئاته •

الى الزمان منسوبه، وجاء في الحديث التغافل عن احوال الناس
اروح للقلب واسلم للدين، وقال الحسين رضي الله عنه جميع التعايش
والتعاشر في ملئ مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل، اعقل الناس
اعذرهم للناس شعر قل لمن يرجو ودادا، من صديق كل حين، كيف
ترجو منه صفوا، وهو من ماء وطين اخر تحمل اخاك على ما به، فما
في استقامته مطمع، وانى له خلق واحد، وفيه طبائعه لاربع، وان
لكل شخص من اشخاص الناس قوتين، احديهما عاقلة والاخرى بهيمية،
ولكل واحدة منهما ارادة واختيار، وهو كالواقف بينهما، ولكل
واحدة منهما نزاع غالب، فنزاع القوة البهيمية نحو مصادفة
اللذات العاجلة الشهوانية، وما يترتب عليها من الاخلاق
والصفات الدنية، ونزاع القوة العاقلة نحو العواقب المحمودة،
والافعال الفاضلة السنية، فواجب على من يروم نيل فضيلة
ان لا يتغافل عن تيقظ نفسه، وتفقد احواله في كل وقت و
تحريض همته على ما هو الاصلح له، ولا يهمل نفسه ساعة واحدة،
فمتى اهملها لم يكن لها بد من ان تتحرك نحو الطرف الذي هو بهيمي
والحي متحرك، واذا تحركت تشبثت ببعض منه، حتى اذا اراد رده‍ا
عما تحركت نحوه لحقه من التعب اضعاف ما كان يلحقه لو لم يهملها
فقد ظهر ان الانسان يصادف في جميع احواله موضع الرياضة
لنفسه، وما من شيء اعم نفعا للانسان من تركه حظ نفسه فيما

يباشر قولا وفعلا، ومن شان العقل ان يسكن الى الحسن وينفر
عن القبيح لاجل محبته الفضيلة، يسوق النفس عن النقص العارض
لها الى كمالها الخاص بها وهو الحكمة والفضيلة، وقد يمدح الشيء
زورا وهنالك يمتاز المستبصر من المقلد، والمتماسك من المنجرا
وقال الشيخ ابن العربي في كتاب النصائح عليك بالنصيحة على
الاطلاق فانها الدين لما جاء في الحديث الدين النصيحة قالوا
لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم
وفي حديث اخر ذمة المسلمين واحدة النصيحة وهي ارادة الخير
للغير واخلاص العمل عن الغش، يقال نصح الشيء اذا خلص، و
الناصح في دين الله هو الذي يؤلف بين عباد الله، وبين ما
فيه سعادتهم عند الله وبين الله، وخلقه وان النصيحة تعم اذ
هي عين الدين، وهي صفة الناصح فتسري منفعتها في جميع العالم
كله، من الناصح الذي يستبري لدينه، ويسوس النفوس الجموحة
الشاردة عن طريق مصالحها، ولذلك يحتاج الى علم وعقل، و
فكر صحيح وروية حسنة، وتؤدة وما في مكارم الاخلاق
ادق ولا اخفى ولا اعظم من النصيحة، ولا اطلاع بالدلائل
والطينات على السرائر والنيات، ومن النصح للمسلمين رفع
مؤنة نفسه وبدنه وحوائجه عنهم، وتوقي ما يشغل خواطرهم
ويفتح باب الوساوس عليهم وارادة الخير لكافتهم، وقال علي

التؤدة بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة وفي اللغات يقال اتاد في فعله اى تثبت ولم يعجل

رضي الله عنه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ اخاه في
ثلث في نكبته وفي غيبته وبعد وفاته واذا اقبل عليك مقبل
بود فلا تكثر الاقبال عليه فان الانسان من شانه التباعد ممن
دنى منه والدنو ممن تباعد عنه ولان تدعى من بعيد احب من ان
تدافع من قريب ويقال من اسرف بالوصال اشرف على الملال شعر
احرص على حفظ القلوب من الاسى فصفاؤها بعد التكدر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر وروى
عن كعب رضي الله عنه ان بنو اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام ان
التورية كثيرة فاختر لها منها شيئا يسهل حفظه قال لما تحبون ان
يصحبكم به الناس فاصحبوهم به وكونوا لهم كما تحبون ان يكونوا لكم
يعني من سره مودة الناس اياه ومعونتهم له وحسن القول منهم
فيه حقيق بان يكون على مثل ذلك لهم خير الناس لغيره خيرهم لنفسه
وقال علي رضي الله عنه لاخيك المؤمن عليك مثل الذي لك عليه الصحبة
نتيجة البسط وحدها ان لا يقبل من صاحبه الا ما يقبل منه
فان لم يفعل فقد خان في الصحبة فان شرطها النصيحة وادبها
كف جفائك عنه وتحمل جفاه ولها مراتب بحسب الاحوال فان
كان فوقك فاصحبه بالحرمة وان كان كفوك فاصحبه بالوفاء
وان كان دونك فاصحبه بالرحمة وان كان عالما فاصحبه بالتعظيم
والخدمة وان كان جاهلا فاصحبه بالسياسة وان كان غنيا

فاصحبه

١١١

فاصحبه بالزهد وان كان فقيرا فاصحبه بالجود وان كان صوفيا
فاصحبه بالتسليم ويقال ما ذاقت الاماذقت مثله لابد للديون
مما تقضى ان المعارف في اهل النهى ذمم وقال علي رضي الله عنه اجمل
نفسك في اخيك عند صرامته على الصلة وعند صدوده على العطف
وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته على
اللين وعند جرمه على العذر ايام القدرة وان طالت قصيرة والمتعة
بها وان كثرت قليلة شعر احسن وانت معان يا ايها الانسان
ان الايادي قروض كما تدين تدان اكثر الناس اعوانا من كان له
دين يعينه على العمل وحسب يعينه على الشرف وجود يعينه على
المكارم ونجدة تعينه على العدو وادب يعينه على المكارم و
المروة وعقل يدبر ذلك كله ومن صفة الصديق ان يهوى ما
تهواه ولا يصاحب من تعاديه الا انه قال افلاطون اذا صادقت
رجلا وجب عليك ان تكون صديق صديقه ولا يجب عليك ان
تكون عدو عدوه لان هذا انما يجب على خادمه ولا يجب على مماثل
له ولا تكمل خيرية الرجل حتى يكون صديقا للمتعادين ولا يحسنك
اصطناع قريب عدو لك فان الدرع التي تمنع من جنس السيف
الذي يقطع وقال عمر رضي الله عنه حسب الرجل من الغي ان
يظهر له من الناس ما يخفى عليه من نفسه وان يجد على الناس فيما
ياتيه واحمق الناس من عير غيره بما هو مقيم عليه ومن الامثال

الدلالة بالفارسية ناز

من غرّ بل الناس تخلوه وقال عبد الله ابن المبارك من حق الصديق
ان تحتمل له ثلثا ظلم الغضب وظلم الهفوة وظلم الدلالة ومن صد
عن صديق من غير سبب معلوم فقد وطن نفسه على هجره اظلم
الناس لنفسه من يتقرب الى من يبعده ويتواضع لمن لا يكرمه و
يقبل مدح من لا يعرفه ومن لم يحمدك على حسن النية لم يشكرك
على جميل الفعل شعر من سلا عنك فاسله تلق في الناس مثله كل قلب
يمل من عاشه او وعث له ويقال من يكون عنك معرضا فلا تكن له متعرضا
وقال حكيم رغبتك في الزاهد فيك ذل نفس وزهدك في الراغب
فيك قصر همة ومن ودك لامر ولى عند انقضائه ومن صحبك ليستفيد
منك فلا تعول عليه ولا تامن اليه فان صحبته تنقضي وودّه
يمضي بتحصيل ما يرجوه او بياس يعتريه وربما كفر تلك النعم اذا
اراد الفراق فكن منه على حذر ومن صحبك باعترافه للحق فلا
بد من الفائدة له وذلك اكرم الناس من اذا قرب منح واذا بعد مدح
واذا ظلم صفح واذا ضيق سمح واذا رايت من تبرء من نفسه فلا تطمع
في صحبته فانه منك اشد تبرء والمودة التي يفسدها تراخي اللقاء
مدخولة قال الامام احمد ابن حنبل ان لي اخوانا ما القاهم في كل سنة
الا مرة او مرتين انا اوثق بمودتهم من الفي كل يوم شعر
ومن لم يرع ودك من بعيد فليس على قرب وداد وقال بعضهم
وانف من اخي لابي وامي اذا ما لم اجده من الكرام الكريم من كرمت

نفسه عن التدنس بالرذائل من الكرم ضد اللؤم وقيل لحكيم
ايما احب اليك اخوك ام صديقك قال انما احب اخي اذا كان صديقا
ومن اسباب الود والديانة وفاء العهد واداء الامانة الوفاء
افضل شمائل العبد واوضح دلائل المجد واقوى مسائل الاخلاص
في الود واحق الافعال بالشكر والحمد الوفاء سمة الاحرار وصفة
الابرار والوفاء نتيجة الكرم ومن صحب الناس بلسان صادق و
عاملهم بحسن الخلق والزم نفسه رعي العهود والمواثيق فقد
ارضى المخلوق والخالق حسب المؤمن من مكارم الاخلاق رعي
العهود والميثاق ومن تحلى بالوفا وتخلى من الجفا فذلك من
اخوان الصفا لا اخا الا بوفا ولا وفا الا بصفا الوفاء ضالة
كثير ناشدها قليل واجدها وهو اتم الخلال ومنتهى غاية الكمال
مس الحاجة اليه وتجب المحافظة عليه وهو اعز مفقود وافضل
موجود لا خير في زمان ليس في اهله وفا ولا خير في قوم
ظهر منهم الجفا وقد صار الوفاء ربعا دارسا وحلة تكاد
لا تجدها لابسا ومنقبة قل من يرى فيها منافسا وقد كان
له اهل ذهبوا على ذلك وبقيت اثارهم واحيت مكارمهم بعد
فقدهم اخبارهم رحم الله النفوس النفيسة الشيم كيف
ابادها الدهر وعليها حطم وصيرها بعد الوجود الى العدم
وخلا الزمان من تلك الوجوه الصباح واظلم ليل الغواية بانطفاء

مصباح ذلك الصباح فكانه قيل للزمان بت من ان يوجد وا الا
في الكتب شعر والشمع يبكي وما تدري اعبرته من صحبة النار ام من فرقة العسل
وقال حكيم اصن النفس واحملها على مايزينها تعش سالما والقول منك
جميل لقد دعت الدنيا الى المعذرة دعوة اجاب اليها عالم وجهول
فصل ومما قيل في ذلك قال الاغلب ابن واكد من قال عندي صديق
قد ظفرت به فهذا قد جهل التمييز والنظر وقد تطلبته جهدي
فما ظفرت به يداي ولا عيني به ظفر اما الوفاء فشيء قد سمعت به
وما وجدت له عينا ولا اثر ومن توهم في الدنيا اخا ثقة فانا
بشر لا يعرف البشر وقال ابو الدرداء رضي الله عنه كان الناس
لا شوك فيه والناس اليوم شوك لا ورق فيه ما ركبوا قلب امري
الا عقروه ولا جوادا الا عقروه ولا بعيرا الا ادبروه ان خالطتهم
انعبوك وان هربت منهم ادركوك ولقد مضى الكرام واشتد
والوحشة ذهاب الاعلام الاعلام العظماء في الدين وفي امر
الدنيا وقال بعضهم شعر هذا الزمان الذي كنا نحذره فيما
يحدث كعب وابن مسعود ان دام ذا الدهر لم يحزن على احد يموت
منا ولم يفرح بمولود قال الشيخ ابن العربي الاعطيات الربانية
تنقسم على اهل الاعصار انقسام الفواكه وغيرها من الارزاق
النباتية والمعدنية بحسب امزجة الفصول والاقاليم والا
واهلها انقساما لا يقبل النقل ولا التقدم ولا التاخر

اوله
اشكو اليك هموما لا اعينها
ليسلم الناس من عذري ومن جهلي

ولله حالات تناسا حسابها
كما ان لخى الناس راحة عامي
فان انت لم تبلغ اليها تريدها
فكم حسنات في نفوس كرام

ان المجد يدري في طول الخلاوفها
لا يفسده ان ولكن يفسده الناس

ذلك وقد توافق الخلق من حيث لطائف الارواح واختلفوا من
حيث كثائف الاشباح ومن لم يتصف بالاوصاف الروحانيه
لم ينتقل عن مرتبة الحيوانيه وانما شهود الكمال في مختلفات
عوالم الاكوان قال ابو حامد الغزالي احذر صحبة الناس فانهم
لا يقيلون عثرة ولا يسترون عورة ولا يغفرون زلة يحا
سبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير
ينتصفون ولا ينصفون ويقطعون بالظنون ان راوا
قالوا وان لم يروا تقولوا يواخذون بالنسيان ولا يعافون
النميمة والبهتان ثياب على ذئاب وبريق في سراب يا ويل من
والاهم لا خير في كثير من نجواهم وكل هذا من قسوة القلوب
التي اثمرتها كثرة الذنوب وضعف الايمان يوجب الحرمان
وقد استولت محبة الدنيا على العقول وافسدت الضمائر و
تغيرت الاخلاق فالعاقل يستغني عنهم ولو بادنى شيء
وقد تطايرت شرارات الشرور وطلع فجر الفجور وغاب
شفق الشفقة وركنت اعلام العلوم بالانتكاس واشرفت
مناهج الطريقة على الاندراس والانطماس مصاحبة الناس
خطر فمن صبر عليها فقد بالغ في الغرر انما هو كراكب البحر ان سلم
بدنه من الغرق لم يسلم قلبه من الفرق وجاء في الاثر الغابر
في القرن العاشر احذر ان تعاشر وقال علي رضي الله عنه اذا

كان العذر طبعا فالنقد عجز وان التودد غير الود كالتكلف في
الكلام وقال لقمان الوحشة من الناس على قدر المعرفة بهم شعر
الدهر ان اصحاب الفتى اذا الدهر ساعده ساعدوا ولو علم الناس
ان المريض يموت لما عاده واحد وقال حكيم هذا زمان ان انقطع
رجاء صديقك فالحقه بعدوك رجاك ما دارت رحالك وهواك
ما هبت صباك مؤنة الناس اكثر من معونتهم فمن ابعده الله عنهم
اراحه منهم ومن اضطر الى مخالطة الناس فليكن معهم ببدنه و
يفارقهم بقلبه ولسانه ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا
فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم احظى
الناس لديهم من احسن اليهم فاذا قصر عنهم رفضوه وان نصح منهم
ابغضوه وان حضر داهنوه وان غاب شاحنوه غنيهم شحيح و
فقيرهم فضيح ان راوا خيرا دفنوه وان ظنوا شرا اعلنوه الواثق
منهم على غرر والمستمسك بهم على خطر ولا تتناهى في الحسد الا
الاصحاب والندماء متى داوك بحالهم انقص منه انغرس في
قلوبهم الحسد وهو داء دوي ابدي والله قد ختم مجامع الشرور
الانسانية بالحسد فقال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد
يجب على المرء ان يتحفظ من حسد اصدقائه ومكر اعدائه فسد
الزمان وتغير الاخوان وصار الانفراد اروح للفؤاد وادع
للمعاد من وجد عن صحبة الناس غنى ولم يعتزلهم فلا يلومن

الا نفسه لا الارض مرتع ولا في اهلها مطمع من علامات الافلاس
الاستيناس بالناس قال صاحب شرح الحكم فتح باب الانس
بالله هو الاستيحاش من الناس وبقدر تحققه بوصف الخمول
يتحقق له مقام الاخلاص حتى يتخلص بذلك من رؤية اخلاصه
وبهذا يتبين لك افلاس جميع الناس ما يصنع العاقل بين سالب
وثالب ونقول وكاذب وحسود مؤارب وعدو محارب ان
سمعوا الخير اخفوا وان سمعوا الشر اذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا
شعر كيف يرجى الصلاح من امر قوم ضيعوا الحزم فيه اي ضياع
فمطاع المقال غير سديد وسديد المقال غير مطاع وقال
سفيان الثوري من كثرت معارفه كثرت غرماؤه شعر
لما حد كثرة الاخلاء الا تعب النفس في اداء الحقوق فاصرف
الود عن كثير من الناس فما كل من ترى بصديق قل من يؤذيك
الا من تعرفه شعر جزى الله عنا الخير من ليس بيننا ولا بينه ود ولا
فما سامنا خسفا ولا نابنا اذى من الناس الا من نود ونألف
واذا سمعت من يتناول اعراض الناس فاجتهد ان لا يعرفك فان
اشقى الاعراض به معارفه والانسان الذي اختبرته بالتجربة
فوجدته لا يصلح ان يكون صديقا وخلا احذر ان تجعله لك
عدوا وجاء في الخبر احترسوا من الناس بسوء الظن قيل في تأويله
قلة الاسترسال اليهم لا اعتقاد السوء فيهم وفي خبر اخر الحزم

تعارفا

سامنا خسفا اى كلفنا مشقة وذلة ه

سوء الظن، ومن الامثال حسن الظن ورطة، وقال بعضهم شعر
لا يكن ظنك الا سيئا ان سوء الظن من احسن الفطن، ما رمى الانسان في مهلكة
غير حسن الظن والفكر الحسن يعني من جهة الاحتراس لا من قبيل الا
عتقاد، وقال ارسطاليس من رفعك فوق قدرك فاتقه، واحذر
من يؤثر ان لا يخفى عليه شيء من امرك فانه ياسرك ويتعبك، فان
جمع الى ذلك الاستقصاء على معاشرة لم تتخلص منه فليكن صديقك
بمنزلة الغصن من الشجرة يجذب معك في يدك فاذا خليته رجع الى
موضعه ولم يثنا فسك المودة ويجعل ذلك سببا الى القطيعة شعر
اذا ما كنت متخذا خليلا، ولم يك ذا موافقة فدعه، وليس اخوك منك
ولست منه، اذا ما لم يطعك ولم تطعه، ومن حسن المرافقة الموافقه
وكان يقال الطاعة المحبة والوداد ارجى من الطاعة السلطنة والهيبة
وقال ابن عباس رضي الله عنه من لم يكن فيه ثلث خصال فلا تصاحبه
ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يطرد به فحشه، وخلق يعيش به
في الناس، ولابد لكل مؤمن في سائر احواله من ثلثة اشياء امر
يمتثله ونهي يجتنبه وقدر يرضى به، وقال الحسن رضي الله عنه
ما كتمته من عدوك فلا تظهره لصديقك، مكتوب في الحكمة
من كتم سره ملك امره، ومن افشى سره اظهر عجزه شعر
حذار من صديقك كل وقت، ولا تذكر له في الدهر سرك،
فانك ان ذكرت اليه سرا، وصادف ما يضرك فيه ضرك،

و

115

اخر احذر عدوك مرة، واحذر صديقك الف مرة، فلربما
انقلب الصديق فكان ادرى بالمضرة، وقال البحتري اما
العدو فيبدي ما عنده ويكاشف لكن توقى وحاذر من الصديق
الملاطف، اعداء المرء في بعض الاوقات ربما كانوا انفع له من
اصدقائه لانهم يهدون اليه عيوبه فيجتنبها ويخاف شماتتهم
فيضبط نعمته شعر واذا اراد الله نصرة عبده، كانت له اعداؤه
انصارا، واذا اراد خلاصه من هلكة، اجرى له من نارها الانهارا،
فترى العقول تقاصرت عن نوله، وترى له في سوكها ازهارا،
وقال بعضهم، ومن يك اصله ماء وطين، بعيد من جبلته الصفا
وقال بعضهم شر السباع الضواري دونه وزره، والناس شرهم
ما دونه وزره كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع، وما نرى بشرا لم يؤذه
بشر، وقال ابو العلاء اتعبتم النساج في الجدة، وعثتم في الجوادث
الجناح هذا وانتم عرض الردى، فكيف لو خلدتم يا قباح، وقال
ابو تراب النخشبي اصحب الناس كصحبة السفينة تنفع على خطر
وكصحبة النار خذ منفعتها واحذر مضرتها، وقال لقمان شعر
ما في الكريم ان يمنعك خيره، وخير ما في اللئام ان يكف عنك شره
ان الزاهدين العارفين لم يقنعوا بمنفعة انفسهم حتى حرصوا على
نفع غيرهم، وان الجاهلين لم يقنعهم ضر انفسهم حتى يضروا
غيرهم فسد الزمان وارتفع الامان، وقال الحسن البصري اياك

وكل جليس لا تصيب منه خيرا ولا يفيدك علما شعر
لا يوجد الخير الا في معادنه • والشر حيث طلبت الشر موجود • قلوب
الناس وحشية من تالفها اقبلت عليه خير من الخير من عمل به • وشر
من الشر من عمل به • الاخلق بالانسان ان لا يفعل ما يشتهي لكن ما
ينبغي • وقال حكيم المعارف كالدواء فاذا استكثرت منه انقلب داء
شعر تفرغن الصديق وكن صبورا غنيا عن عدو ومستفاد • فكل
صداقة لا بد يوما تصير الى الملالة والفساد • وقال الكندي بئس
الشئ الصديق اذا اعطيته افقرك • وان منعته وجد عليك • ومتى
وجد عليك اغضبك • ومتى اغضبك اوحشك • ومتى اوحشك
استوحش منك • ومتى استوحش منك خاصمك • والله تعالى يقول
ولا تركنوا الى الذين ظلموا ومن ركن الى جنسه فقد ركن الى
الظالم • لان الله تعالى قال في الانسان انه كان ظلوما جهولا وقال
ابو الطيب شعر والظلم في خلق النفوس فان تجد • ذا عفة فلعلة لا يظلم •
وقال حكيم لولده يا بني اذا سلم الناس منك فلا عليك ان لا تسلم
منهم • فانه قل ما اجتمعت هاتان النعمتان • وسال رجل عبد الله
ابن الجلاء على اي شرط اصحب الناس • قال ان لم تبرهم لا تضرهم و
ان لم تسرهم لا تسوءهم • وكفى بالانسان عقلا ان يسلم الناس من
شره • ويسلم من شرهم • ولن تسلم من الناس حتى تسلم الناس منك
من سالم الناس سلم ومن اعتزل الناس غنم شعر

فان قيل اذا سبق الطعام للبدن والادم فهل هو باق على عموم
قلنا لو ورد لسبق اللعيم اعجب بعزان لعادته
لذلك ولا يعز ان عادته ذلك ه

اهجر الناس ما استطعت مليا • تكتفي شرهم ويكفون شرك •
ان تعش هكذا فانت مهنا • او تخالف فاعظم الله اجرك •
قال الامام ابو يوسف الناس ثلثة مجنون ونصف مجنون و
عاقل فاما المجنون انت معه في راحة لترك الاختلاط به • واما النصف
مجنون فانت معه في تعب لضرورة الاحتياج اليه • واما العاقل فقد
كفيت شره ومؤنته • وقال حكيم الانسان محسود بالنعمة مقصود
بالاذية • فاذا لم يكن مداريا مساويا تخطفته ايدي حاسديه • وتحكمت
فيه اهوى اعاديه • فلم تسلم له نعمة ولم تصف له مدة • ولم ينج من تخطف
شياطين الانس • ولم يحصل له انس • واذا كان مداريا مساويا
انتصر على اعدائه • وامتنع من حساده فسلمت نعمته منهم • وصفت مدته
عنهم • وان كان صفو الزمان عسرا وسلمه خطرا • والانسان بما افيض
عليه من هداية العقل قادر على اظهار محاسن غير ما يقتضيه طبعه •
ويخفي مساويه التي في جبلته • وهذه ادنى مراتب الانسانية • وقد
اصطلح الناس على سقم السريرة وزود العلانية • وكان سفيان الثوري
يقول في ذلك افتضحوا فاصطلحوا • وانك لا تجد مهذبا لا يكون فيه
عيب ولا يقع منه ذنب ما بقيت • واعتبر بنفسك بعد ان لا تراها
بعين الرضا ولا تجري فيها بحكم الهوى • فان في اعتبارك واختبارك
لها ما يوئسك مما تطلب • وفي اسئولة الحكم فان قيل ما الحكمة في
ان الله سبحانه لم يخلق الخلق مستويين في الصورة • والسيرة وفضل

بعضهم على بعض قلنا لاظهار كمال القدرة انه قادر على كل شئ وقد
نبه على ذلك في القران الكريم فقال تعالى وفي الارض قطع متجاورات
وجنات من اعناب ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وكل شئ
في الوجود تنكشف حقيقته بضده فالسقم يبين قدر العافية والفقر
قدر الغنا والقبح قدر الحسن ولولا الكافر ما عرف قدر المؤمن و
لولا ظلمة الخطاء ما اشرق نور الصواب ولولا النار ما عرف قدر
الجنة وقال ابو حامد الغزالي من صدق في مقاصده ودعى اعماله
تحسينا وتلطيفا في حسن المعاملة فان الله يسبغ عليه طوله وتعمه عنايته
فينشرح صدره ويحصل له من العلم ان يرى الاشياء على حقائقها ويرى
الناس على طبقات احوالهم ويعرف سر الخليقة وما جبلوا عليه من
الاخلاق العجيبة المختلفة فربما راى من الانسان ما لا يراه من
نفسه فاذا عرف لزم وتادب بادب الرب فلا يكشف لاحد سرا و
لا يظهر له عيبا ولكن يتعجب من سر العزيز الحكيم في خلقه فهذه
الخليقة موضوعة على الاسرار والحكم الحظ السر واعمل على الحكم
ترى العجائب ومن اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية
كان اطلاعه فتنة عليه وسببا يجر الوبال اليه والحكمة في
العقل اشتماله على العاقبة الحميدة وقال الشيخ ابن العربي في خلق
الايمان بعطي المعاملة بالظاهر لكن رداء لاخيك المؤمن وغطه

واحفظه

واحفظه في نفسه وعرضه واهله وولده فانك اخوه بنص الكتاب
واجعله مراة ترى فيها نفسك وكما تزيل عنك كل اذى يكشفه المراة
في وجهك كذلك فلتزل عن اخيك المؤمن كل اذى يتاذى في نفسه
وقد تفرد الله بالكمال ولم يبرا احد من النقصان وليس شئ ابقى
لبهاء الرجل من اجتناب الهزل شعر لا توردن على الصديق من الدعابة
ما يغمه واحذر بوادر بطشه يوما اذا ما غاب حلمه فالعجل تفطمه على
ادمان مص الضرع امه ومعرفة المقادير والاوقات دليل على
الكمال وقال علي رضي الله عنه من نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره
وان كان لك صديق فولي ولاية فبقي لك واحدا من عشرة من الصداقة
فليس بصديق سوء ولا تنظر الى صديقك اذا بلغ منزلة بعينك التي
نظرت اليه قبل ومن اصاب حظا من جاه ورفعة فاصاره الى
كبر وترفع اعلم الناس ان تلك المنزلة فوقه وهو دونها ومن اقام
على حاله اعلم الناس ان تلك المنزلة دونه وهو فوقها قال ارسطاطاليس
الولاية لا تزيد الغوي الا غواية وقد تحدث الولاية لاقوام
اخلاقا مذمومة تظهرها سوء طباعهم ولاخرين فضائل محمودة
ينشرها زكي فطرتهم ولتقلب الاحوال سكرة تظهر من الاخلاق
مكنونها وتبرز من السرائر مخزونها لا سيما ان وجد قوما عدوه ما ليسا
وكلما حسنت نعمة الجاهل ازداد فيها قبحا ومن بلغ من الدنيا
ما فوق شكره تنكر لمعارفه شعر ومهما يكن عند امرئ من خليقة

وان خالطها تخوّ على الناس تعلم، وقد يلتبس الكبر بالتعزز فالفرق بينهما
ان الكبر من صفات النفس والتعزز من القلب شعر
كريم له نفسان نفس عظيمة، تنزهه عن كل امر يشينه، ونفس له عن ساحة
الكبر مصرف، فيظهر منها للاخلاء لينه شعر تواضع تكن كالنجم لاح لناظر،
على صفحات الماء وهو رفيع، ولاتك كالدخان يعلو بنفسه الى طبقات
الجو وهو وضيع، وقال بعضهم، اذا اتاه الصديق عليك كبرا فته
زهدا على ذاك الصديق، وايجاب الحقوق لغير داع، حقوقك عين
تضييع الحقوق، وقال الحسن البصري ينبغي ان الرجل يسال عن فضل
جاهه كما يسال عن فضل ماله، وينبغي للعبد ان يروض نفسه بالصبر على
اذى الناس، فقل ان يفوته وليكن حليما صفوحا لا يضمر لعدوه سوءً،
يا ابن ادم كيف تكون مؤمنا ولم يامنك الناس، ولا تكون كاملا حتى
يامنك عدوك، فكيف بك اذا لم يامنك صديقك، وليطهر قلبه من
الغل والحقد فان ذلك من شان المتهودين باهوائهم، وهي طريقة
ردية في الدين والدنيا تتعب العبد، وتفتح عليه ابواب الشرور، و
تلزمه امورا يعجز عنها فان لمشانئ الناس مؤنة ثقيلة يدفعها
الانسان بايسر شيء ان ساعده التوفيق، وكان ممن يحسن ذلك
ومن اعتزل الناس فقد كفي مؤنا كثيرة، ومن احب الخلوة فقد
استمسك بعمود الاخلاص باب في مدح العزلة والوحدة
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الوحدة خير من جليس السوء،

وفي

اخ
نعم الله لا تعاب ولكن
ربما استقبحت على اقوام

١١٨

وفي حديث اخر العزلة من الناس عافية، ثم في خبر اخر سلوا الله
العافية فما اعطي عبد بعد اليقين افضل من العافية، فدخلت
العزلة فيما ندب اليه من السؤال، وفيما فضل بعد اليقين على جميع
الاحوال، وهل يليق بمن له سيد كريم غني قادر على كل شيء عالم
بكل شيء ان يعدل عنه الى مخلوق عاجز مثله محتاج فقير كفقره
واحتياجه بل اعظم من فقره واحتياجه تهديه على ترك الوفاء
ويؤاخذه بالتقصير هذا لا يصدر عمن له ادنى بصيرة، ولكن لا يستغني
الانسان عن مخالطة الناس بالكلية فتعين عليك مراعاة احوال
الناس في التقرب منهم والتباعد عنهم شعر دنو ولكن لا يولد جرأة
وهجر الملطف لا يصاحبه زهد، اي زهد في الناس لان من
زهد في شيء تركه بالكلية، ومنه قوله تعالى في قصة يوسف عليه
السلام وكانوا فيه من الزاهدين، وجاء في الحديث احب العباد
الى الله الاتقياء الاخفياء، الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا
شهدوا لم يقربوا اولئك ائمة الهدى، ومصابيح الظلم، وقال
علي رضي الله عنه من وجد في نفسه من الناس وحشة فليعلم ان الله
احب ان يؤنسه، وقال حكيم الانس بالله من حبه لك فان الله اذا
احب عبدا اوحشه من خلقه، وقال الجنيد اطيب ساعاتي خلواتي
والذ طاعاتي مناجاتي، قال الشعراني قد صرح اشياخ الطريق
بان الانس بالله لا يصح لاحد، وانما يانس الناس بما يجدونه من

ملاطفات الحق تعالى في حال طاعتهم له من وجود صفة التقريب
لا غيره وجاء في الحديث اعجب الناس الى منزلة رجل يؤمن بالله ورسوله
ويقيم الصلوة ويؤتي الزكوة ويعمر ماله ويحفظ دينه ويعتزل الناس
وقال سعد رضي الله عنه ثلث ارضاهن لي ولاخواني ان يتعلم القران
ويقرءه ويتدبر وان يسال عن السنة ويتبعها جهده وان يدع اهولا
الناس ومن خلا بالعلم لم يستوحش من الخلوة وروي عن ابن مسعود
رضي الله عنه انه قال ليس الجماعة بكثرة الناس بل من كان معه الحق فهو
الجماعة وان كان وحده قال الله تعالى ان ابراهيم كان امة وقال
السري للجنيد اوصني قال لا تصحب الاشرار ولا تشتغل عن الله با
لاخيار ومن خلق التوحيد حب الخلوة وان كان في مخالطة الناس
خير فتركها اسلم قال ابو الدرداء رضي الله عنه ما اصبحت من ليلة لم
يرمني الناس بداهية الا رايت ان علي من الله نعمة وقال ابن هلال
لم ار من الناس الا بالضلال محتالا وبمكره على الناس محتالا وقال
ابو حامد الغزالي لم ار باعث على الاخلاص من الخلوة وقد قال الله
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين من اراد ان
يسلم دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فان هذا زمان
وحشة العاقل من اختار الوحدة ومحى اسمه عن لسان القوم
واستقبل الجدار حتى يموت وجاء رجل الى زيادة ابي بكر الوراق
فلما اراد ان يرجع قال له اوصني قال وجدت خير الدنيا والاخرة

2

في الخلوة الخلوة اسكن للفؤاد وابعد من الفساد واعود للمعاد
وروي ان النووي كان يقول والله العظيم الذي لا اله الا هو
لقد حلت العزلة في هذا الزمان فان كان العزلة حلت في ز
مانه ففي زماننا لقد وجبت الا ان الانس بالناس مزيد لاهل
ومراد ممن كانت حاجات الناس تقضى به واما مخالطة غيرهم
فانها تضعف العزم الذي كان قويا في اعمال البر وتحل العقد
المبرم الذي كان استوطنه العبد في الخلوة لقلة المتعاونين
على البر والتقوى وكثرة المتعاونين على الاثم والعدوان و
الخلوة تفرغ القلب من الخلوة وتجمع الهم بامر الخالق وتقوى
العزم على الثبات اذ من مخالطة الناس وهن العزم وشتات
الهم وضعف النية والخلوة تقل الافكار في عاجل حظوظ
النفس لفقد مشاهدتها بالابصار فان العين باب القلب منها
تدخل افاته وعندها توجد شهواته ولذاته وقال لقمان من
كثرت لحظاته دامت حسراته شعر وانك ان ارسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر رايت الذي لا كله انت قادر عليه
ولا عن بعضه انت صابر والخلوة تجلب افكار الاخرة وتجدد
الاهتمام بها وتنسي ذكر العباد وتواصل ذكر المعبود وهي
اكبر العوافي وفي مخالطة الناس قوة الطلب والحرص على عاجل
الدنيا لما يعاين من اقبال اهلها وفيه القعود عن الخدمة بالنظر

الرائد الذي يطلب خرد الاسائل كالعلاج اي
الغيث للعداوة فكذا كل الذي تنظر العين ينبغي
يتبع القلب

الى اهل الغفلة والملل الطاعة بمجالسة اهل البطالة ونقصان خلاوة
المعاجلة وذهاب نور العلم وسرعة خروج الوجد بالفهم لا
ستماع كلام الجهلة وجاء في الحديث اخوف ما اخاف على امتي ضعف
اليقين لان اصل الرغبة في الدنيا وايثارها على الاخرة ضعف
اليقين وانما يكون من رؤية اهل الغفلة ومخالطة ارباب البطالة
والقسوة وقال رجل لابراهيم بن ادهم اوصني قال اياك والناس
ولابد من الناس وليس كل الناس بالناس شعر
ارى الناس امثال الكواكب كثرة ۞ وما كل ما يرمى به الافق ثاقب ۞
بلى كلهم مثل الزمان تلونا ۞ اذا سر منهم جانب ساء جانب ۞
مضى الود والانصاف والعهد منهم ۞ فما بقيت الا الظنون الكواذب
وكنت ارى ان التجارب عدة ۞ فخانت ثقات الناس حتى التجارب ۞
ابيت انادي الدهر جد لي بصاحب ۞ وجل طلاب الدهر ما انا طالب ۞
حسن الخلق ان تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا والعزلة نوعان
فريضة وفضيلة فالفريضة العزلة عن الشر واهله والفضيلة
العزلة عن الفضول ومثله واذا لم يكن مقصود رؤوس الجماعة حقا
كفى عذرا للعزلة عنهم فكان هنالك عما هم فيه عافية شعر
اذا الماجد خلا وفيا فوجدتني ۞ الذ واشهى من غوى اعاشره ۞
واجلس وحدي للسفاهة امنا ۞ اقر لعيني من جليس احاذره ۞
وقال الفضيل ابن العياض ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل

لاجلهم

لاجلهم شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما ومن استمسك
بالخلوة فقد ظفر بركن من اركان الصدق ومن احب الله في
الخلوة فقد ظفر بركن اخر واذا نزه قلبه من الميل الى ما سواه
فقد ظفر بركن اخر واذا استقام تم الاركان والخلوة منية
الصديقين فانجذاب النفس الى الخلوة دليل على كمال الاستعداد
وقال ذو النون العبادة حرفة دكانها الخلوة ورحها الجنة
وقال سفيان الانس بالله ان لا تستانس بكل وجه صبيح ولا بكل
صوت فصيح ولا بكل خلق مليح قال حكيم اني لا استشهد بالصدق
الا لمن اعتزل الناس فلا تستشهدوا الا لهم وقيل لبعض الاعراب
لما اخترت العزلة عن الناس قال وهل بقي الا حاسد نعمة او شامت
نكبة وقال بعضهم شعر تفكرت في الدنيا رخاء وشدة ونادت
في الاحباء هل من مساعد فلم ارى فيما ساءني غير شامت ولم ار
فيما سرني غير حاسد اخر من مدح الناس ولم يبلهم ثم بلاهم ذم
من يحمد وصار بالوحدة مستانسا بوحشة الاقرب والابعد
وروى ان بشر ابن الحارث كان يقول الزهد في الدنيا هو الزهد
في الناس لان المرغوب عندهم ويتسبب اليه بهم فلذلك صار
الزهد فقدهم وقال مالك ابن دينار غنيمة المؤمن غفلة الناس
عنه وقال حكيم الخلوة راحة من مداراة الناس وسلامة من
غوائلهم والعزلة من الناس توفر العرض وتبقي الجلالة وتستر

الاحباء في الحقيقة

الفاقة وترفع مؤنة المكافات ولو لم يكن من شوم الناس ووجد
النقص بجا الطهم الا ان المعصية معهم اشد وهي بهم اعظم
لتعلق المظالم في امر الدنيا وشان الدين بهم لكان عظيما شعر
الام على التفرد كل وقت ولي فيما الام عليه عذر وكل اذى فصبور عليه
وليس على قرين السوء صبر وجاء في الحديث ان الله يحب التقي الخفي انما
يهلك الناس في فضول الكلام وفضول المال وقال بعض الحكماء
اضر الاشياء عليك ان تعلم الناس انك احسن حالا منهم ومما
يتعجب منه ان الشهرة افة وكل الناس يتولاها والخمول راحة وكل
الناس يتوقاها شعر ان مدحت الخمول نبهت قوما غفلا عنه سابقوني اليه
هو قد دلني على لذة العيش فما لي ادل غيري عليه ودعى جميع السلف
الصالح على ايثار العزلة وتواصوا به ولا شك انهم كانوا ابصر وانصح
وان الزمان لم يصر بعدهم خيرا مما كان بل اشر واقبح وانا في زمان
كانوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون من ان يدركوه
فيما بلغنا عنهم وهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه
على قلة علم وقلة صبر وقلة اعوان على البر والتقوى وكثرة كدر
من الدنيا وفساد من الناس طوبى لمن اصبح والعبادة حرفته
والعزلة شهوته والاخرة همته وفي الموت فكرته راجيا
بالتوبة رحمته وقال ابن عبد البر في التمهيد وقد فضل
رسول الله صلى الله عليه وسلم العزلة لا سيما في زمن الفتنة

وفساد

وفساد الناس شعر امور تفرح السفها منا ويخشى من عواقبها اللبيب
ومن فوائد العزلة ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن
الناس اما انقطاع طمع الناس عنك ففيه كل الراحة فان رضا
الناس غاية لا تدرك وشي لا ينال اشتغال المرء بصلاح نفسه
اولى واذا لم يكن لك طمع في الناس استغنيت عن المداراة والمداهنة
والمشاركة في اعمالهم وعن اثم السكوت على باطل والمماشات على
ما لا ينبغي للعاقل قال بعضهم شعر ان صحبنا الملوك تاهوا علينا
واستبدوا بالراى دون الجليس او صحبنا السلوك في الناس سمنا
بهوى في الرئيس والمرؤس مع ان الزمان اعمى بنيه فلمن نبتغي سرور
النفوس فلزمنا البيوت نتخذ الحبر وغلى به وجوه الطروس
والفرق بين المداراة والمداهنة ان المداراة بذل الدنيا لصلاح
الدنيا والدين او هما معا وهي مباحة وربما استحسنت والمداهنة
بذل الدين لصلاح الدنيا والعياذ بالله ثم لا ينفك من خالط
الناس من حاسد وعدو يسيء به الظن ويجد عليه قال الغزالي
ما نفع القلب مثل عزلة يدخل المرء في ميدان فكره ويسلم الناس
من شره وضره مكتوب في الحكمة ان اردت ان تنجو فاسال
الله التوفيق فانه فضل قائد وحسن الخلق فانه خير صاحب
واعلم ان الانس بالناس مكسبة لقرناء السوء وقال حكيم ليس
في الناس كلها خير ولا بد منهم فالبسهم على قدر ذلك شعر

تخل بالوحدة مستانسا، تنج من الناس ومن شرهم، اياك ان تطمع في نفعهم، فالنفع ان تسلم من ضرهم، ومن عوائد الخلوة الفراغ للعبادة والفكر والاستيناس بمناجات الله عن مناجات الخلق، ذكر الله والانس به نور ساطع، وبالخلق غم واقع، ومعاص يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة كالغيبة وغيرها ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا الدنية، اما الغيبة فالتحرز عنها مع المخالطة عظيم، ان سكت كنت شريكا وان انكرت ابغضوك واذوك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك، وان الامر في اهماله شدة والقيام به شاق، وفيه اثارة لغوائل الصدود، وتحريك للخصومات وما لم تجد الاعوان فانج براسك، قيل لابراهيم ابن ادهم لم لا تصحب الناس، قال ان صحبت من هو دوني اذاني بجهله وان صحبت من هو فوقي تكبر علي، وان صحبت من هو مثلي حسدني فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملال، ولا في وصله انقطاع، ولا في الانس به وحشة قال الشيخ ابن العربي وصولك الى الله وصولك الى العلم به، وقربك منه ان تكون شاهد القربة، والاجل وبنا ان يتصل به شيء او يتصل بشيء، وفي الخلوة والعزلة الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن التعرض للاخطار وتقلما تخلو البلاد عن تعصبات وخصومات وفتن يسلم منها من اعتزل عنها

وقال

وقال الامام الشافعي كل شيء وله اساس واساس التقوى البعد عن الناس، وفي الخلوة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقاء والسفهاء، ومقاسات اخلاقهم قال ابن الحجاج شعر

يا معشر الاصحاب قد عن لي معنى يزيل الحمق فاستظرفوه، لا تحضروا الا باخفافكم، ومن ثقل منكم خففوه، قيل للاعمش واسمه سليمان ابن مهران مم عمشت عينك قال من النظر الى الثقلاء، وقال جالينوس حمى الروح النظر الى الثقلاء، وانقل الثقلاء من اشغل مشغولا وقال وهب ابن الورد راي ياعن معاذ انه اراد الحج فطلب ثابت البناني ان يصاحبه فقال دعنا نتعاش بستر الله اني اخاف ان نصطحب فيري بعضنا من بعض ما نتماقت عليه، وقال بعض الحكماء من تفطن اعتبر، ومن اعتبر اعتزل، ومن اعتزل سلم ومن ترك الشهوات كان حرا ومن ترك الحسد كان له المحبة من الناس، ومن رضي بما قسم الله له لم يحزن على ما فاته فصل ومما قيل في حق العزلة والوحدة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم، وما يرى من التقصير في حق بعض الناس من اهل زماننا والتخلف عن طريق سلفهم لا يقدح في امر الكل وهذا القدر الباقي من الاثر شعر خلوة الانسان خير من جليس السوء عنده، وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده،

والعزلة على الاطلاق الاعتزال عن الخصال المذمومة والصفات
القبيحة وفي الامثال خالط الناس وزائلهم اي عاشرهم في الافعال
الصالحة وزائلهم في الاخلاق المذمومة وقال عيسى عليه السلام
كن وسطا وامش جانبا معناه كن بين الناس ظاهرا وامش جانبا من
موافقتهم فيما ياتون ويذرون وليكن جسدك مع الناس وقلبك
مع الله قال الشيخ ابن العربي والذي علم ان الظاهر من كونه ظاهرا
في اعيان العالم وما ثم سواه فهو في خلوة اذا لم ينظر الى من ظهر فيه
وقال الفضل ابن يحيى صاحب الجماعة يدنك اوسه في الخدمة
والسجد وصاحب الفرقة يذهب حقه في النفس والحرمة وغافل الجماعة
لا يضره غفلته لكثرة من يحفظه ومتيقظ الفرقة لا ينفعه تيقظه
لكثرة من يطلبه شعر لو كان لي بد من الناس قطعت حبل الناس بالياس
العز في العزلة لكنه لا بد للناس من الناس وبالناس عاش الناس
قدما ولم يزل من الناس مرغوب اليه وراغب ومن اختار الخلوة
على الصحبة ينبغي ان يكون خاليا عن جميع الافكار الا ذكر ربه وخاليا
عن جميع المراد الا مراد ربه وخاليا عن مطالبة النفس جميع الاسباب
فان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه في بلية او فتنة وسول
الشيطان له انواع الطغيان وامتلاء من الغرور والمحال وظن
انه على حسن حال وقد دخلت الفتنة على اقوام دخلوا الخلوة
بغير شروطها واستحسنوا نفوسهم بالعزلة عن الناس ومنعوا

الشواغل

الشواغل من الحواس جمع الهم له تاثير في صفاء الباطن مطلقا فمن
كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة للسنة انتج تنوير
القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر وما كان من ذلك من غير
متابعة السنة وسياسة الشرع فلا يزال المقبل عليه يستغويه حتى
يظن انه ظفر بالمقصود وما فتح على من ليس تحت سياسة الشرع يصير
سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته وقال ابو حامد الغزالي علم ان
المقاصد الدينية والدنياوية مما يستفاد من الاستعانة بالغير
ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة فكل ما يستفاد بها يفوت بالعزلة و
هي التعلم والتعليم والتادب والتاديب والاستيناس ونيل الثواب
وانالة الثواب في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة
التجارب من مشاهدة الاحوال والوقائع والاعتبار بها والنفع
والانتفاع فانها من فوائد المخالطة وعوائد المعاشرة اما التعلم
والتعليم فهما من اعظم العبادات في الدنيا والمحتاج الى تعلم ما
هو فرض عليه عاص بالعزلة فالعزلة في حقه غاية الخسران فلا ينفك
في اعماله بالبدن والقلب من انواع من الغرور ويخيب سعيه ويبطل
عمله من حيث لا يدري ومثال النفس مثل مريض احتاج وافتقر
الى طبيب يعالجه والمريض الجاهل اذا خلا بنفسه قبل ان يتعلم الطب
تضاعف تضرره لا محالة فالعزلة لا تليق الا بالعالم لا خير في عزلة
من لا يعرف ما يلزم فيها واما التعليم ففيه الثواب العظيم مهما

صحت نية المعلم فاذا كان القصد اقامة الجاه واستكثارا من
الاتباع المتباهي فهو هلاك الدين فان صودف طالب لله ومتقرب
بالعلم الى الله فاكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وليس في
البخل اقبح من هذا ولا اكبر اثما منه والعلم مرجو خيره على كل حال وفيه
الترغيب والترهيب والتحذير وهي اثارة الخوف من الله فان لم تؤثر
في الحال اثر في المآل واما النفع والانتفاع بالناس فبالكسب و
المعاملة وذلك لا يتاتى الا بالمخالطة والمحتاج مضطر الى ترك
العزلة واذا كان مكتفيا وكان قصده الكسب والتصدق فهو
افضل من العزلة وقد جاء في الحديث خير الناس من ينفع الناس و
النفع ان ينفع الناس بماله وبدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل
الحسبة ففي القيام والنهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب لا
ينال بالخلوة ومن قدر عليه مع القيام بحدود الشرع فهو افضل
من الخلوة وفي الحديث افضل ما اكل العبد من كد يده وكل بيع
مبرور ولما كان الانسان محتاجا في سائر حاجاته الى معاونة
كثيرة سواء كان في بناء او نحيه او غير ذلك فهو مضطر الى
مخالطة الناس لينتفع منهم بقدر حاجته وينفعهم بقدر
طاقته واما التادب والتاديب ونعني بالتادب الارتياض
بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم لكسر النفس وقهرا
للشهوات فهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي افضل

في

في حق من لم يتهذب بعد اخلاقه ولم يذعن لحدود الشرع شهواته
ولهذا انتدب خدام الصوفية فيخدمون الناس كسرا لرعونة
النفس كان هذا هو المبدأ وذلك يحتاج اليه في بداية الامر و
الارادة ما لم يخالطه الاغراض الفاسدة والبدن مطية القلب
وفيه شهوات ما لم يكسرها جمحت به في الطريق واما التاديب
فهو ان يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر
على تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال معلم العلم وحكمه حكمه
ويتطرق اليه دقائق الافات والرياء ما يتطرق نشر المعلم العلم
فينبغي ان يقيس ما يتيسر له من الخلوة بما يتيسر له من المخالطة و
تهذيب القوم وليقابل احدهما بالاخر وليؤثر الافضل له وذلك
يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن
الحكم عليه مطلقا بنفي ولا اثبات واما الاستيناس والايناس
فذلك فيمن يستانس بمشاهدة احواله واقواله كالانس بالشيوخ
والعلماء الملازمين لسمة التقوى ويستحب اذا كان الغرض منه
ترويح القلب ليهيج دواعي النشاط في العبادة فان القلوب اذا
كرهت وملت عميت وكلت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي
المجالسة انس يروح القلب فهو اولى اذ الرفق في العبادة من
حزم العبادة وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تالف الحق
ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة بلا تنفيس بروحها من غير

الرفق درك الكثير بالشيء اليسير ح

ما يقارن مكروها وتبعة تنغيرها فلا يستغني المعتزل عن الناس
عن رفيق يستانس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة
فليجتهد في طلب من لا يفسد في ساعة تلك عليه سائر ساعاته
وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء في امور الدين وحكاية احوال
القلب وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء والرشد ففي
ذلك تنفيس وترويح للنفس فهذا النوع من الاستيناس في بعض
اوقات النهار ربما يكون افضل من العزلة في حق الاشخاص فليتفقد
فيه احوال القلب واحوال الجليس ثم ليجالس واما نيل الثواب فبحضور
الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين اما حضور الجمعة فلا
بد منه وحضور الجماعة في سائر الصلوات ايضا لا رخصة في تركه
الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضل الجماعة ويزيد عليه
وذلك لا يتفق الا نادرا وكذلك في الاملاكات والدعوات ثواب من
حيث ادخال السرور على قلب المؤمن واما انالة الثواب فهو ان يفتح
الباب ليعوده الناس او يعزوه في المصائب او يهنوه على النعم فانهم
ينالون بذلك ثوابا وكذلك اذا كان من العلماء فاذن لهم في الزيارة
نالوا ثواب ذلك وكان هو بالتمكين سببا فينبغي ان يزن ثواب
هذه المخالطات بآفاتها وعند ذلك يترجح احدهما بالنظر الصحيح
واما التواضع فانه من افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة
وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فكم معتزل في بيته وباعثه

الكبر

الكبر ومانعه عن المحافل ان لا يوقر او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع
لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة ان تظهر مقا بحه
لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ
من البيت سترا على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس في زهده و
تعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هؤلاء
انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب
العوام والولاة اليهم واجتماعهم عند احدهم وفي طريقهم وتقبيلهم
ايديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي
يبغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارة الناس له
فمن ليس مشغولا بنفسه بذكر الله فاعتزاله من الناس شدة اشتغا
بالناس لان قلبه متجرد للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقار ولا
حترام الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن انت ذاما لنفسك
لما تعلم منها اجهل الناس من ترك يقينه ما عنده لظن ما عند الناس
والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة
لا تنقص من منصب من هو كبير بعلمه او بدينه اذ كان علي رضي الله
عنه يحمل التمر في ثوبه ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر نفعا
لعياله وكان ابو هريرة وحذيفة وابن مسعود وغيرهم من الصحابة
رضي الله عنهم يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق على ظهورهم
وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الشيء فيحمله الى

بنية بنفسه الكريمة فيقول له من حضر اعطني احمله عنك فيقول صاحب
المتاع احق بحمله الا ان يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه اخوه المسلم
الثاني ان الذي شغل بنفسه وطلب رضا الناس عنه وتحسين
اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف حق المعرفة علم ان الخلق لا تغني
عنه شيئا فان ضره ونفعه بيد الله ومن لا يرى في الدنيا الا خالقه
وسقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه متواضعا واما
التجارب فانها تستفاد من مخالطة الخلق ومجاري احوالهم العقل
الاصلي ليس كافيا في تفهيم مصالح الدين والدنيا وانما يفيدها
التجربة والممارسة فالصبي اذا اعتزل الناس بقي غمرا جاهلا ينبغي ان
يشتغل بالتعلم ويحصل في مدة التعلم ما يحتاج اليه في حالتي المخالطة
والعزلة ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه وصفاته الباطنة
وذلك لا يقدر عليه في الخلوة وكل غضوب او حسود او حقود او متكبر
او غير ذلك من الاخلاق الردية والصفات المذمومة اذا خلا نفسه
لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في نفسها يجب
اماطتها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب
المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلي بالقيح والمدة وقد لا يحس
صاحبها بالمه ما لم يحرك او يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر
صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر
بالدمل في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك او اصابته

شرطة

شرطة حجام انفجر منه القيح وفار فوران الشيء المحتقن اذا حبس
عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالاخلاق الذميمة و
الصفات القبيحة انما ينفجر منه خبائثه اذا حرك فالمخالطة لها
فائدة ظاهرة في استخراج الخبائث واظهارها ولذلك يقال السفر
يسفر عن اخلاق الرجال فانه نوع من المخالطة الدائمة ولهذا كان
السالكون لطريق الاخرة والطالبون لتزكية القلوب يجربون
انفسهم فمن يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل على ظهره قربة ماء او
حزمة حطب بين الناس ويتردد في الاسواق ليجرب به نفسه
فان غوائل النفس ومكائد الشيطان خفية قل من يفطن لها
وجاء في الحديث اذا رايتم المتواضعين من عباد الله فتواضعوا لهم
وقال افلاطون ان اثرت لزوم بيتك لفساد زمان او تغير سلطان
او علو سن فلن يصفو لك الا بظهور علم فيك وعبادة شائعة
عنك فان هذين يحرسان صاحبهما في اكثر الامر من سوء التخطي
ولا يمكننا الحكم على العزلة بالتفضيل نفيا واثباتا بل ينبغي ان
ننظر الى الشخص وحاله الى الخليط وحاله والى الباعث والى
الفائت من الفوائد ويقاس الفائت بالحاصل في الحالين فعند
ذلك يتبين الحق ويتضح الاولى واختلافهم في العزلة عن الناس
والاختلاط بهم يضاهي اختلافهم في العزبة والتزويج وسنذكر
من ذلك في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى باب في مدح القناعة

قال بعض الادباء العتاب حدائق المتحابين وثمار الاوداء ومن
لم يعاتب على الزلة فليس بحافظ الخلة، وقال بعضهم شعر
اذا تخلفت عن صديق، ولم يعاتبك في التخلف، فلا تعد بعدها اليه
فانما وده تكلف اخر اذا ذهب العتاب فليس ود، ويبقى الود ما بقي
العتاب، وقال الارجاني نفسي فداؤك ايهذا الصاحب، يا من هواه
على فرض واجب، لم طال تقصيري وما عاتبتني، فانا الغداة مقصر
ومعاتب، ومن الدليل على ملالك انني، قد غبت اياما ومالي طالب
واذا رايت العبد يهرب ثم لم، يطلب فمولى العبد منه هارب وقال
العتاب حياة المودة ومن كثر حقده قل عتابه وقال بعضهم شعر
اعاتب من اهواه فيما يعاتب، ليجتنب الامر الذي معه الذنب، فاني ارى
التاديب عند وجوده، بمنزلة الغيث الذي قبله الجدب، وقال بعض
الالباء، معاتبة الادباء اشهد ولبا، وقال بعضهم، واملا عتابا يستطاب
وليتني، اطلب ذنوبا كي يطال عتابه، وفي غزلي ذكر العذيب وبارق
وما هو الا ثغره ورضابه، وقال بعضهم، وبعض العتاب اذا ما
رفقت، يباعد هجرا ويدني وصالا، فعاتب اخاك ولا تجفه، وان كان
مقام مقالا، وقال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من باطن الحقد،
ومعاتبة الاخ خير من فقده، نعم في العتاب ازالة كرب، وفوائد
جمة، فلا يكن امركم عليكم غمة، وهو على اقسام عتاب في تاكيد المودة
تحصيل الحاصل، وعتاب لتكذيب الناقل، وتمييز الحق من الباطل،

وشر الاصحاب من لم ينجع فيه العتاب، صحبة من لا يخاف العار عار
ويقال اصلح ما فسد الصاحب بالعتاب، واذا تعذر فبالعقاب
شعر خل من قل خيره لك في الناس عنهم، واحسن ايام الفتى يومك
الذي، تروع بالهجران فيه وبالعتب، اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى
فاين حلاوة الرسائل والكتب، قال الزمخشري لكتاب الكتاب ان
اردت العتاب، فان العتاب مشافهة اذا كان مشافهة، وقال ابن
المعتز العتاب مخاطبة الدلال، ومذاكرة الموجدة، وكلما اشتدت
المودة كثر العتاب شعر علامة ما بين المحبين في الهوى، عتابهما في كل
حق وباطل، وقال بعضهم، محبتي لك تابي ان تسامحني، بان اراك
على شيء من الزلل، وفي الامثال شر اخوانك من يعاتب، وقال من لا
يعاتب لان العتاب يكون بين الاحباب، وقال بعضهم، واذا ما
غضبت يوما عليه، لذنوب يطول فيها المقال، عطفتني عواطف الحب
حتى، ارتضاه كي يزول الملال فصل ومما قيل في حق العتاب
قال بعض الحكماء صبر المرء على مضض المصاحبة خير من المعاتبة
والمعاتبة خير من المجانبة، والمجانبة خير من القطيعة، والقطيعة
خير من الوقيعة، وقال بعضهم شعر اقلل عتاب من استربت بوده
ليست تنال مودة بقتال، ولا تعاتب على نقص الطباع اخا،
فان بدر السما لم يعط تكميلا وقال ابن المعتز لا تعاتب صديقك بقدر
لا ذنب بسبب واحقر شيء يتعلق به الظن فان ذلك يدل على وهن

مودتك لو ضعف ثقتك به، ومن الامثال من عتب من لا شئ رضي من
لا شئ، ومن عاتب في كل زلة اخاه تحقق ان يمله ويقلاه، واذا انبسط
المعاتبة انقبضت المصاحبة شعر لا سامح اخاك اذا تعدى والق
اليه في الحرب السلاحا، فمن يعتب على الاخوان يتعب ومن لزم السماحة
استراحا، وفي الامثال من رمى بسلاحه حرم قتاله، وقال الارجاني،
رايت الطريق الى الوصل وعرا فقدمت رجلا واخرت اخرى، وقد
جعل الناس الا الاقل يبدون عرفا ويخفون نكرا فان كنت من شرهم
خائفا فظن يجيزهم الدهر شرا، واول صديقك منك الجميل،
مهما الصفت ولا تبغ شكرا، وكثر قلائل احسانه، ومهما اساء فلقيه عذرا
وعاشر اخاك بترك العتاب، ولا تخلق الود طيا ونشرا عليك بتفريع قلب
الودود، لكي يجد الود فيه المقرا، ونفسك انفق على النائبات،
وخل صديقك للدهر ذخرا، وحسن بجهدك منك اثنتين
لله سرا وللناس جهرا فنفسك وحدك اصلاحها عليك وان فسد الزمان
طرا، وسر غير ملتفت اماما الى الله تخطو من العمر حسبا لك الدهر والشهب
مخلوقة، فاحسن بهن اليه المغرا يعني الليل والنهار يريد قوله تعالى
ففروا الى الله جميعا، وقال حكيم العتاب داعية الاجتناب، وكثرة
العتاب تورث الضغائن، وقال بعضهم، لا تهجرن اخا اذا انبته
بك جافيا ولما تحب منافيا، فالغصن يذبل ثم ياتي ناضرا،
والماء يكدر ثم يرجع صافيا، يسكر المرء ثم يصحو، ويكدر الجو ثم يصفو،

ويغرب

١٢٨

ويغرب العقل ثم يؤب، ويقرب اللب ثم ينوب، ويخبو الزناد ويكبو
الجواد، والشمس تغرب وتشرق، والروض يذبل ويورق، والبدر
يافل ويطلع، والسيف ينبو ويقطع، خذ من خليلك ما صفى،
ودع الذي فيه الكدر، والعمر اقصر من معاتبة الخليل على الغير
وقال العتاب يبعث التجني والتجني يبعث المخاصمة والمخاصمة
تبعث العداوة، ولا خير في شئ ثمرته العداوة والمخاصمة والتجني
شعر ودع العتاب فرب شر هاج اوله العتاب، الحكماء لا يكثرون
ملامة الجهال لانهم لا يلومون العميان على ان لا يبصروا ويقال
من اوغرت صدره استدعيت شره، ومن اوكد اسباب الحلم رحمة
الجهال شعر وعلى قدر عقله فاعتب المرء، وحاذر بابصيرا عقوقا
كم صديق بالعتب صار عدوا، وعدو بالحلم صار صديقا،
وقال بعضهم، ومن عاتب الجهال لم يشف غيظه، ولكنه يزداد سقما
الى سقمه، فدع عنك في كل الامور عتابه، فانك ان عاتبته صار كالخصم
وعم عليه الحلم والجهل والفه، بمنزلة بين العداوة والسلم،
فيرجوك احيانا ويخشاك تارة، وتاخذ فيما بين ذلك بالحزم،
فان لم تجد بدا من الجهل فاستعن عليه بجهال فذاك من العزم،
اذا من الجهال جهلك مرة، فعرضك للجهال غنم من الغنم، ومن
احوجك الى العتاب فقد وطن نفسه على الهجر، وقال اعرابي لعبد
الملك ابن مروان ان الناقة اذا كانت تمنع الحلب قومتها العصا

قال اذا اكفاء الاني وتكسر انفا لحالب ليس من العدل سرعة العذل
انما المعاشرة مجاملة والمجاملة لا تسع الاستقصا والكشف
ولا تحتمل الحساب والصرف اى النقد ومعنى المعاشرة ترك المعاسرة
ويقال دادمن جفاك تجميلا شعر اقل ذا الود عثرته وقفه على سنن
الطريق المستقيم ولا تسرع بمعتبة اليه فقد يهفو ونيته سليمة
وقال حكيم معاتبة الانسان لنفسه انفع من عتابه لاصحابه ولانه
فى ان سوء الظن بنفس الانسان اولى من سوء ظنه بالغير وذلك لانه من
نفسه على بصيرة وليس هو من غيره على بصيرة بل انه عالم بنفسه وتغيرنا
سوء الظن ابتاعا التعيير نا سوء الظن بغيره فهو من تناسب الكلام وقال
ابن المعتز شعر انى ليهجرنى الصديق تجنبا فاريه ان لهجره اسبابا
واراه ان عاتبته اغريته فارى له ترك العتاب عتابا وهذا من قولهم
وترك العتاب من العتاب ورب جواب فى السكوت بليغ وقال بعضهم
اذا شئت ان تدعى كريما مهذبا حليما ظريفا ماجدا فطنا حرا
فانى بدت من صاحب لك زلة فكن انت محتالا لزلته عذرا
وقال ارباب الاداب الرفق بالجانى عتاب شعر وليس عتاب الناس للمرء
نافعا اذا لم يكن للمرء لب يعاتبه ويقال ومن العناء عتاب من لا
يعتب شعر ان بعض العتاب يدعو الى العتب ويؤذيه الحبيب الحبيبا
واذا ما القلوب لم تضمر الود فلن يعطف العتاب القلوبا
وقال بعضهم لا تبذلن نصيحة الا لمن تلقى لبذل النصح فيه قبولا

فالنصح

فالنصح ان وجد القبول فضيلة ويكون ان عدم القبول فضولا
وقال الحكيم ينبغى اذا عوتب احد من الاحداث ان يترك له موضع للجحود
لذنبه والا حمله ذلك على المكابرة وقال بعضهم لا تعدن لكل
فارطة عتابا وليكن عتابك تاديبا لا تانيبا وتبصيرا لا تعييرا
واضر التاديب ما كان فى الملا وخيره ما كان سرا ويقال لكل
لكل شخص بمقدار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وتنتفع
بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار ومن شان الانسان اذا
عوتب فى سيئة لم يدعها ويتعاطى اختها وقال حكيم اذا كان سخط
الصديق عن علة كان رضاه مرجوا واذا كان عن غير علة انقطع الرجا
منه شعر هم الناس والدنيا ولا بد من قذى يلم بعين او يكدر مشربا
ومن قلة الانصاف انك تبتغى المهذب فى الدنيا ولست المهذبا
الانصاف من احسن الاوصاف وقال بعضهم دار من الناس ملالوتهم
من لم يدار الناس ملوه ومكرم الناس حبيب لهم من اكرم الناس حبوه
وقال بشار ابن برد شعر اذا ما اهنت الناس هنت عليهم كما ان من يكرم
الناس يكرم وقال بعضهم اذا الخل لم يهجرك الا ملالة فليس
له الا الفراق عتاب اخر اذا انت عاتبت الملوك كانما تخط على جار من
الماء احرفا وهبه ارعوى بعد العتاب لم يكن مودته طبعا فصارت
تكلفا ومن قصيدة لبشار اذا كان ذوا قا اخوك من الهوى
موجهة فى كل ارب ركائبه فخل له وجه الطريق ولا تكن



مطيئة وحال كثير مذاهبه ۞ اخوك الذي ان ربته قال انما
اربت وان عاتبته لان جانبه ۞ اذا كنت في كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه ۞ فعش واحدا او صل اخاك فانه
مقارف ذنب مرة ومجانبه ۞ اذا انت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت واي الناس تصفو مشاربه ۞ وقال بعضهم اذا ما صديقي
رابني سوء فعله ۞ ولم يك عما ساءني بمفيق ۞ صبرت على اشياء منه تريبني
مخافة ان ابقى بغير صديق ۞ وجاء عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى
فاصفح الصفح الجميل انه الرضا بغير عتاب ۞ وقال حكيم واجاد ۞ لا
تشتغل بالعتب يوما للورى ۞ فيضيع عمرك والزمان قصير ۞ هم لم يوفوا
لا له بحقه ۞ اتروم توفيه واتت حقير

باب في مدح الزيارة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حاكيا عن الله عز وجل انه
ربكم يقول وجبت محبتي للمتزاورين في والمتحابين في ۞ وجاء في
حديث اخر من زار اخاه في الله او عاده خاض في الرحمة حتى يرجع
وقال الملك له طبت وطاب ممشاك وتبوات في الجنة منزلة ۞ وفي
حديث اخر اذا اتاكم الزائر فاكرموه ۞ قال خارجة ابن زيد النحوي
دخلت على ابن سيرين بيته فوجدته جالسا بالارض فالقى لي
فقلت اني رضيت لنفسي ما رضيت لنفسك فقال لا ارضى لك
في بيتي ما ارضى به لنفسي فاجلس حيث تؤمر فلعل الرجل يكون
في بيته شيء يكره ان يستقبله الزائر ۞ ومن اكرام صاحب المنزل

ان يجيبه فيما اكرمك ۞ الزيارة عمارة المودة وتطرية الخلة ومن
زار الصديق الذي يفضي اليه بسره ۞ فقد لقي السرور وباسره ۞
وخرج من عقال الهم واسره زيارة الصديق تدع الهم منطردا و
الانس متطردا ۞ وفي زيارة الاخوان روح الجنان ۞ وراحة الجنان ۞
روي انه زار بعض الاشراف يحيى ابن معاذ الرازي فقال يحيى ان
زرتنا فبفضلك ۞ وان زرناك فلفضلك فلك الفضل زائرا ومزورا
شعر لان زرتم وتفضلتم ۞ وشرفتمونا بنقل القدم ۞ فليس بعاد
ولا منكر ۞ دخول الموالي بيوت الخدم ۞ وقال ابن المعتز وقفة في
الطريق نصف الزيارة شعر وحظك زورة لك من صديق ۞ مواقفة
على ظهر الطريق ۞ سلام خاليا من كل شيء ۞ يعود به الصديق على الصديق ۞
قال سعيد ابن قيس رضي الله عنه اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
زائرا فوقف ببابنا ثم رجع ۞ وروي عن عبد الله ابن عمر رضي الله
عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مكارم
الاخلاق التزاور في الله ۞ وحق المزور ان يقدم ما تيسر عنده
وان لم يجد الا جرعة من ماء ۞ وقال انس ابن مالك رضي الله عنه
وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ما ندري ايهما اعظم وزرا ۞
الذي يحتقر ما تقدم اليه او الذي يحتقر ما يقدم ما عنده ۞ و
قال بعضهم اذا قصدك الزائر فقدم ما حضر ۞ واذا استزرت
فلا تبق ولا تذر ۞ واذا دخلت على اخيك المسلم فاكرمك فاقبل

كرامته وحيث اجلسك فاجلس وما قدم اليك فكل فان المؤمن
انما يكرم لربه ولا تمل الاقدام في الزيارة الا الى اقدارها
قال بعضهم نضع الزيارة حيث لا يزري بنا كرم المزور ولا بهاء
الزائر صديقك من اذا دنت برك واذا زاد سرك واظلم الظالمين
لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في مودة من لا ينفعه ومن
الامثال زر ببشرك تحفة لاخيك وقال بعضهم **شعر**
واني لزوار لمن لا يزورني اذا لم اكن في ودة بمريب وتقرب دار
الحبيب وان نأت وما دار من ابغضته بقريب فلا تطلبن القرب
البعد بعدها الى غير نيات وغير قلوب وقال علي رضي الله عنه زر
المرء على قدر اكرامه لك والعرب يقولون لولا الوئام هلك الانام
اي لولا انس الناس بعضهم لبعض لهلكوا اذا عمتهم الوحشة وكتب
المامون الى حبيب له يستدعيه الزيارة **شعر**
نحن في اكمل السرور ولكن ليس الا بكم يتم السرور عيب ما نحن فيه يا اهل ودي
انكم غيب ونحن حضور ما نعيم يغيب عنه حبيب بنعيم ولا حبور حبور
فصل ومما قيل في حق الزيارة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال زر غبا تزدد حبا وربما كان التقالي من كثرة التلاقي
والتباعد من كثرة التعاهد **شعر** عليك باقلال الزيارة انها
تكون اذا دامت الى الهجر مسلكا فاني رايت الغيث يسأم دائما
ويسأل بالايدي اذا هو امسكا ومن الحكمة ان الزيارة تكون في

والحبور جمع السرور يقال حبرهم حبرا اي سرهم سرورا ومنه قوله تعالى فهم في روضة يحبرون اي ينعمون ويسرون

وقت

وقت بعد وقت لتكون النفوس اليها طالبة والى رؤيتها
مشتاقة ولو دامت لهانت الا ترى ان العافية وهي نعمة يقل
شكر الخلق عنها لانها الفت وبالمرض يعرف قدرها اللهم
عرفنا نعمتك بدوامها ولا تعرفنا بزوالها وقال ابو الطيب
لعل تخالف الطيات منا تعود لنا بقرب واتفاق وحتى ما تاملنا
هلالا باقصى الافق الا عن محاق مكتوب في الحكمة الاقلال
من الزيارة امان من الملالة كل موجود مملول وكل مفقود مسؤول
الاخلاء من الزيارة مخل الا ان الاكثار منها ممل **شعر**
اقلل زيارتك الصديق تكون كالثوب استجده ان الصديق
يمله ان لا يزال يراك عنده وقال ابن المعتز رايت حياة المرء
ترخص قدره وان مات اغلته المنايا الطوامح كما يخلق الثوب
الجديد ابتذاله كذا يخلق المرء العيون اللوامح وقال غيره
اذا كثرت عليه في زيارته فمل والشيء مملول اذا كثرا ورابني منه
اني لا ازال ارى في طرفه قصرا عني اذا نظرا وقال منصور الفقيه
قد قلت لما ان شكى تركي زيارته الحبيب ان التباعد لا يضر
اذا تقاربت القلوب روي ان عمر رضي الله عنه كان يقول
رحم الله من زار وخفف وقال ارسطاطاليس اذا دخلتم على
الكرام عليكم بتخفيف السلام وتقليل الكلام وتعجيل
القيام وكان عمر رضي الله عنه يقول لذوي القرابات

تزاوروا ولا تجاوروا وتهادوا وتحابوا

باب في مدح الهدية

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تهادوا وتحابوا وتصافحوا
يذهب الغل عنكم وفي حديث اخر تهادوا فان الهدية تخرج
الضغائن من القلوب والتهادي تفاعل يكون من الجانبين وفي
خبر اخر الهدية رزق من رزق الله طيب فاذا اهدي الى احدكم فليقبلها
وليعط خيرا منها وفي قول بعض المفسرين في قوله تعالى واذا حييتم
بتحية فحيوا باحسن منها الهدية وجاء في الخبر تهادوا الطعام
بينكم فان ذلك توسعة لارزاقكم في عاجل الخلف وجسيم الثواب
يوم القيمة وفي خبر اخر نعم العون الهدية في طلب الحاجة وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدى لعمر هدية فردها فقال
يا عمر لم رددت هديتي قال لاني سمعتك تقول خيركم من لم
يقبل شيئا من الناس قال يا عمر انما ذاك ما كان عن ظهر مسالة
فاما اذا اتاك من غير مسالة فانما هو رزق ساقه الله اليك
ومن اتاه رزق من غير مسالة فرده فانما يرده على الله الهدية
سنة الرسول وادب الملوك وعمارة المودة بين الاخوان اهدوا
لمن تهادوا فان لم يقبل احب جبلة القلوب على حب من احسن
اليها وبغض من اساء اليها ان الهدية حلوة كالسحر تجتلب القلوب
تدني البعيد من الهوى حتى تصيره قريبا وتعيد معتقد العداوة
بعد جفوته حبيبا وكان الفضل ابن سهل وهو من وزراء

الدولة العباسية يقول ما ارضي الغضبان ولا استعطف السلطان
ولا استميل الانسان ولا استلت السخائم ولا استدفعت
الغرائم ولا توقي المحذور ولا استكنت الشرور بمثل الهدية والبر
وقال بزرجمهر الهدية السحر الاكبر **شعر** وقد زعموا ان ليس تغلب الفتى
على عزمه الا الهدية والسحر اي تجعل عزمه ضعيفا وقال يحيى ابن
برمك الصدقة ترد بلاء الاخرة والهدية ترد بلاء الدنيا وقيل
من قدم هديته بلغ امنيته ومن لم يقدم المونة لم يظفر بالمعونة
شعر هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى وودا وتكسوهم اذا حضروا جمالا وقال
ابن الحجاج المودات ان خلت من هدايا مكررة كطبيخ خلا من اللحم
يدعى مزورة وقال المغيرة ابن شعبة حكيم العرب وجدت المودة
منقطعة ما دامت الحشمة عليها مسلطة وليس يزيل سلطان الحشمة
الا المؤانسة ولا تقع المؤانسة الا بالمهادات والملاطفة
روي انه بلغ عمارة ابن الحسن ان الاعمش يقع فيه ويقول ظالم
ولي ظالما فاهدى اليه هدية فقال بعد ذلك الحمد لله الذي
ولى علينا من يعرف قدرنا فقيل له كنت تذمه قال الزمنا
مكافات احسان وقال ابن المعتز اصل المحبة الهدية واصل
البغضة الاسية واصل العفة غض البصر واصل زوال
النعمة البطر ويقال اذا قدمت من سفر فاهد لاهلك ولو حجرا

والهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت
كانت ابهى واحسن، واذا كانت الى كبير مثله او اصغر منه فكلما جلت
وعظمت كانت اوقع وارفع شعر ان الهدية للحبيب مودة لا ينبغي
ان يستقل قليلها، واذا خلت من منة ومكيدة حسنت وحق
على الصديق قبولها، وقال ابن المعتز، ومن غرس ودا لانام
مقامه، فاحسن ما يهدى اليه كتاب، وقال الحكيم الهدية اجلها
اقلها، واعفها اخفها شعر لو ان كل يسير رد محتقرا لم يقبل الله يوما
للورى عملا، فالمرء يهدى على مقدار قدرته، والنمل يعذر في
القدر الذي حملا، والهدية تثبت المودة وتسل السخيمة، وفي نشر
المهادات طي المعادات، وقال بعضهم شعر للهدايا من القلوب مكان،
وخليق يحبها الانسان، وقال لقمان نعم الهدية نصيحة يهديها،
فصل ومما قيل في حق الهدية يروى انه اهدى الى عمر ابن عبد العزيز هدية
فردها فقيل له ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية قال
نعم كانت له هدية ولنا رشوة شعر توق وحاذر من قبول هدية،
وان جاء فيها حديث مرغب، وقد حدثت بعد النبي حوادث،
تحذرنا منها وعنها ترغب، وجاء في الحديث الهدية للحاكم رشوة،
وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه انها السحت المراد من قوله
تعالى اكالون للسحت اخرجه سعيد ابن منصور، وقال
الحسن البصري، وقد قرء هذه الاية سماعون للكذب اكالون

للسحت

للسحت انه اخذ الرشوة باسم الهدية زخرف القول التزيين الباطل
وقد كانت قبلنا هدايا ثم عادت رشى، فالتبس الامر وتداخلت
الاغراض وفسدت الاحكام، وصارت البراطيل نصرة الا
باطيل، وقال بعض الحكماء شعر تزود مني حكمة وخل القيل والقال
فساد الدين والدنيا، قبول الحاكم المالا، قال الزمخشري شيئان
ليسا في الاسلام، الرشوة والشفاعة في الاحكام، وجاء
في الحديث الهدية تعور الحكيم يعني وتعمي سائر الناس، وقالت
الحكماء اذا دخلت الرشوة بيت حاكم خرج الحق من
الكوة، قيل فان سدت الكوة قال يخرج من حيث ياتي ملك الموت،
قال ابو الليث الفقيه شعر اذا اتت الهدية دار قوم، تطايرت
الامانة من كواها، فخلي عنك قول الناس فيها، هدايا قبلنا كانت
سواها، روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد
استعمل رجلا على عمل فاهدى اليه فقال هذا لكم وهذا اهدي
لي، الا جلس في خفش امه فلينظر اكان يهدى اليه، وقال
لقمان اكرم الهدايا علم نافع ونصيحة موثوق بها ومدحة
صادقة، وقال صاحب كتاب الفتوة اهدى الى دهقان
هدية، فاظهر الجزع فقال له اصحابه لم جزعت قال لئن ابتدأني
بها فانه يدعوني الى تقلد منة منه، ولئن كافاني على معروف
لي عنده انه نسبني الى اخذ الثمن فمن اي هذين لا اجزع، وفي بعض

الكوة نقب البيت جمعه كوا ممدود ومقصور

الخفش البيت الصغير

منظومات الحكماء شعر ليس سواء من له معروف فان افعال
الورى صنوف فواحد يعطيك جودا وكرم فذاك من يكفره فقد
ظلم و واحد يعطيك للثواب كمثل من سلم للجواب و واحد
يعطيك للمصانعة او حاجة منك اليه واقعة فذاك مثل تاجر معامل
لطلب الربح ونيل نائل فليس من جميعهم من يحمد الا الذي للخير حسب
يعمد باب فى مدح الجود والسخا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال لما خلق الله الايمان قال يا رب قونى فقواه بحسن الخلق
ثم خلق الكفر فقال يا رب قونى فقواه بالبخل وفى حديث اخر
الجود من جود الله تجودوا يجود الله عليكم وفى حديث اخر الا ان
السخا شجرة فى الجنة فمن كان سخيا تعلق بغصن منها فلم يتركه
الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيحا
اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه الغصن حتى يدخله النار
وفى خبر اخر السخاء من الايمان والايمان فى الجنة السخى انما يجود
من حسن الظن بالله والبخيل انما يبخل من سوء الظن بالله و
قال لقمان من ايقن بالخلف جاد بالعطية وجاء فى الحديث
السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار
والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من
النار ولجاهل سخى احب الى الله من عابد بخيل واكبر الداء
البخل وفى حديث اخر ان الله يبغض البخيل فى حياته ويحب

السخى

السخى بعد موته وفى حديث اخر احذروا من لا يرتجى خيره
ولا يؤمن شره وقال على رضى الله عنه البخل جامع لمساوى
القلوب وزمام يقاد به الى كل سوء والكرم من صفات الرب
وجاء فى الحديث السماح رباح وفى رواية والعسر شوم ويعنى
ان الجود يربح الاجر فى الاخرة وحسن الثناء فى الدنيا ويورث
الفضيلة فى النفس شعر ثمن المعروف شكره ويد الانعام ذخره
وبقاء الذكر للاحياء للاموات عمره قال صاحب كتاب مناهج
العبر ومباهج الفكر انه حدث المعمر عن ابى معتوق الحمصى عن
ابيه قال كنت عند الحكم ابن عبد المطلب وهو فى حياض الموت
فقلت اللهم هون عليه فانه كان وكان وذكرت ما كان له
من اصطناع المعروف ففتح عينيه وقال من المتكلم فقلت انا
قال ان ملك الموت يقول انى امرت ان اكون بكل سخى رفيق ثم
اسفر وجهه وضحك ومات فوالله كانه سراج طفى شعر
تزود نجيز الزاد ما كان باقيا وخل الامانى المسفرات عن الكذب
يسار الليالى منك فى الاخذ لم تزل باسرع من يمناك فى طلب الكسب
اخر ان كنت دهرك كله تحوى اليك وتجمع فمتى بما جمعته وحويته
تتمتع وقال بعض الحكماء الجواد ياكل ماله والبخيل ياكله ماله
وجاء فى الحديث الجود من اخلاق الجنة وقال الحسن البصرى
الجود غاية الزهد والزهد غاية الجود وان الله يمتحن بالجود

عليك الجود منك تجد من جوده، واستفد بافضاله كرمن فضله وقال
الله الذى اسبغ نعمه عليك، واحسن كما احسن الله اليك شعر
بين من يعطى ومن يأخذ فى التقدير عرض، فيد المعطى سماء ويد الاخذ
ارض، وعلى الاخذ ان يشكر ان الشكر فرض، ان كان نعين القلب تنظر
الى ان الله واحد فى منته فالشريعة تقتضى ان لابد من شكر خليقته
شعر الذ من خمر وحيق دائر، رشف فم السامع زلال الشاكر،
ومن جازاك بالشكر فقد اعطاك اكثر ما اخذ منك، وقال لقمان
الاسخياء يقيدون المال بالبذل طوبى لقوم ادبتهم الحكمة و
احكمتهم التجارب، ولم تغرهم السلامة المنطوية على الهلكة ورحل
عنهم التسويف الذى قطع الناس به مسافة اجالهم فحسنوا الشيم
وحلوها بالكرم، وعلوها بالهمم، واعلنوا بذل النعم جادوا فسادوا
وسادوا فقادوا واعلى الكريم واقية من فعله، واذا زلت به النعل زلة
او صال عليه الدهر صولة اقامته يد احسانه، وانتزعته من مخاليب
زمانه، وجاء فى الحديث ان الله يحب الجواد من خلقه شعر
للخير اهل لا يزال، وجوههم تدو اليه، طوبى لمن جرت الامور الصالحات
على يديه، وقال بعض الادباء، عيب المروة فى انسانها ابدا،
نوديوى سرارباب الضرورات، وقال على رضى الله عنه سادة
الناس فى الدنيا الاسخياء، وفى الاخرة الاتقياء، وجاء فى
الحديث احب العباد الى الله من حبب اليه المعروف، وقال على رضى الله عنه

شعر

شعر وما اثر التقصير الا المقصر، واى نفسه حلت بمحل المقصر
وكل امرئ ياتى بما هو اهله، فاهل بمعروف واهل بمنكر،
وقال بزرجمهر بشر الوجوه ما عبسه البخل والبشر بشير الكرم و
قال بعض الحكماء شعر الق بالبشر من لقيت من الناس جميعا ولاقهم
بالطلاقة، ودع البشر والعبوس عن الخلق فان العبوس راس الحماقة،
وجاء فى الحديث ان الله اختار لكم الاسلام دينا فاكرموه بحسن
الخلق والسخاء، فانه لا يكمل الا بهما، وعوتب بعض الاشراف على بذله
فقال شعر دعنى امزق ماعندى واجمع ما يجدى واقضى من الا فعال
ما وجبا، نفسى التى تملك الاشياء ذاهبة فما ابالى على شئ اذا ذهبا
ثواب الجود خلف ومكافات وثناء وشرف، وثواب البخل حرمان
ومذمة وندامة وتلف شعر ان الذى رزق اليسار ولم يصب
حمدا ولا اجرا لغير موفق، وفى حكمة ادريس عليه السلام لن
يستطيع احد ان يشكر الله على نعمه بمثل الانعام بها على خليقته
زادك الى المعاد، احسانك الى العباد، وجاء فى الحديث الخير
كثير ومن يعمل به قليل، ومن كلام الحكمة حسن الذكر ثمرة النعم
شعر لا يجفلك ضجرة من سائل، فدوام عزك ان ترى مسؤلا،
واعلم بانك عن قليل صائر خبرا فكن خبرا يروق جميلا،
وجاء فى الحديث التمسوا الخير دهركم كله، وتوسموا به ما استطعتم
وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فان لله نفحات رحمة يصيب بها

النفحة بالسكون وهى فى الاصل دفعة ريح تأتى من
من النسيم طيبة وهى هنا بمعنى العطية والعطاء و
اطلاق النفحة على ما يصيبه من الشر مجاز ومنه قوله
تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ه

من يشاء من عباده وسلوا الله ان ييسر المعونة ويؤمن الى وعد شعر
وما الدهر الا ما ترى فمتى علت يدكم في دنياك فاصنع بها يدا
لا تزهدن في معروف فان الدهر ذو صروف والزمان ذو الوان
فكم راغب كان مرغوبا اليه وطالب قد كان مطلوبا لديه شعر
اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل خافقة سكون ولا تغفل
عن الاحسان فيها فما تدري السكون متى يكون شعر
لبيب في كل ساعة واوان تتهيا صنائع الاحسان فاذا امكنت فسارع
اليها حذرا من تعذر الامكان وقال علي رضي الله عنه يا عجبا
لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا شعر
وكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا وقال علي رضي الله
عنه الركون الى الدهر مع ما يعاين منه جهل والتقصير في حسن
العمل اذا وثقت بالثواب عليه غبن والاماني تعمي اعين البصائر
وما هلك امرؤ عرف قدره وان المعرفة تنفع عند الجمل الصؤل
فكيف بالانسان العاقل وروي ان عيسى عليه السلام كان يقول
استكثروا من شيء لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف واحذر
القسوة فانها ام الخطايا وامارة الطمع فانها الداهية العقام و
الشوها العاقر وجاء في الحديث الايمان محفوف بالسماحة و
كان ابن عباس رضي الله عنه يقول لا يزهدنك في المعروف كفر
من كفر فقد يشكرك عليه من لم يستمتع منه بشيء يعني من سمعه فقط

ولان

ولان تخطى باذ لا خير من ان تصيب مانعا واذا لم تعطي لا
مستحقا فكانك تعطي غريما قال جعفر الصادق رضي الله عنه
امطر معروفك فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام
كنت له اهلا شعر احسن كفى بك ان تسمى محسنا ما احسن الاخبار عن
احسنه واغنم من الفعل الجميل اجله واجله كسب الفتى حسن الثنا
المحسن معان والمسيء مهان والموءبيرة يسترق الحر ويستحق
الشكر والشرف كف الاذى وبذل الندى والمنهج الموصل الى
الثناء الجميل ان يستعمل الانسان فكره وتمييزه فيما ينتج عن
الاخلاق المحمودة والمذمومة منه ومن غيره فياخذ نفسه فيما
استحسن منها واستملح ويصرفها عما استهجن واستقبح لحسن
الاخلاق واعودها عليك ما حثك على المكارم وجاء في الحديث
اتقوا النار ولو بشق تمرة ومن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة
وحد المروة ان يستحيي المرء من نفسه وهي كمال الانسانية
الخلق ارفعهم انفعهم وانقاهم اتقاهم واكملهم احلمهم
واغنى الخلق من قدر على نفسه شعر اول الجميل اذا قدرت فانه
لا شيء انفع منه للانسان واستبق بين الناس ذكرا صالحا
فجميع ما فوق البسيطة فاني وقال بعض الابدال المكارم
اثار ترجع على صاحبها في اي دار كان وقال بعضهم خير ايام
الدنيا ما لا ابتلي به وخير ما ابتليتم به منها ما خرج من ايديكم

وشر الجميع امساكه ومنعه ومن نال من الدنيا فاشترى اخرته
ببعضها واقرض الله من مواهبه التي دعاه الى قرضها فذاك
الذي فاز بالدارين وحظي برفع المنازل ما تخلقت العرب
والعجم بخلق اعظم عند الله من الكرم والاخلاق المحمودة وان
كانت في بعض الناس غريزة فان الباقين يصيرون لها بالرياضة
والالفة ويرتقوا اليها بالتدريب والعادة فانهم ان لم يكونوا
مطبوعين صاروا متطبعين والفرق بين الطبع والتطبع ان الطبع
جاذب فاعل والتطبع مجذوب منفعل وقد تكتسب الاخلاق
من المعاشرة فرب طبع كريم افسدته مقارنة اللئام وطبع لئيم
اصلحته مصاحبة الكرام والدليل على غريزة الجود السماحة عند العسر
وعلى غريزة الورع الصدق عند السخط وعلى غريزة الحلم العفو
عند الغضب والتواني في العناية بالخير شر كبير شعر
تكرم لتعتاد الجميل فلن ترى اخا كرم الا بان يتكرما وقال ابن
السماك وهو يعظ ايها الناس ان السامع المطيع لله لا حجة عليه
وان السامع العاصي لا حجة له وان الله اذا اراد بالعباد خيرا
وصلاحا عمل عليهم صلحاءهم وقضى بينهم فقهاؤهم وملك
المال سمحاءهم واذا اراد بهم غير ذلك عمل عليهم سفهاؤهم وقضى
بينهم جهلاؤهم وملك المال بخلاؤهم وجاء في حديث رواه ابن
عباس رضي الله عنه اذا اراد الله بقوم خيرا استعمل عليهم الحكماء

جعل

١٢٧

وجعل اموالهم في ايدي السمحاء واذا اراد الله بقوم بلاء استعمل
عليهم السفهاء وجعل اموالهم في ايدي البخلاء الا من ولي من امر امتي
شيئا فرفق بهم في حوائجهم رفق الله به يوم حاجته ومن احتجب عنهم
دون حوائجهم احتجب الله عنه يوم خلته وحاجته وجاء في الحديث
انما لك من مالك ما اكلت فافنيت وما لبست فابليت وما تصدقت
فابقيت ومن الامثال خير مالك ما نفعك وخير عمرك ما وعظك شعر
سر من عاش ماله فاذا حاسبه الله سره الاعدام وفي الخبر الصلة
والصدقة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار فمدلول الحديثين
الصدقة والصلة من جملة الاسباب التي قدر الله زيادة العمر بها
روي انه سئل ابن عباس رضي الله عنه عن الاجل الذي لا يستاخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون فقال قال الله تعالى هو الذي
خلقكم من طين ثم قضى اجلا وهو اجل العبد من ولادته الى وفاته
ونهاية عمر كل حي بقبل الموت واجل مسمى عنده وهو المعبر عنه بالبعث
بدليل قوله تعالى ثم انتم تمترون يعني فيه فان الموت
لا يمترون فيه فانه مشاهد لهم في كل حيوان مع الانفاس انما
وقعت المرية في البعث وهو الاجل المسمى المذكور فانهم ما شاهدوه
بعد بخلاف المشاهد فاذا جاء ساعة البعث لا يستاخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون وقال سبحانه ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون

عنه ساعة ولا تستقدمون، والاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق
لجملتها، قال الله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض
قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا
كفورا، واذا اراد الله زاد للعبد في عمره الدنيوي من عمره البرزخي وبا
لعكس، ومن شان التقدير ان يتبع المقدر، فمن حق المقدر ان يدفعه
الله فاذا قضى فلا مدفع له يشهد بذلك قوله تعالى، وكان امر
الله قدرا مقضيا، وقال في التيسير في تفسير سورة فاطر ان عمر رضي الله عنه
كان يدعو بهذا الدعاء اللهم ان كنت كتبت اسمي في ديوان الاشقياء
فامحه من ديوان الاشقياء، واثبته في ديوان السعداء، فانك قلت
يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب، وقال سبحانه ولا يعمر
من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير، ومما يزيد
العمر البر وترك الاذى، وتوقير الشيوخ لقول النبي صلى الله عليه وسلم
ما اكرم شاب شيخا من اجل سنه الا قيض الله عند سنه من يكرمه، قيض
اي سبب وقدر، فيه بشارة الى من اكرم شيخا بلغ سن ذلك الشيخ
المكرم، واكرم في ذلك السن ولذلك عدوا توقير الشيوخ مما يزيد
العمر، وان يقول في كل صباح مساء ثلاث مرات سبحان الله ملا
الميزان، ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش لا منجا ولا
ملجا من الله الا اليه سبحان الله عدد الشفع والوتر وعدد كلماته
التامات برحمته استغيث ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم،

وهو

وهو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى، ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا
محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، علمنا الله ما فيه نجاتنا
واعاننا على تادية ما كلفنا، وقال بعض الحكماء جمع المال فقر لا
غنى، والبخيل كشجرة لا ظل لها ولا جنى، وهو لا يستفيد بماله
الا الاذى وذما، ولا يستزيد بالسعي له الا عنا وهما والعاقبة الى
حسرة وندامة شعر يحيي الغنى اللئام لو عقلوا، ما ليس يجني عليهم العدم
هم لاموالهم ولسن لهم، والعار يبقى والجرح يلتئم، وقال لقمان
فضلة المال داء الاعراض، كما ان فضلة الزاد داء للاجساد،
وعلاجهما شيء واحد في الوقوف على حد الاقتصاد، والسخاء
سخاءان سخاء نفس الرجل بما في يديه يستفتح به من الله الاحسان
والكرم، ويستغنم به المثوبة في الاخرة والثناء الجميل في الدنيا،
ويصون به عرضه والسخاء الاخر تركه ما في ايدي الناس يغلق
عنه باب اللوم، وينال عزة النفس فان هو جمعهما فقد من الله عليه
باشرف اخلاق الكرام، وسئل حكيم عن الجود فقال هو ان تجود
بمالك وتصون نفسك عن مال غيرك، ومراتب العطاء ثلاثة
سخاء وجود وايثار فالسخاء اعطاء الاقل وامساك الاكثر، والجود
اعطاء الاكثر وامساك الاقل، والايثار اعطاء الكل من غير امساك
لشيء، وقيل الجواد من لم يكن اعطاه لطلب الاعواض والجزاء وقيل
الجود ما كان بغير سؤال والسخاء ما كان بسؤال، والخلق عادة

قال النيسابوري في الفرق بين السخي والكريم والبخيل واللئيم
اللئيم هو الذي يجمع ويمنع ولا ينفع ولا ينتفع والبخيل هو الذي يجمع ويمنع و
ينتفع ولا ينفع والسخي هو الذي يجمع وينتفع وينفع والكريم
ينفع ولا ينتفع والله تعالى هو الكريم لانه تعالى يفعل
لنفع غيره دائما وهذا لا يكون الا لله تعالى ... فالجواد كذلك

للنفس تفعلها بلا روية وهو نوعان جميل محمود وقبيح مذموم واما
المروة فهي والمال فرسا رهان وشريكا عنان فالهمة مع الجدة بجمل
وتحسن واذا كان المرء ذا همة وجدة غير مساعد لم ينل بهمته الا سوء
الانحطاط لرتبته والمحمود ان لا يتجاوز المرء همته فوق قدره و
قدرته لئلا يعيش بهمته طول مدته وقال حكيم لا تكن رطبا فتعصر
ولا يابسا فتكسر **فصل ومما قيل في ذلك** قال حكيم لا تذهبن في الامور
فرطا لا تسأل لي ان سألت شططا ولا تجرحك اخذ او عطا وكن
من الناس جميعا وسطا ومن الادب ان لا يطلب الا على قدر الطالب
لا على قدر المطلوب منه ومن حقائق الايمان الاقتصاد في الانفاق
والاقتصاد في الانفاق اذا كان غنيا جوادا لا يتدع في الا
نفاق فيقع في الاسراف ويجحف بماله فانما هو رزق ان الله اذا رزق
اقتصد في انفاقه في كل شيء سرف يكره حتى في الكرم
لا اجود من قول نعم من قال لا في حاجة مطلوبة فما ظلم فانما
الظالم من يقول لا بعد نعم وقيل في قوله تعالى فان لم يصبها وابل
فطل لمن انفق ما في وسعه وان قل وقال ابو الاسود الدؤلي لا
تجاودوا الله فانه اجود وامجد ولو شاء ان يوسع على خلقه حتى
يكون فيهم محتاج لفعل ولو جدنا على المقلين باعطائهم
ما سألونا لكنا اسوءها لا منهم وجاء في الحديث ان الله
قيل وقال واضاعة المال وقال بعض الحكماء من وهبه

السطط وهي مجاوزة الحد وتخطي الحق هـ

المال في عمله فهو احمق ومن وهبه بعد العزل فهو مجنون ومن
وهبه من جائزة سلطان او ميراث لم يتعب فيه فهو مخذول ومن
وهبه من كسبه ومما استفاد بسعيه وجهده فهو المطبوع على
قلبه المأخوذ بسمعه وبصره وكان القاضي اياس يقول الجود
من الموجود دعوا الجود للملوك والوزراء فانه فيهم احرى لا يليق
الا بهم ولا يصلح الا لهم فمن عارضهم في ذلك ثم افتقر فلا يلومن
الا نفسه وقال بعضهم شعر ولو مد نزوى بمال كثير
لجدت وكنت له باذلا فان المروة لا تستطاع اذا لم يكن مالها فاضلا
قال الاسكندر منع الحافظ خير من اعطاء المضيع وجاء في
الحديث المعروف لا يصلح الا لذي دين او لذي حسب او لذي
حلم اتق شر لئيم احسنت اليه وقال بزرجمهر الكريم لا يكون الا
شكورا غير حقود تنسيه الحسنة الواحدة سيئات كثيرة و
اللئيم ضد ذلك واذا كانت الاساءة طبعا لا يملك الاحسان
لها دفعا المعروف اذا كان عند حليم فهو كالغيث الصيب
في التراب الطيب واذا وضعته في اللئيم اضعته الخير في غير
اهله غريب وقال جالينوس لا تصنعوا الى ثلاثة معروفا
اللئيم لانه كالارض السبخة فكما لا يظهر فيها البذر كذلك لا
ينتج فيه المعروف يعني لا يشكرك عليه ولا تحظى به لديه و
الفاحش فانه يرى ان الذي صنعته معه انما هو مخافة فحشه

فلا يشكرن الا نفسه والاحمق فانه لا يدري ما اسديت اليه
ولا يشكرك عليه شر الاوائل والاواخر ذمه لم تصطنع وصنيعة
لم تشكر وقال اضاعة المال من الضلال والاحسان الى اللوماء
كالوسم على الماء الخير لا يضيع الا عند وضيع ومن عفت اطرافه حسنت
اوصافه وقال افلاطون من الحزم ان تعلم ان مالك لا يسع الناس وان
كرامتك لا تسع المقلين واخصص بها اهل الفضل والمروة ومن بمسه
الحاجة اليك واد باب الحق عليك ومن شان النفس الجنبية ان تسيء
الى من احسن اليها شعر لا تقتضي النفس الجنبية بجنبها حتى تسيء لصاحب
الاحسان وقال حكيم اسراف الزاد من الفساد واسقاط الزوايد فوايد
والخروج عن المعتاد دخول في التبداد والسخاء بذل ما يحتاج اليه
عند الحاجة وان توصل ذلك الى من يستحقه بقدر الطاقة فمن
جاوز هذا فقد افرط وخرج عن حد السخاء الى التبذير وذلك ان
من بذل ما يحتاج اليه كان غير محمود ومن بذله في غير وقته كان كا
لباذل الماء على شاطئ النهر ومن اوصل ما يحتاج اليه الحين لا
يحتاج اليه وكان ذلك على غير استحقاق كان المجهد عدو على نفسه
ومن صان ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض وجاء في
الحديث ماكان الرفق في شيء الا زانه وفي حديث اخر اياكم و
السرف في المال والنفقة عليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم
قط اقتصدوا وما عال من اقتصد وقال بزرجمهر لا تسمح

لولدك

لولدك ولا لامرأتك ولا لخادمك بما فوق الكفاية فان الطاعتهم
لك بقدر حاجتهم اليك اوسعهم في الرجا لا في العطا ومن الامثال
صري واحلبي باب في مدح صيانة المال وكان يقال الممسك للمال اعذر
من الظالم بالفعال اعتب على من استبقى ما له ليصون به وجهه وعرضه
عن مسألة الناس والاحتياج اليهم انما تلزم الائمة من لمال غيره
مال واتسع في الامال ومن الامثال ارضى الجميع ارضى للجميع لا يسلم
من الناس الا من لم يظهر منه خير ولا شر لانه ان ظهر منه خير عاداه
شرارهم او شر عاداه خيارهم وقال حكيم البخل ضد الكرم فمن كان
كريما كان له ضد ومن اعطاك فقد اوجب عليك بالحال شكره
وان لم ينطق به والشكر جزاء وان لم يطلبه المعطي ومن علم ذلك
فقد كلف المعطا بالحال والعلم ما لو لم يعطه لم يجب عليه ذلك
ومن كلفك فقد تعبك وشكر المنعم عرفا وشرعا ولم يحبك من
ساءه حسن حالك فانزل الناس منزلة النار التي لا تدنو منها
الا عند الحاجة اليها فاذا دنوت منها فعلى حذر من احراقها وقال
حكيم اصعب الاشياء عليك ان تعلم الناس انك احسن حالا منهم و
لا يقدر على ارضاء الخلق المتجرد لطول الليل والنهار فكيف من
كان له مهم يشغله في دين او دنيا ويقال وربما كانت العطية
خطية وافراط السخاوة رخاوة ومن تكامل بحسبه لم
تفضحه نفسه نعم جنة المرء من سهام دهره نزوله عند

ط شرائتين فضل الغنيه لحوض منعه

قدره ومن سعادة جده وقوفه عند حده شعر من مشى مشية تيها
ونسي ما كان فيه وتردى برداء ما ترداه ابيه سوف يأتيه زمان
يتمنى الموت فيه وقال لقمان الخطاء في اعطاء ما لا ينبغي ومنع
ما ينبغي واحد وما كل خاطر بعاطر لا خير في معروف الى غير عروف
شعر لا تجد في العطاء في غير حق ليس في منع غير ذي الحق بخل
انما الجود ان تجود على من هو للجود والكرامة اهل قال الكرماني الجود
اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي ينبغي للعاقل ان يتخير لمعروفه كما يتخير الباذر
لحبوبه التي تنثر بما ذكى من الارض الحر يشكر على حسب الامكان من
المنعم والموقع من الراغب والنذل انما يشكر على حسب الكثرة والزيادة
فقط وقال بزرجمهر آفة الدنيا كثرة العامة وقلة الخاصة والمحدود
من كانت له الى لئيم حاجة لا عتب على الرجل ان يخدم ماله تحصيلا
لا يزال العبد بخير ما حفظ همه ودهمه للمعاش ودينه للمعاد وقال
ابن المعتز حفظ الرجل ما في يديه خير من طلب فضل ما في ايدي
الناس عجبت لمن يسمي القصد بخلا والاسراف جودا ومن الحكم
المتداولة لا شيء كالدين ولا قلة انصاف كالاسراف اذل من
اللئيم سائله ما يفعل الحليم بعدوه ما يفعل الاحمق بنفسه
ومن حكمة لقمان لولده يا بني استعن بالكسب الحلال على الفقر
فان احدا ما افتقر الا واصابته ثلث خصال رقة الدين وضعف
العقل وذهاب المروة واعظم من هذه استخفاف الناس

وفي

وفي الامثال اقل من البخيل لائمه يعني لوم البخيل نفسه من الطمع
ودناءة النفس ولهذا يقال رب لائم ملوم لعل له عذرا وانت
تلوم ورب مستحسن ما ليس بالحسن وقال علي رضي الله عنه ذم
الشيء من الاشتغال به كما قيل في حق الدنيا شعر
قد اضحت الدنيا لنا عبرة والحمد لله على ذلكا فاجمع الناس على ذمها
وما نرى منهم لها تاركا وقال سفيان الثوري حفظك لما في
يديك لتقضي به حاجاتك خير من تصدقك به وطلبك لما في يد غيرك
شعر والمرء لا ينقص مقداره الا اذا احتاج الى الناس
احفظ من الحكمة ما تنتفع به وخل الناس والناسي وقال حكيم
الحاجة الى الناس عذاب عاجل وبلاء نازل الناس داء دواؤهم
تركهم خذ من الناس جانبا غير طاعن عليهم ولا تارك لجماعتهم
ولا معتزل من يكون عونا في امر الدين وفي اصلاح المال نعمة لا
تقاس وهي الاستغناء عن الناس وقال ابن المعتز شعر
لحفظ المال خير من بغاه وضرب في البلاد بغير زاد واصلاح
القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد وروي ان عمر رضي
الله عنه كان يقول ان الله يحب القصد والتقدير ويكره السرف
والتبذير وقد اكثر العقلاء كلامهم بالتحذير من عواقب
التبذير وقال المامون لا يحسن السرف الا لاهل الشرف
من فقه الرجل رفقه في معيشته وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه

قال قالوا يا رسول الله من الجواد ومن البخيل فقال الجواد من جاد
بحقوق الله في ماله والبخيل من منع حقوق الله وبخل وليس الجواد
من اخذ حراما وانفق اسرافا وقال معاوية السخاء خلق مستحسن
ما لم ينته الى سرف وتبذير ما رايت سرفا الا والى جانبه حق مضيع
وباطل مصنع شعر ما كلف الله نفسا غير طاقتها ولا تجود يد الا بما تجد
قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها معنى الوسع ليس هو
بذل الجهد واقصى الطاقة لان الله لا يكلف عباده ما يشق عليهم
وهو لطيف بهم وقال ابو الاسود الدؤلي يا بني اذا بسط الله
عليك فابسط واذا امسك عليك فامسك ولا تجاوده فانه اجود
وامجد وتالف النعمة بحسن جوارها وقال ابن المعتز شعر
ساجعل عيني اسرتي عند عسرتي وابرز فيهم ان اصبت ثراء ولي اسوة
بالبدر ينقص نوره فيحتاج الى ان يستجد ضياء اسرة الرجل رهطه
لانه يتقوى بهم قال الله تعالى نحن خلقناهم وشددنا اسرهم
اي خلقهم الذي يتقوون به ويقال المنع الجميل خير من المطل
الطويل عذر الممنوع اجمل من وعد المطول وقال اهل الادب وعد
بلا وفا عداوة بلا سبب وقال ابو حامد الغزالي خلف الوعد من
امارات النفاق وان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو
النفاق بعينه امران لا يسلمان من الكذب كثرة المواعيد وشدة
الاعتذار شعر اذا قلت في شيء نعم فاتممه فان نعم دين على الحر واجب

والا فقل لا تسترح وترح بها لئلا يقول الناس انك كاذب وقال
افلاطون اذا انجزت ما وعدت فقد احرزت فضيلتي الجود و
الصدق وفي الامثال السراح نجاح يعني ينبغي ان يؤيسه اذا
لم يقض حاجته للطالب البالغ لذة الادراك وللطالب المحروم راحة
اليأس واجمع كلمة نصحا قول علي رضي الله عنه ما هلك امرؤ عرف
قدره وكانت العرب تسمي هذه الكلمة جامع الخير وقال بعضهم نعم
حاجب الشهوات غض البصر رب نظرة زرعت شهوة ورب شهوة
اورثت حزنا طويلا اصبر الناس من كان رايه رادا لهواه وقال
حكيم حسن التدبير بالتقدير نصف الكسب والتوفير وهو قوام
المعيشة وقال ذو النون حسن التقدير راس التدبير القليل
مع الكفاف خير من الكثير مع الاسراف وربما الاسراف كان سببا
في التقصير وفي اصلاح المال اصلاح ما فسد من الاحوال ولا
اقتصاد في الغنى والفقر عدة لنوائب الدهر وقال لقمان التدبير
من سوء القضاء والقدر ومن انفق سرفا مات اسفا ما وقع
تبذير في كثير الا هدمه ودمره ولا دخل تدبير في قليل الا نماه
وكثره وقال اعرابي لولده يا بني اقتصد في انفاق الدراهم فانها
لجراح قلبك مراهم ديقا لان الحبيب الى الاخوان ذو المال وقال
بعضهم شعر وكان لنا مال يا ربنا وكنا نبذره وليس لنا عقول
فلما ان تولى المال عنا عقلنا حيث ليس لنا فضول ولا تنظر بكل

من منع ما نيل ماله انه بخيل فقد منع من طلب السلامة من الناس ومن
يكره مداخلتهم له وانفتاح ما لا يملك غلقه منهم وما يحتاج الى التكلف
الاعتذار لهم والانتصار لنفسه منهم فيرى ان يغلق ابواب هذه السبل
عنه ولا يهش الى كافة الناس هشاشة تحشرهم اليه فيضيق ذرعا بهم
ولا يصبر على ما يحبون منه ويؤثرون فيه وليس تسلم مودة المتعاملين
حتى تكون رغبتهما في الصداقة اكثر من رغبتهما في المعاملة وقال بعضهم
شعر واين الصديق الصدوق الذي صداقته من قذى صافيه
فما لي صديق سوى درهمي وما لي حبيب سوى العافية وقال جالينوس
الزمان الردي يقلب اعيان المنعمين الى المنع والاساءة بما يظهر فيه من
كفران الاحسان ومقابلة الجميل بالقبيح قال الشعراني في كتاب العهود
وتامل يا اخي لما كان اهل هذا الزمان لا يستحقون فعل الخيرات
معهم كيف قامت دونهم الموانع في وصولها الى ذواتهم واخذت
الامور كلها في الطي بعد النشر واقل الموانع كما هو مشاهد ان من
احسنت اليه طول عمرك لا يحتمل منك الان كلمة ما وافقته بل يصير
يمزق عرضك في افاق الارض ولا يتذكر قط لك جميلا ولا حسنة
فاذا عرضوا عليك بعد ذلك شخصا لتحسن اليه لا تجد في نفسك
داعية لما قاسيت من الاول فالعاقل من قبض على يمينه ومن التفت
الى شيء سواه وقع في كفة النقصان مال الانسان لا يجود به
الا بطيب نفس ومن صان ماله فهو ان الانسان لا يدري ما يكون

والآفات كثيرة والامراض متوقعة والحاجة الى الناس صعبة
لا سيما مع الكبر ولا سيما اذا كان الاهل والولد ومن احتاج
الى الناس جهل قدره وتعب خاطره لان لم من لم تعرف امره وظهر
عندك عذره ويقال الفاقة الموت الاصغر بل هي الموت الاكبر
شعر لا تلم المرء على بخله ولمه ان جاد على بذله لا لوم في الدنيا على
عاقل يكرم ما يكرم من اجله ينبغي للعاقل ان يكسب ببعض ماله
المحامد ويصون ببعضه وجهه عن المسألة وقال صاحب كتاب الطب
الروحاني اما البخل اعلم ان هذا العارض لا يمكننا ان نقول انه من
عوارض الهوى بالاطلاق لانا نجد في البخل فرقا فمنه انا نجد قوما
يدعوهم الى التحفظ لما في ايديهم فرط عزة نفوسهم ان لا يقعوا
في ذل الحاجة الى الناس وبعد نظرهم في العواقب وشدة
اخذهم بالحزم في الاستعداد للنوائب فاذا كان كذلك فليس
ما عرض له من الامساك من الهوى بل من العقل الصادق والروية
ولا ينبغي ان يزال عنه بل يؤيد ويثبت عليه الا ان ليس لاحد ان
يحتج احتجاجا بلا حقيقة ويشبه الهوى بالعقل فيكون نصرا
من الخداع فاذا كان من الهوى فهذا هو العارض المذموم الذي
ينبغي ان يصلح ولا ينقاد عليه وهو الذي لا يؤثر في الحالة
الحاضرة انحطاطا ولا عجزا وضعفا وعلامة الاول ان يكون
صاحبه مايوسا قاطع الطمع كاف النظر عما في يد غيره حسن

الخلق في سائر المعاملات ملازما للتقوى في امور خيرا قنوعا
ذا عفة وامانة والذي يكون لا لمدّ اذا المطبع به لا للشئ آخر الذي
تسمع الناس يذمونه علامته كون صاحبه بضد ما ذكرناه ولا
يسوغ لمن يحتج بالقول الاول الا مع صحة علائمه وشواهد حاله
وفي الامثال شغل الحلي اهله ان يعار ايعني صاحب الحلي احتاج ان
يعلقه على نفسه فلا يعيره يضرب هذا المثل في اعتذار المسؤل
شيئا هو احوج اليه من السائل وروى ان الامام الشافعي قال
ليونس السلمي يا يونس اريد فضحك رضاء الناس ضالة لا توجد وشئ
لا ينال فانظر في نفسك وما يصلح لها فافعله **شعر**
لمائدة موضوعة الف غائب وعيب الذي لم يوضع الدهر واحد

فصل وما قيل في البخل وهو امساك المال حيث يجب بذله وشدة
الامساك عن نفسه بان لا يسمح ان ياكل او يلبس او يتداوى وهذا
يسمى شحا وهو من الغرائز السفلية ومحبة الحظوظ الجزوية فلا
منها الا عند انتفائها ولكن المعصوم من تلك الافات والشرور من
عصمه الله روى ان الشعبي كان يقول ما افلح بخيل قط اما سمعتم
قول الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فحكم بالفلاح
لمن وقي الشح والشح من لوازم صفة النفس وحكم بالفلاح ايضا لمن
انفق وبذل فقال تعالى ومما رزقناهم ينفقون اولئك على هدى
من ربهم واولئك هم المفلحون والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين

روى

روى عن علي رضي الله عنه انه قال من ادى زكاة ماله فقد وقي شح
نفسه وان الحسد يتشعب من الشح وقد ذم الله من يمنع خيره
ويامر بالبخل غيره فقال تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس با
لبخل الاية **شعر** وغيظ البخيل على من يجود اعجب عندي من بخله
وقال مالك بن دينار اذا رايت الرجل لا خير فيه لنفسه فلا ترجه لنفسك
وقال الحكيم اذا سالت كريما حاجة فلا تعجل عليه ودعه يفكر فانه لا
يفكر الا في خير واذا سالت لئيما حاجة فقاصصه ولا تدعه يفكر
فانه كلما تفكر ازداد بعدا ولا يسود بخيل ولو بلغ عنان السماء
وفي المثل الظل لا اعوج اعوج وقال ارسطاليس لا مروة لبخيل والبخيل
ابدا ذليل لانا الكريم المدبر ارجى مني للبخيل المقبل الكرم الاعطاء
بسهولة وطيب النفس والكريم من قامت به هذه الصفة وقال
ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه واعزهم لماله اذلهم لنفسه وقال
الحسن البصري البخيل في الدنيا بماله مهموم وفي الاخرة بمنعه
ماثوم غير امن في الدنيا من همه ولا ناج في العقبى من اثمه عيشه
في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الاخرة حساب الاغنياء وقال
لقمان البخيل مهتم بجمع المال وحفظه وفي عقباه محاسب
على منعه وكسبه والبخل سببه حب المال ولحب المال سببان
احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال
شعر شره النفوس على النفوس بلية فتعوذوا من كل نفس شره

ما من فتى شرهت له نفس وان، نال المنى الا ارى ما يكره يعني من شره
وقع فيما كره، والثاني طول الامل فيعالج حب الشهوات بالقناعة
باليسير والصبر، ويعالج طول الامل بذكر الموت والنظر في موت
الاقران، وتعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات
القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم ولد لم يرث
من ابيه مالا واحسن حالا ممن ورث شعر ومن يتيما لاعدة وصيانة
فلا الدهر يبقيه ولا الدهر واقيه، ومن يك ذا عود صليب يعده
ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره، وروي ان الحسن رضي الله عنه سال
عليا كرم الله وجهه ما الشح قال ان ترى ما في يديك شرفا وما
تنفقه تلفا شعر ذهاب المال في حمد واجر، ذهاب لا يقال له ذهاب
واضاعة المال هو انفاقه في معصية الله، ومن انفاقه في معصية الله
اعطاؤه لمن تعلم انه يخرج فيما لا يرضي الله فان لم تعلم فلا باس،
وقال علي رضي الله عنه لا تمنعن كثيرا عن حق ولا تنفقن قليلا
في باطل وروي عن مجاهد رضي الله عنه انه قال لو ان رجلا انفق
مثل احد في طاعة الله لم يكن من المسرفين وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الايمان الصبر والسماحة
وقيل للحسن ابن سهل وكان معطيا لا خير في السرف فقال لا سرف
في الخير وهذا من بديع الكلام وذلك انه عكس على المنكر كلامه
كان جوابا وردا عليه من غير ان يزيد فيه او ينقص شعر

ما الفقر

ما الفقر عار وما الغنى شرف، ولا سخاء في طاعة سرف، ما لك الا
الذي تقدمه، وكل شيء اخرته تلف، وقال ابن المعتز البخل يهدم
مباني الكرم، يبكي على الذاهب من ماله، وانما يبقى الذي يذهب،
وقال ابو حامد الغزالي التقليل من الكفاية نقص من المروة، و
كان ابراهيم ابن ادهم يقول ليس احد بافضل ممن اغنى نفسه
عن الناس، **باب في مدح التجارة** التجارة عبارة عن شراء شيء
ليبيع بالربح، ويسير الغابنة في التجارات جائز فان موضوع التجارات
عليها اذا كان عن تراض فاذا تفاوت القيمة وعظم الغبن فكره،
وشرعية البيع نعمة، والا اذا حصل لواحد غرض في شيء عند اخر
اخذه قهرا او سرقة، والحاجة تدعو البائع كما تدعو المشتري،
فان المقصود من المبيع هو الانتفاع بالمملوك، والثمن الذي
هو وسيلة اليه وسيلة الى المقاصد، وبالبيع والشراء تنال
الاغراض وتقضى الحاجات، وقد كان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتجرون، وسماهم الله رجالا لما قاموا في الاسباب
ولم يشتغلوا بها عن ذكر الله، فقال تعالى رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وفي الاية ما يدل على جواز البيع و
التجارة من فحوى الخطاب، والتجارة التصرف في المال بيعا
وشراء طلبا للربح فهي اخص من البيع لانه قد لا يكون لطلب
ربح فمن ثمه حسن الجمع بينهما في قوله تعالى رجال لا تلهيهم

قال بعض الحكماء وضع الله المكاسب في الدنيا ليتقي
الاولياء ان الدنيا فانية لا تدرك الا بالطلب فكيف الاخرة
تحصل بغير طلب وقال شقيق البلخي في قوله تعالى ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض ان الله لو رزق العباد من غير كسب
تفرغوا وافسدوا ولكن شغلهم بالكسب حتى
لا يتفرغوا للفساد

تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وقدمت التجارة لانها احب الى النفوس،
روى ان اول من سمى من يتعاطى التجارة تجارا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين قال يا معشر التجار الحديث وكانوا يسمونهم سماسرة،
وقال المولى جلال الدين فى المثنوى، چيست دنيا از خدا غافل شدن،
نى قماش ونقره وفرزند وزن، يعنى كل شئ يغفلك عن محبة الله
وذكره هو الدنيا ومن لم يكن غافلا عنهما لم يكن دنيويا، سواء كان
غنيا او فقيرا، والغفلة ثلث الاول الغفلة عن الحق والشغل بالخلق
والثانى الغفلة عن الاخرة والشغل الى الدنيا والثالث الغفلة
عن الموت والشغل الى الحيوة، واتفق العلماء على ان افضل الذكر
ذكر الله عند ما حرم الله، وفسر مجاهد رضى الله عنه قوله تعالى انفقوا
من طيبات ما كسبتم بالتجارة، وقال فى قوله تعالى ليشهدوا منافع
لهم انها التجارة، وليس على العبد الا ان يتقى الحرام من خشية الله،
وعلى الله ان يسوق اليه الحلال، وكان الحسن البصرى يقول عليكم
بالحرفة ولن تزالون كراما على اخوانكم ما لم تحتاجون اليهم، ومن
اتى ابواب الامراء فانما اتاهم من الحاجة، وروى انه قيل لابراهيم
ابن ادهم كيف انت قال بخير ما لم يتحمل مؤنتى غيرى، ويقال حرفة
المرء كنزه، ومما لا بد منه ان ترفع كلفتك عن الخلق واحترف و
تورع فى كسبك ونطقك وجميع حركاتك، ولا تتوسع فى مسكن
ولا ملبس ولا ماكل، فان الحلال لا يحتمل السرف، وكان يقال

التجارة امارة والارباح توفيقات، وجاء فى الحديث الكاسب حبيب
الله، وفى خبر اخر الاسواق موائد الله فى ارضه فمن اتاها اصاب منها
وفى حديث اخر انما يخشى المؤمن الفقر مخافة الافات على دينه، روى
انه كان لسفيان الثورى بضاعة يقلبها ويقول لولا هذه لتمندل
بى بنو العباس، وكانت بضاعته خمسين دينارا وترك ابن المبارك
دنانير فقال عند موته اللهم انك تعلم انى لم اقتنها الا لاصون بها
مروتى ودينى، وقيل لحكيم لم تحب هذه الدراهم وهى تدنيك من
الدنيا قال بل تصوننى عنها، وقيل لافلاطون لم يقتنى الحكيم
المال وهو شيخ كبير، قال لان يموت الانسان فيخلف مالا لا
عدائه خير من ان يحتاج فى حياته لاحبائه، اطلب العلم والمال فان
الخاصة تفضلك بما تعلم والعامة بما تملك والجميع بما تعمل، وقال
على رضى الله عنه من اطاع التوانى ضيع الحقوق، ومن دلائل العجز
كثرة الاحالة على المقادير، ويقال من جال نال، ومن دام كسله
خاب امله، وجاء فى الخبر من فقه الرجل ان يصلح معيشته، وفى خبر
اخر خيركم من لم يترك اخرته لدنياه ولا دنياه لاخرته، ولكن خيركم
من اخذ من هذه وهذه ولم يكن كلا على الناس اعظم الناس هما
المؤمن يهتم بامر دنياه وامر اخرته، وليس من حب الدنيا طلب ما
يصلحك، وقال سفيان ابن عيينة من كان له مال فليصلحه فانكم
فى زمان من احتاج الى الناس كان اول ما يبذل لهم دينه، وروى

عن كعب رضي الله عنه انه قال قرات في التورية ابن ادم حرك يدك لباب
من العمل افتح لك بابا من الرزق وجاء في الحديث من رزق من شئ
فليلزمه وقال بعض الاشراف ما يسرني اني كفيت امر الدنيا كلها لئلا
القعود على العجز وسئل الامام احمد بن حنبل عن رجل جلس في بيته او في
المسجد وقال لا اعمل شيئا حتى يعطيني ربي رزقي قال هذا رجل
جهل العلم وقال سهل بن عبد الله التستري التوكل حال رسول الله و
الكسب سنته وانما سن للناس الكسب لضعفهم واباح لهم طلب المكاسب
الذي هو سنته ولولا ذلك لهلكوا اليد الفارغة تسارع الى الشر
والقلب الفارغ يسارع الى الاثم ومن قوت القلوب والذي ينقص
المتوكل ويخرجه عن حد التوكل هو اكتساب الشبهات للاستكثار و
السعي بالتكسب للجمع والافتخار والحرص على ما خطره العلم عليه و
التسخط للاقدار واذا لم توافه على ما قدر واختار او ترك النصح لمن
عامله بان يحتال عليه او التشرف الى الخلق او الطمع لسببه او الوقوف
لمعتاد من عبد فهذا كله لا يصح معه فضل التوكل وجاء في الحديث
افضل ما ياكل الرجل من كسبه وقال بعض الابدال من اكل الحلال
صدرت عنه صالح الاعمال وقال ابن شهاب مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم باعرابي وهو يبيع شيئا فقال للاعرابي عليك باول
السوم فان الربح مع السماح السوم طلب المبيع بالثمن الذي يعرض
والسماحة بذل ما لا يجب تفضلا ومر علي رضي الله عنه على تاجر

فقال

فقال له اعط المتاع للطالب الاول وخير راس المال الديانة
وقيل للزبير بم نلت هذا المال قال فاني لم ارد ربحا ولم ابع
بنسيئة ولم اشتر غبنا فان الغبن في شيئين الردي والغلا فاذا
استجدت سلمت من احدهما شعر ما ارخص الغالي اذا كان حسنا
خذ ما حسن تربح ولو كان نزرا وسال معاوية سعد بن العاص
عن المروة فقال العفة والحرفة وجاء في الحديث ان الله يبغض
العبد الصحيح الفارغ وان الله يحب العبد المحترف وقال صاحب التيسير
في تفسير قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله اي طالبين المعاش الذي فيه قوامكم وفضل الله رزق
الله تفضل به على عباده ولا خلاف ان طلب الرزق مشروع والتكسب في
الدنيا وان كان معدودا من المباحات من وجه فانها من الواجبات
من وجه وذلك انه اذا لم يكن للانسان الاشتغال بالعبادة الا
بازالة ضروريات حياته فازالتها واجبة لان كل ما لا يتم الواجب
الا به فهو واجب كوجوبه والله يبغض كل فارغ من اعمال الدنيا و
الاخرة وقد بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم
اصناف كما هم اليوم منهم التاجر والصانع والقاعد من سؤال
الناس فما قال للتاجر اترك تجارتك ولا للصانع اترك صناعتك
ولا نهى السائل بل امران يعطي ولكن جاءهم بالايمان واليقين
في جميع احوالهم وتوكلهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا • واقبح الكفر والافلاس في الرجل •
وقال سليمان عليه السلام الحكمة مع الغنى يقظانة • ومع الفقر نائمة
شعر حياة بلا مال حياة ذميمة • وعلم بلا جاه كلام مضيع • وروى
انه مر علي رضي الله عنه في سوق الكوفة ومعه الدرة وهو يقول يا معشر
التجار خذوا الحق • واعطوا الحق تسلموا واعلموا ان خير الزاد التقوى •
ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره • ايها الباعة احسنوا واحضروا •
بيعكم للمسلمين فانه اعظم للبركة • النصح للمسلمين من شرط صحة الا
سلام • لقول النبي عليه الصلوة والسلام انما الدين النصيحة • قالها
ثلاث مرات • قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولائمة المسلمين •
وعامتهم النصيحة وهي ارادة الخير للغير • واخلاص العمل عن الغش يقال
نصح الشيء اذا خلص • فالنصيحة لله اخلاص الاعتقاد في وحدانيته
ووصفه بصفات الالهية • والتنزيه عن النقائص والرغبة في محابه •
والبعد عن مساخطه ويعفو ويصفح • ويتصدق فيثني عليه
بذلك فيرجع ذلك الثناء على الله • لانه سبحانه هو الذي شرع ذلك
وندب اليه • ومن طلب الثناء والجزاء على العفو والصفح والعطاء •
لنفسه دون الله فما نصح لله • وان لا يتقوى بنعمه على معصيته •
والغش لله ان يفعل العبد عكس ذلك • فلا يعفو ولا يصفح ولا
يعطي فيذم بذلك فيرجع صورة الذم اليه تعالى وكل عار في
بغاد على الحق ان يذكر احد بسوء • وقد نبه على ذلك في القران الكريم •

فقال

فقال سبحانه ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا
الله عدوا بغير علم • وهذه الصفات راجعة الى العبد في نصيحة
نفسه فان الله تعالى غني عن العالمين • وعن نصح الناصحين • و
النصيحة لرسول الله التصديق بنبوته والتزام طاعته في امره و
نهيه وموالات من والاه • ومعاداة من عاداه وتوقيره ومحبته
ومحبة اهل بيته وتعظيم سنته • واحياؤها بعد موتها بالبحث
عنها والعمل بها • والتفقه فيها ونشرها والذب عنها والتخلق با
خلاقه الكريمة • وان يقول عند ذكره صلى الله عليه وسلم • والنصح
لائمة المسلمين ترك الخروج عليهم • وارشادهم الى الحق وتنبيههم
فيما غفلوا من امور المسلمين • ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم
والنصح لعامة المسلمين • ترك معاداتهم وارشادهم الى ما هو
الحق والصواب • وحب الصالحين منهم • والدعاء لجميعهم وارادة
الخير لكافتهم • روى الطبراني عن حذيفة رضي الله عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم • من لا يهتم بامر المسلمين فليس
منهم ومن لم يصبح ويمس ناصحا لله • ولرسوله ولكتابه • ولامامه
ولعامة المسلمين فليس منهم • والنصح لكتاب الله قراءته والذب
عنه وتعليمه واكرامه • والتخلق به وقد مر ان من النصح للمسلمين
دفع مؤنة نفسه وبدنه وحوائجه عنهم • وتوقي ما يشغل
خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم • وجاء في الحديث لا يحل

لاحد يبيع بيعا الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه وفي
وفي جزاخر البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما
واذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما وفي جزاخر يد الله على الشريكين
ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما وفي جزاخر لا تزال لا اله
الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم
على اخرتهم وفي لفظ اخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة
دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى لستم
بها بصادقين قال صاحب النصوص ليس المراد من الذكر صورة
الذكر الصورة كالجسد والمعنى كالروح بل المراد معنى الذكر وهو
المراد بحق اليقين وقد ثبت شرعا وكشفا ان ما لها صورة الا ولها
روح فتارة تخفى اثار الروح في الصورة بالنسبة الى اكثر الناس
وتارة تظهر بشرط تايد روح تلك الصورة بمدد يتصل من روح
اخر اذا عرفت هذا فاعلم ان صور الاعمال والافعال والاقوال
اعراض لا يرتفع الا بارواحها المصاحبة لها والمتايدة لها ايضا
بارواح نيات العمال واستعداداتهم واعتقاداتهم الصحيحة المطابقة
لما هو الامر عليه وللحروف والكلمات من حيث افرادها ومن
حيث تركيبها خواص تظهر من ارواحها بواسطة صورها تلفظا
وكتابة قال رفاعة رضي الله عنه كنا نصلي مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولما رفع رسول الله راسه في الركوع قال سمع الله

لمن

لمن حمده فقال رجل من وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا
فيه فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم قال من المتكلم انفا
قال الرجل انا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم لقد رايت بضعة
وثلاثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها وذلك ان مجموع حروف
الكلام الذي ذكره الرجل وراء النبي ثلاثا وثلاثين حرفا لكل
حرف روح هو المثبت والمبقي لصورتها لما وقع النطق به فبارواح
الصور تبقى وبنيات العمال وتوجهات نفوسهم ومتعلقات
هممهم التابعة لعلومهم واعتقاداتهم بحسب استعداداتهم
ترتفع حيث منتهى همة العامل قال الله تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه وهذه المعاني وهي ارواح الالفاظ
من عالم الملكوت وقال بعض الحكماء ترك المكاسب مع الحاجة
اليها كسل والكسب مع الاستغناء عنه كلفة وانما حرم العبد مجئ
الرزق اليه بكثرة الذنوب او من حبس الفضول روى انه قيل
لبعض الاشراف تستقصي في اشترائك على اليسير ثم تهب الكثير
ولا تبالي قال الواهب يعطي فضله والمغبون يغبن عقله وانما
اعين بصيرتي فلا امكن الغابن من ذلك وجاء في الحديث المغبون
لا ماجور ولا مشكور الا انه جاء في جزاخر الا ادلكم على شيء
يحبه الله ورسوله قالوا بلى يا رسول الله قال التغابن
للضعيف شعر واذا الكريم اتيته بخديعة فرايته فيما تريد يسارع

فاعلم بانك لم تخادع عاقلا، لكنه من فضله يتخادع، وكان الحسن
رضي الله عنه يتجر وينفق على الفقراء، ويقول لولا المساكين ما
اتجرت، وكان يترك شيئا من حقه لمن يعامله **شعر**
فسامح ولا تستوف حقك كله، وابق فلم يستوف قط كريم، والمساهلة
في البيع والشراء مندوب اليها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله سهل البيع سهل الشراء سهل الاقتضاء سهل القضاء،
فمن اغتنم دعاء رسول الله في معاملته ربح الدنيا والآخرة،

فصل وما قيل في حق التجارة قال السري مضى سلف لنا اهل تواصل
كانوا يرون اصطناع المعروف واسداء البر حقا واجبا قلدوا منا
واتخذوا ايادي كثيرة **شعر** سلف يرون الذكر عقبا صالحا،
ومضوا يعدون الثناء خلودا، ثم حال الزمان عن قوم اتخذوا منهم
صناعة وايديهم تجارة، وبرهم مرابحة واصطناع المعروف بينهم
معاوضة كبيع السوق للبضاعة خذ مني وهات فنسأل الله العافية،
وروي عن الامام علي رضي الله عنه انه قال تفقه ثم اتجر فان التاجر
فاجر الا من اخذ الحق واعطاه، ما من تاجر ليس بفقيه الا اكل الربا
شاء او ابى، قال صاحب المجمل الفجور الانبعاث في المعاصي ومنه
الفجور الفسوق والعصيان، ومنه الفاجر الفاسق كان الفاجر
ينفتح في معصيته ويتسع فيها، وانما حرم الله الربا لئلا يمتنع
الناس المعروف خير المال ما افاد شكرا واورث ذكرا واوجب اجرا،

ولو

١٥٠

ولو رأيتم المعروف لرأيتموه حسنا جميلا، وقال بعض الاشراف
لصديق له لا اسلم ولدك في شيء من التجارة، فانها تورث لؤم
الطبع وفتور القلب وقصور الهمة وسوء الادب ويهيج الطمع
والدناءة لا محالة، وجاء في الخبر حاسبوا السوقية لا ذمة لهم، و
في رواية حاسبوا الباعة فانه لا ذمة لهم، ولا لاهل المروءة دفع ما
يخادعهم به الادنياء، ويغابنهم به الاشحاء، واذا استكف الدني
واستدفع البذي فقد صان عرضه وحمى نعمته، وجاء في الحديث
التجار هم الفجار الا من بر وصدق، وقال مالك بن دينار السوق
مصلحة للمال مفسدة للدين، قيل له اليس الله قد احل الله البيع
قال بلى ولكنهم يحدثون فيكذبون ويحلفون فيأثمون، وفي قوله
تعالى واحل الله البيع، انها تناولت بيعا معهودا، ونزلت بعد ان
احل النبي صلى الله عليه وسلم بيوعا وحرم بيوعا فاللام للعهد
فعلى هذا لا يجوز الاستدلال بظاهرها على صحة بيع ولا فساده
وان دلت على صحة البيع من اصله، فانه عموم اريد به الخصوص ولم
يتعين المراد الا ببيان السنة واكثر الفسوق في اهل السوق، و
جاء في الحديث يا معشر التجار ان بيعكم هذا يشوبه الحلف فشوبوه
بالصدقة، ونظر عمرو بن قيس الى اهل السوق واشتغالهم
بامر الدنيا فقال ويحهم ما اغفلهم عما اعد لهم، وفي التاجر الا
شتمال على كل دنية لا محالة، وقال بعض الابدال شح الغني عقوبة

الحرص والحرص عقوبة الطمع والطمع عقوبة الامل وطول الامل
عقوبة الغفلة عن الله وجاء في الحديث من اشراط الساعة ان
يرفع العلم ويفيض المال ويظهر القلم وتكثر التجار وفي حديث
اخر من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقال بعض الحكماء الطمع
رق مؤبد وصلاح الدين في الورع من زهد في الدنيا احبه الله ومن
ترك الطمع احبه الناس وليس اضر باخي ابن ادم من اشتغاله بامور الدنيا
من عرف كف فمن وجد كفافا فليكف ومن تجاوزه فليخف وثلمة
الحرص لا يسدها الا التراب وقال الشيخ ابن العربي التوجه الى الحاجات
الجزوية يمنع الرجل من كثير من الفضائل وقال لقمان من رضي باليسير
طابت معيشته ومن قنع بحاله كان اهدى لباله ومن قل سعيه
استراح ومن لم يغنه ما يكفيه اعجزه ما يغنيه ومن لم يحبس النفس عن
مرادها لم يملك قيادها وقال بزرجمهر الدنيا تطلب لثلاثة اشيا
للغنى والعز والراحة فمن زهد فيها عز ومن قنع استغنى ومن ياس
مما في ايدي الناس استراح وجاء في الحديث قد افلح من اسلم ورزق
كفافا وقنعه الله بما اتاه وفي حديث اخر من تشعبت به الهموم لم
يبال الله في اي اوديتها هلك وكان شقيق يقول ان المكاسب اليوم
قد فسدت وان التجارات والصناعات كلها شبهات لا يحل الا
ستكثار منها لوجود الغش وعدم النصح وانما ينبغي للمسلم ان يسد
منها ضرورته ولا يلام ابن ادم على كفاف وجاء في الحديث الايمان

نظيف فتنظفوا وتنزهوا ومعنى التنزه التباعد عن الدناءة وما
ينسبوه الى فحش والشبهة طريق الى الحرام والخبر الشافي دع ما
يريبك الى ما لا يريبك فان الخير طمانينة والشر ريبة اي اترك ما
تشك فيه انه حلال الى شيء اخر لا تشك فيه فان الشر ريبة اي شك ليس
بيقين وعلى العبد ان لا يرخص لنفسه رخصة فان قصر علمه استعان
بعلم غيره وقال بعض الابدال نهر طالوت نهر بلوى فهو نهر الدنيا
من اخذ القوت منها لم يتعد فتلك الغرفة التي اغترفها من النهر
بيده فذلك هو الكسب وهو ومن لم يطعمه فانه مني فهو المتجرد
ليس من الدنيا لانه ما اخذ من النهر شيئا فما احسن هذا التنبيه
الالهي ومن شرب اخذ منه ما زيد على حاجته فليس مني وليس
على المتجرد تقييد في الاتساع من فضل الله فشرب وروي من
جود الله المطلق الذي لم تدنسه ايدي المحدثات بالكسب
فمن فهم هذه الاشارات علم ما بين الرزقين من التفاوت و
ادرك الفصل بين النوعين وجاء في الخبر ويل للتاجر من قول
لا والله وبلى والله وويل للصانع من غد وبعد غد قال بعض
الحكماء اليمين حنث او مندمة دع اليمين لله اجلالا وللناس جمالا
ومن الامثال سبح نعيروا كناية عن الخدع بالربا ويقال
تسبيح الفساق في الاسواق يعني من كان من هذا القبيل
وقال صاحب قوت القلوب ولا تصح التقوى من عبد متصرف

حتى يكون مستعملا في تجارته وصناعته حكم الكتاب والسنة
ويشهد له العلم بسلامته وبراءة دينه من الخيانة والمكر
في المعاملة والغش والكذب في التجارة والصناعة وكل تجارة
وصناعة يخالف العبد فيها حكم الكتاب والسنة فليست بتجارة
ولا صناعة وان كان الاسم موجودا لعدم المعنى الذي يصح
به الاسم في الحكم لان وجود الاسماء فارغة لا تغني مع عدم صحة
المعاني بموافقة الاحكام شيئا واذا كانت ما تسميه الجاهلون
تجارة وصناعة او ما تسميه المستحلون بيعا وشراء ومعاملة
وهو في ذلك غير موافق للعلم فليس ذلك بتجارة ولا صناعة ولا
معاملة يستحل به اكل المال لانه باطل وان وجد فيه اسم المباح
لفقد المعنى الصحيح وهو حكم الكتاب والسنة والحلال ما
انحلت الاثام عنه وفي وصف العلم اسم لما اباحه الكتاب والسنة
بسبب جائز فاذا وجدت الحلال فخذه كيف شئت اتسع فيه
الا انك لا تكون زاهدا واذا وجد الورعون وكثر المتقون
كان الحلال اظهر واكثر ووجود الحرام وظهوره بكثرة
وجود الجهل والمجون فاذا كثر الفاسقون كان الحرام
اكثر واغلب وكنا على علم ظاهر في عين المتعاض لسنا على يقين
من حلاله سميناه شبهة لفقد علم اليقين وضاد الحلال
ما وجد فيه ثلاثة معان سبب مباح في العلم وعلم باصله

الدراهم

الدراهم انه خالص من شبهة ومضادة فحكم الله في المعاملة فاذا
فقد احد هذه المعاني فهو شبهة الى الحلال اقرب فاذا فقد
معنيان فهي شبهة الحرام فاذا فقدت المعاني الثلثة حتى يكون السبب
الذي وصل به المتعاض مكروها وعين الدراهم مجهولة ولم يصادف
فيها حكم الشرع في البيع والشراء والهبة بطيب نفس فهذا هو
الحرام بعينه الحلال بغية المسلمين وطعمة المتقين ومقام الصالحين
طلبه جهاد واطعامه بر والمعاونة عليه معروف واكله عبادة
والمدمن عليه بر تقي وترك الاستكثار منه افضل والخير في ذلك
اسهل واما الحرام اكله فسق وطلبه فسق واطعامه للناس فسق
والمعاونة عليه ضلال ليس حاجة المسلمين ولا بغيتهم واصل وجود
الحلال في الكافة عدل الائمة واستقامة الولاة وطاعة اوليائهم
وتقوى الرعية فاذا قل ذلك غاض الحلال واختفى وظهر الحرام و
طغى وكان الحلال عزيزا وصار في خصوص من المسلمين يختص به
الله من يشاء ويوفق اليه من يريد ويصرفه الى من احب كيف
احب وجاء في الحديث طلب الحلال فريضة على كل مسلم والفرائض
اذا شرعت ثبتت الى يوم القيمة فالحلال موجود من حيث كان
مفروضا ولكن طريقه ضيق ووجوهه غامضة والتسبب اليه
مشقة او ذلة ومع ذلك ان المعاون عليه قليل والطالب له عزيز
ويحتاج الراغب فيه الى اصل من القناعة وورع من الزهادة وعزم

من الرعة ونصيب من الحكمة وهذه اسباب تكرهها النفوس لما فيها
من الشدة والبؤس ينبغي للعبد ان يطلب الحلال فيكون همه و
قصده قد علم الله بما يعلم بان يستخرج له الحلال من الحرام باختيار عن
علمه كما يستخرج العلم من الجهل والتوحيد من الشرك والذكر من الغفلة
والزهد من الرغبة بتخصيص من رحمته وبلطيفة من حكمته وتيسيره
ويسيره اليه ويوفقه له ويثوبه عليه ومن يتق الله يقيه ويحرسه
ويحميه وما اخطاء وراء ذلك فهو معفو الخطا من قبيل المن و
العطا ولا يمدح اذا باع وضع صنعة فان هذا لا يزيد في رزقه
ولا ينقص منه تركه وعلى المشتري ان لا يذم وهذا من اليقين با
لرزق وفعله يزيد في الذنوب وينقص من التقوى وعلى الصانع
ان يبلغ في صنعته غاية النصح لمستعمله لانه عارف بصلاح صنعته
وفسادها وبسرعة فناء الصنعة وبقائها فينبغي ان ينفق نفقة
علمه الصانع بصلاح الصنعة من تجويدها ويتقي فسادها مما يسرع
الى فنائها مما لا يفطن اليه مستعمله وجاء في الحديث لا خير في
التجارة الا لستة تاجر ان باع لم يمدح وان اشترى لم يذم وان
كان عليه لم يبخس القضا وان كان له لم يبخس الاقتضا ويجتنب الحلف و
الكذب وقال الله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
فقرن التجارة باللهو وهو مذموم ومن وصايا بعض الاكابر
اجعل لدينك غلافا قال لا تدنسه الافات قيل له وما غلاف

الدين قال ترك الكلام الا ما لا بد منه وترك الدنيا الا ما لا بد
منه وترك مخالطة الناس الا ما لا بد منه وما انزل الله شيا من
الاقوال والاعمال الا وقد قرنها بالتقوى قال الله تعالى وان
اقيموا الصلوة واتقوه وقال سبحانه واذكروا نعمة الله عليكم و
ميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله وقال
بلى من اوفى بعهده واتقى والله يحب المتقين وقال عز وجل يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين و
قال تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من
السماء والارض وقال سبحانه ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا
وقال تعالى ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا وقال تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى
واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم
به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم وقال تعالى والذين
اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم ونعلم ان الله لا يقبل
شيا الا من المتقين بدليل قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
وهذا في القران الكريم كثير لو كتبت جميعها ليطول هذا المختصر
ولعمري ان لم يكن في كرامة التقوى غير هذه الاية الواحدة وهي
ان اكرمكم عند الله اتقيكم لكفت فعليك ان تتقي الله حق تقاته
في المحرمات والعزائم وان تتقيه في الرخص ما استطعت وان

النمع بالمطلوب منوط بالاحسان وهو رعاية حسن الادب مع
الرب واستعمال حسن الخلق مع الخلق فالعاقل من كان بما هو ابقى
افرح منه بما هو يفنى وكفى بالمرء حرصا على الدنيا ركوبه البحر لاجل تجارة
قيل لي ما رايت من عجائب بحر الهند وكنت توجهت مأمورا برسالة الملك
فقلت خلاصي منه وقال لي الملك الذي امرني بالرسالة ما احسن
ما رايت ببلاد الهند قلت خروجي منها اثنان لا يحظيهما سعادة
وغبطة سلطان حليم ورجل صدوق وقال علي رضي الله عنه لا
تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كالثواب ولا قائد كالتوفيق و
لا قرين كحسن الخلق ولا عبادة كاداء الفرائض ولا عقل كالتدبير
ولا وحشة كالعجب ولا اضر من صاحب احمق وقال حكيم ما وجد
احد شيئا من غبن الناس الا ضيع ضعفه من مروته وقال معروف
الكرخي علامة مقت الله العبد ان تراه مشغولا بفضول الدنيا و
قال الحسن البصري كل الدنيا فضول للمرء الا خمس منها قوت يشبعه
وماء يرويه وثوب يستره وبيت يكنه وعلم يستعمله وقال بعض
الحكماء قضاء كل حاجة من الدنيا تركها يعني كل غرض عقده الطمع
حله الياس واحسن الكلام ما صدق قائله وانتفع به سامعه
لمن انتفع بعلمه واستمع القول فاتبع احسنه شعر لم يصف في الاوض
الا لاهل الزهاده فرض على الخير نفسا فانما الخير عاده

باب في مدح النساء والعيال
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

الدنيا

الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المراة الصالحة وفي خبر اخر
خير ما اعطى المؤمن من الدنيا زوجة مؤمنة تعينه على ايمانه و
في حديث اخر ما افاد امرئ بعد الاسلام خيرا من امراة تسره اذا
نظر اليها وتطيعه اذا امرها وتحفظه في نفسه وماله اذا غاب
عنها ومن اعون الاعوان للمرء على معيشته واقر متاع الدنيا لعين
المرء المرءة الصالحة والولد الاديب وان الانسان لا يسكن
الى شئ كسكونه الى زوجته قال الله تعالى هو الذي خلقكم من نفس
واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها وكذلك لا يهتم احد لا
حد كاهتمام المرءة الصالحة لزوجها في شفقتها عليه وعلى ماله
ولا يتم امر الرجل ولا تتم مروته الا بحرة شفيقة صالحة عفيفة
والا اختلت اموره واضطربت اسبابه واختلفت احواله المراة
الصالحة ليست من الدنيا انما هي من الاخرة لانها تفرغك لها
وهي مؤهلة لبيت تقيمه وطعام تصنعه وولد تربيه ومغزل
تغزله وبصر تكفه وحاجة تكفيها ولو كنت تطبخ وتغسل
وتفرش وتكنس وتسرج وتربي لكان لك في ذلك شغل شاغل
شعر من خير ما نال الفتى بعد الهدى والعافية قرينة مسلمة
عفيفة مواسيه وان العيش كله مقصود على الحليلة الصالحة
والبلاء جميعه موكل بالقرينة السوء التي لا تسكن النفس الى
عشرتها ولا تقر العين الى رؤيتها ومن ظن انه يكرم بالاعتدى

فهو بعيد من الهدى وروى عن الضحاك انه سئل عن قوله تعالى وما
انفقتم من شئ فهو يخلفه فى اى وجه وانه قال بلغنى عن امير المؤمنين
على رضى الله عنه انه سئل عن هذا كما سالتمونى وانه قال النفقة على
نفسه وعياله فى كل ما كان فى طاعة الله لا فيما كان فى غير طاعة الله
بصرفه والواجب على قسمين واجب بالشرع وواجب المروة والعادة
والسخاء هو الذى لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروة والعادة
وقال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف اى بما يجب لهن من الحق عليكم
المالوف وقال سبحانه محسنا اليهن ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف
وقال الحسن رضى الله عنه لا دين لمن لا مروة له ولعله اشار الى من لا
يكف زوجته فتلتفت الى غيره للضرورة والمراد نفى الفضيلة لا نفى
حقيقة الدين المروة جامعة لاشتات الخيرات دالة على كرم الا
عراق باعثة على مكارم الاخلاق المروة سجية جبلت عليها النفوس
الزكية وجاء فى الحديث خيركم خيركم لاهله وقال بعض اهل العلم
استكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وجاء فى
الحديث ما انفق الرجل على عياله فهو له صدقة وهو كالمجاهد فى
سبيل الله وفى خبر اخر من ادخل على اهل بيته سرورا خلق الله من
ذلك السرور خلقا يستغفر له الى يوم القيمة وفى خبر اخر ان اكبر
الاثم عند الله ان يضيع الرجل من يعول وفى خبر اخر ان خياركم
احسنكم اخلاقا والطفكم باهله وقال بعض الحكماء ان الله يرزق

العبد

العبد بركة فى رزقه اذا جعله سببا لتعيش عباده ولو ان الناس
ياكلون من حيث يعلمون لما عاشوا ولكن الله يرزق العبد من
حيث لا يحتسب **فصل وما قيل فى النساء والعيال** روى عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال للنساء ما رايت ناقصات عقل ودين
اضر على الرجال منكن وقال على رضى الله عنه لا تطيعوا النساء
فى المعروف حتى لا يطمعن فى المنكر وقال حكيم اشغلوا نساءكم
فان الدواهى فى الفراغ وقال بعضهم لا تستشر كثير العقود
مع النساء ولا تمدح امراة لا بعد موتها واضر الاشياء بالعقل
والدين والمال الغرام بالنساء وجاء فى الحديث لا تطلعوا
النساء على حال ولا تامنوهن على مال ولا تذروهن لتدبير
العيال فانهن ان تركن وما يردن اوردن المهالك وازلن الممالك
وقال حكيم اعص هواك والنساء واطع من شئت وجاء فى
الحديث المراة سهم من سهام ابليس فمن رئ امرءة ذات جمال
فغض بصره عنها ابتغاء مرضات الله اعقبه الله عبادة يجد
لذتها وروى عن على رضى الله عنه انه قال ان البهائم همها بطونها
وان السباع همها العدوان على غيرها وان النساء همهن زينة
الحيوة الدنيا والفساد فيها يتظلمن وهن ظالمات ويتشكين
وهن مشكيات وقال حكيم ما نهيت امرءة عن شئ الا اتته ولا
اسر احدهن حديثا الا ابانت به وقال عمر رضى الله عنه استعيذوا

من شرار النسا وكونوا من خيارهن على حذر وقال بعض الحكماء
المرءة الصالحة غل يصنعه الله في عنق من يشاء ويفكه من عنق
من يشاء وليعلم ان النساء يرغبن من الرجال من حيث ترغب
الرجال من النساء يعني يهوون الشبان واما التزويج فقد
جاء في الخبر من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج ومن لم يستطع فليجاهد ومن لم يستطع فليصم فان الصيام
له وجاء الوجا رض الخصيتين كانت العرب تجاء الفحل من الغنم
لتذهب فحولته وتسمن وذا الطول بفتح الطاء المهملة وسكون الواو
واللام هنا سعة الرزق والمال بحيث يكون له قدرة على نفقة زوجته
واهله لا ينظر الى مال امراته وغيرها والرجل اذا اراد ان يتزوج
ينبغي ان يرغب في ذات الدين ويختار الحسب والشرف وجاء في
الحديث اياكم وخضراء الدمن قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن
قال المرءة الحسناء في المنبت السوء معناه انه صلى الله عليه وسلم
كره نكاح الفاسدة وقال عليه الصلوة والسلام ان اعراق السوء
تنزل اولادها وتفسير حقيقته ان النبات ينبت على البعر في الموضع
الخبيث فيكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا فاسدا فالدمن جمع دمنة
وهي البعرة وانشد بعضهم وقد ينبت المرعى على دمن الثرى
ويبقى حزازات النفوس كما هيا ومعنى البيت ان الرجلين قد يظهران
الصلح والمودة وينطويان على البغضا والعداوة كما ينبت المرعى

على

على الدمن وفي الحديث اعظم النساء بركة احسنهن وجها وارخصهن
مهرا وفي حديث اخر اعظم النساء بركة ايسرهن مؤنة **شعر**
من خير ما يتخذ الانسان في دنياه كيما يستقيم دينه قلبا شكورا
ولسانا ذاكرا وزوجة صالحة تعينه وقال الغزالي ثلثة تفرح
القلب وتجم الفواد الزوجة الجميلة والكفاف من الرزق والاخ
المؤنس وجاء في الحديث اياكم وتزوج الحمقا فان صحبتها بلاء
وولدها ضياع وقال حكيم ينبغي ان تكون المرءة دون الرجل باربع
والا استحقرته بالسن بالطول والمال والحسب وان تكون فوقه
باربع بالجمال والخلق والورع والادب وقال بعضهم لرجل عزب
ما يمنعك من التزويج الا عجز او فجور وجاء في الحديث مسكين من
لا زوجة له ومسكينة من لا زوج لها لما فيه من الفوائد كالولد
وكسر الشهوة وتدبير المنزل وترك ما يشغل عن القيام باوامر الله مع
امتثال امر الله كقوله تعالى خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا
اليها وفي ذلك سبب للالفة والمودة واتصال القرابة ولان
فيه تبليغ الاحكام التي لم يطلع عليها الا النسا حتى لم يره العلماء
مما يقدح في الزهد وفي حديث اخر لا تسكنوا نساءكم الغرف
ولا تعلموهن الكتابة وان البساد مفسدة للنسا لغلبة شهواتهن
على عقولهن **فصل ومما قيل في التزويج** اتفق العلماء على ان تركه
للقادر عليه مكروه الا ان يحوجه لكسب ما لا يقدر عليه و

ارتكاب محظور وهذا مما تساهل الناس به بل تسوه وقد ورد خيركم
الخفيف الحاذ الذى لا زوجة له ولا ولد وانما قيد بهذه الامة لانها
امة اخر الزمان الحاذ هو مكان وضع السرج على الدابة اى خفيف
الظهر كانه لا يحمل شيا منها ترجع المعنى الى الراحة والورع لان الورع
لا يستقيم لكثير مؤنته وقال صاحب قوت القلوب التزويج حسن
لمن يقدر عليه ولا يقدر على تركه وان الله لم يفرض النكاح ولا العزبة
كما لم يفرض الاربعة من النسوة بل افترض سلامة الدين وصلاح القلب
وسكون النفس والدخول فى امر عند الحاجة للتدين فمن كان صلاحه
وسلامة دينه فى التزويج فالنكاح له افضل ومن كان استقامته
وصلاح قلبه وسلامة دينه عند الاربع فجائز له طلب السكون و
صحة الحال ومن وقعت كفايته بواحدة فالواحدة افضل لانها
الى السلامة اقرب ومن كان صلاح حاله واستقامته وسكون
نفسه فى العزبة فذلك له افضل لانه هو الاسلم قال الله تعالى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء علقه باختيارنا ان طلب لنا وكان فى الدين
طريقان طريق الاقوياء وهو التزويج والصبر على احكامه وطريق
الضعفاء وهو التخلى عنه والاشتغال بمخاصة النفس وقال
على رضى الله عنه طوبى لمن لا اهل له شعر انى اذا ما الامر بين شكله
وبدت نصائره لمن يتامل ادع التى هى ارفق الحالات بى عند
الحفيظة للتى هى اجمل وجاء فى الحديث الوحدة خير من قرين

السو

السو والرجل من القرين الصالح على عزيقين فلا يزيل اليقين بالشك
فان الاكثر من النساء لا صلاح فيها والواحدة اروح للقلب واخف
للهم لخفة المؤنة وعدم المطالبة وسقوط الاحكام فى ذلك
عنه وان المكاسب قد فسدت فليس ينال اكثرها الا بمعصية
وهو مسئول من اين كسب وفيما انفق ومن لا يقدر على ان لا يسع
فى البر كيف يقدر على ان يحمل على عنقه اخر وانما زهد الزاهدون
فى الدنيا لراحة القلب وخوف الحساب واطراح الهم وترك المراعات
وسقوط الاحكام والمطالبات قال البغوى من تزوج فقد
ادخل الدنيا داره فليحذرها ورئ حكيم رجلا يخطب امرءة
فقال راحة قليلة تجلب تعبا كثيرا ورائ بعضهم امرءة جميلة
فقال خير قليل وشر كثير وقال بعضهم المرءة اذى لا بد منه
وهى كنوز الخسران للجهال وذخائر الاثم الكبير وقد اجمع اهل
السنة على ان طلب الرزق بالمعاصى من اشراط الساعة وانه منزوع
منه الخير والبركة واكله وطعامه شر كله وقال حكيم العاقل
يتخذ المال قبل العيال والجاهل يتخذ العيال قبل المال قال
الله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا اى مؤنة من
مهر ونفقة وما لا بد للمتزوج منه وهذا من قسم اطلاق المسبب
على السبب مجازا وفى قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا اشارة لذلك بتقديم المال على البنون اى البنين قد

ترى الدنيا اضيق من ان يوجد الحلال فيها كثيرا واسعا فان
الانسان يعجز من ان يهتم لنفسه ويصلح حالها فكيف اذا ضم
اليها نفسا اخرى ولبس اضر على العبد من تفرقة الهم وتشتت
الخاطر ومن بجابر اسه فقد ذبح قيل لمالك ابن دينار لو تزوجت
قال لو استطعت لطلقت نفسي وقيل لبشر ابن الحارث الحافي
ان الناس يقولون انك تارك السنة يعني غير متزوج فقال قل لهم
اني مشغول بالفرض يعني مجاهدة النفس وتصفيتها من الاخلاق
الردية ولو كلفتنا ان اعول دجاجة لخفت ان اكون شرطيا وقال
صاحب الكشاف ما ادري ايهما اشق من يعوم في الامواج امر من
يقوم على الازواج قوله اشق اي اتعب من المشقة وقال عند قوله
تعالى وانكحوا الايامى منكم وربما كان واجب الترك اذا ادى الى
معصية او مفسدة وقال صاحب المختار عقد النكاح حالة
خوف الجور مكروه وقال الامام احمد ابن حنبل ما شغلك عن الحق
فهو طاغوتك وقال الزهد على ثلاثة اوجه ترك الحرام وهو زهد
العوام وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك ما يشغلك
عن الله وهو زهد العارفين ومن قوت القلوب حال العارف في
شان النساء لا يصلح للسالكين في الطريق ولا للذاهبين في
وليس هو حال المريدين انما هو حال الانبياء وعلية الصحابة
مقام معلوم من مقامات المعرفة واذا كان الامر كذلك

تعلق القلب بهن اعلا المقام الطالب واتم في حال المريد لاجل انهن
ياخذن من القلب كما ياخذ العبد منهن وفوقه ونحن نقول من
علامات العارف في القوة والمكانة ان ياخذ من الاشياء ولا
تاخذ منه ولا يجذبه ولا تخرجه عن المقام واذا كان وصفها
ان تاخذ من القلب كما ياخذ منها فقد صارت جاذبة ومنازعة
له فلا يؤمن على من علق قلبه بهن ان يتعلق عليه فيخرجنه عن
مقامه ولا ابعد نحو وجا من سره بعد ولوجه من الانسان لانه
من جنسه وبه يوجد انسه ولا يحمل الاجناس والايناس الا قوي
مكين مطاع امين وليس هذا حال مريد ولا وصف طالب مسكين
ولقد سمين النساء لانهن ينسين فقد ينسي الاخرة وقد
ينسي الواجبات من الامر قال الله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من
قبل فنسي وكانت النساء سبب النسيان وعوتب الكسائي في
ترك التزويج فقال مكابدة العفة عنهن ايسر من الاحتيال لمصلحتهن
وقال حكيم التزويج اوله حلاوة واخره عداوة وقال رجل كنا في
املاك فلان فقال حكيم لا تقل في املاكه بل في اهلاكه وقيل
للعتابي انك عزب فلو تزوجت قال وجدت الصبر عنهن ايسر
من الصبر عليهن ولقد علموا ان التزويج فرح شهر وغم دهر
ودك ظهر وكد فهر نعيمه لا يبقى بضر وكان سفيان الثوري
يقول شعر يا حبذا الحجرة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح

لاضجة فيه ولا صياح، هذا الذي به الفتى يرتاح، وقال بعضهم
ولا تتكلفن الى وصلا، او لاقي من اذاه ما الاقي، وخسران المودة
في السجايا، لخسران التجارة في الوراق، وقد يتعاشر الاقوام حينا،
بتلفيق التصنع والنفاق، ويأتي الدلو ملاء بعد وهن، من الاوذام
فيها والعراقي، فلا بعد ليالينا الخوالي، وفات عيشنا العذب المذاق،
وقول جمهور الحكماء ان من قل جماعه فهو اصح بدنا وابقى جلدا ومن
كان همه بطنه وفرجه، فلا ترجه، وللعبد في مجاهدة نفسه
ومصابرة عدوه اكبر الاشغال، فكيف اذا ابتلي بحكم نفس اخرى،
وضم هم نفس اخرى الى نفسه، وعالج شيطانا اخر مع شيطانه،
وان اغلب النساء الا اغلب عليهن الجهل والهوى، فلا يأمن ان انقاد
لهن لاجل هواه فيخسر عقباه، او يمانعهن ويخالفهن فينغص
عليه عيش دنياه، وربما كانت المرءة عقوبة للعبد، قال بعض الاولياء
العيال عقوبة شهوة الحلال، والحرص عقوبة ما فوق الكفاية، و
قال بعض الاعراب المملك هو المملوك الا ان نعمة عليه **شعر**
يقولون تزويج واشهد انه، هو البيع الا ان من شاء يكذب،
البلاء العيال مع قلة المال، وروي بعض العلماء عند باب الامير
فقيل له ما هذا مكانك يا ابا محمد، فقال متى رايتم صاحب عيال
افلح، لا يصلح ولا يستقيم ان يكون صاحب عيال ودعاء، وقيل
في قوله تعالى، وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته، فقد يسر

الاوذام والعراقي دبالطاة والة
للطالة والدولاب هـ

الاغناء كلها في هذا والغنية بالعصمة والاستغناء عن شأن
النساء، وقال بشر ابن الحارث لما عوتب في ترك التزويج يمنعني
من ذلك حرف في كتاب الله قوله تعالى، ولهن مثل الذي عليهن و
لعلي لا اقوم بذلك، فلم يكن همهم الا في طلب العلم ومحادثة الرجال،
ولعمري ان المرءة تحتاج الى القيام بحقوق، وفضل مدارات ولطيفة
من الحكمة وطرف من المؤانسة، وباب من الملاطفة، واتساع صدر
للنفقة وحسن خلق ولطف لفظ، وتفرد حب، وهذا لا يحسنه
الا عالم حكيم، ولا يقوم به الا قوي كريم، والا تعذب وعذب،
وكرب واكرب، واثم واثم، وكثر الاذى، فافسد اكثر مما يصلح، و
وتنافرا ولم يكن بينهما مودة ولا رحمة، واذا كان صلاح قلب
العبد في العزلة فلا اعدل بالوحدة شيئا، لان اقل ما فيها السلامة
وهي افضل الغنائم، وانما كره من كره الاهل والولد لاجل الا
شتغال بهم عن الله وعما قربا الى الله، وترك التزويج ليتفرغ القلب
الى الاخرة، فاذا كان من لا اهل له ولا ولد مشغولا ببطالة عن
الله منهمكا في شهواته على سبيل هواه كان اسوء حالا من ذوي
الاهل والولد، قال بعض الحكماء كل ما خوذ من الدنيا لم يكن عونا
لك على تركها فهو عليك وكل متروك منها لا يكون عونا لك على الطاعة
فليس لك، وقال بعضهم اما الاولاد فليت صالحهم كفاني
شره، ووازن في حياتي نفعه وضره، فلم يبق الا علم ينفع وافادة

ترفع والذي يموت ولا يخلف له ولدا خير من الذي يكون له اولاد
خاطئون الشعب الذي يسخط الرب ينزل به الغضب انما كلام
البنوة وغاية الحكمة مخافة الرب تقوى الرب هي الحكمة بعينها
وقال الزمخشري صاحب الكشاف شعر واسعد الناس من قط ما
ولد وا ولا عذوا الخراب الارض عمارا ولن يذوقوا الاولاد اذا
فقدوا ثكلا ولا داعهم بيت اذا هادما استعبدت زهرة الدنيا
نفوسهم حتى طوتهم يمين الموت احرارا ووجد في حكمة داود
عليه السلام ان امرءة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منه الا من رضي
الله عنه وقال ابن البيطار صاحب المفردات اعلم ان الزواج قيد
ثقيل ومكابدة النساء بحر مهول والحكم على من خطب وامهر ان
يعذب ويقهر ويضام ويحسر والمقدر على من قال قبل الزواج
ان تلعب به الامواج ويتحيل على المجاج ثم الجاء من كان يدعي العصمة
ويتعاطى على النساء الحشمة ان يكون مع زوجة تحت الذمة لا
سيما ان كانت ولود ولها في كل سنة قعود فذلك سبب لانتهاء
وضجره وانهزامه بعد ضيق صدره ووسع عقره فسبحان
من جعل النساء افة لكل فرحان وقيدا ثقيلا لمن كان مطلق
العنان ان كان لبيبا ابلسوه او غنيا افلسوه او فقيرا ادرسوه
فيا لها من قصة ما اولها وكربة ما اعظمها من كان فريدا
سلم ومن كان عزبا غنم ويا ويل من علق زنادغرامه بقلبه

الابلاس الحزن المعترض من شدة الباس
والتحير واليأس والتحسر والندم وقيل هو
الانقطاع في الحجة والسكوت عن الجواب وفيه
قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون

واظهر لهم شيئا من حبه جعلنا الله ممن بات معانقا بيديه وينفق
ماله عليه ومن بعض منظومات الحكماء وليس بالقياس
يجرى امور الناس بنعم زيد بالذي بمثله عمرو اذي لو كان كل
تاجر يربح بالمتاجر لا تجر الناس معا او خاب كل من سعى لم
يسع قط احد ولم يكن يجتهد او كان كل من ركب وسار في
البحر عطب لم يركب البحر احد ولا له يوما قصد او سلموا جميعا
ولم يروا فظيعه لازدحموا عليه وبادروا اليه قل لي فاي تجربة
تصح مع ذي الغلبة وليس فعل المشتهي يحسن عند ذي النهى
ظن اللبيب العاقل ولا يقين الجاهل اسوء خلقا ادبا من جرب المجربا
من خالف الطبيبا ردئ الودى قريبا وقال في شرح المنهاج للدميري
من الادب ان لا يعزى الرجل في زوجته باب في مدح السفر والغربة
قال الله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها
وكلوا من رزقه وجاء في الحديث العباد عباد الله والبلاد
بلاد الله فاينما وجدت الخير فاقم واتق الله وقال بعضهم
شعر وكنت اذا ضاقت علي محلة تيممت اخرى ما علي تضيق
وما خاب بين الله والناس عامل له في التقى او في المحامد سوق
اخر وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رايت الشمس زيدت محبة الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد
وكان الحسن البصري يقول من كان مع الله فليس عليه غربة

وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى كل يوم هو في شان يصحب
مسافرا ويشفي مريضا ويفك عانيا ويجيب داعيا ويعطي سايلا،
ويغفر ذنبا ويكشف كربا ويرفع قوما ويضع اخرين، وقال في قوله
تعالى هو الاول والاخر والظاهر، والباطن الحق تعالى ظاهر من حيث
مخلوقاته باطن من حيث ذاته يعني ظاهر بربته ربوبيته باطن
بمرتبة الوهيته، وجاء في الحديث لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر
لاصبح الناس على ظهر سفر ان الله بالمسافر رحيم، وفي خبر اخر
سافروا تصحوا وتغنموا، وقال جالينوس السفر يشد الابدان،
ويشهي الطعام، ويطرد الاسقام ويسلي الثكلان، وينشط
الكسلان، ويحط نورة الكبر، ويبعث على طلب الذكر، وفي الحديث
اذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض او سفر كتب له
ماكان يعمل وهو صحيح مقيم، رواه ابو داود في سننه والحاكم في
مستدركه عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه وجاء في
الحديث سافروا مع ذوي الجد وذو الميسرة شعر
زعم الذين تشرقوا وتغربوا، ان الغريب وان اعز ذليل، فاجبتهم
ان الغريب اذا اتقى، حيث استقل به الركاب جليل، وقال بعض
الحكماء السفر بعض اسباب المعاش التي بها قوام الانسان ونظام،
لان الله سبحانه لم يجمع منافع الدنيا في ارض بل فرقها واخرج
بعضها الى بعض، وجعل وطئ الناس البلاد، سببا لمصالح العباد

ومن

ومن فضائل السفر ان صاحبه يرى من عجائب الامصار، وغرائب
الاسرار، وبدائع الاقطار، ومحاسن الاثار، ما يزيده علما بقدرة
الله وحكمته، ويدعوه الى شكر نعمته، ويسمع العجائب، ويكسب التجارب
والسفر يفتح طرقا للتسبب، ويجلب المكاسب، وقال حاتم الطائي
اذا لزم الناس البيوت وجدتهم، عماة عن الاخبار خرق المكاسب
وربما اسفر السفر عن الظفر، وتعذر في الوطن قضاء الوطر، ومن
الحكم المتداولة ارض لنفسك ارضا يرضيك المقام بها، وللحر في
ارض الكرام منادح، وفي الارض للحر الكريم منادح، شعر
واياك والسكنى بدار مذلة، تعد مسيئا بعد ماكنت محسنا،
ونفسك اكرمها اذا ضاق مسكن، عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا،
اذا انت لم تعرف لنفسك قدرها، هوانا بها كانت على الناس اهونا،
وقالت الحكماء لا تنزلوا ببلد ليس فيه سلطان قاهر، وطبيب
حاذق، وسوق قائمة ونهر جاري، وروي عن الامام مالك انه
قال تهجر الارض التي يصنع فيها المنكر، وان الخطيئة اذا اخفيت
لم تضر الا صاحبها واذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة وجاء
في الحديث من راى منكم منكرا فليغيره بيده فاذا لم يستطع فبلسانه
وان لم يستطع فبقلبه، وذلك اضعف الايمان اي اضعف افعال
اهل الايمان، وتغيير المنكر باليد فللامراء وباللسان فللعلماء
وبالقلب فللعامة، وهو ان يقول بلسانه خفية ثلاث مرات،

المناخ جمع مناخ وهي السعد

اللهم هذا منكر فانا له منكر، واذا قال ذلك فله ثواب من امر ونهى،
رواه ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه، ومن غير باليد او باللسان
ينبغى ان يقصد لوجه الله لا لحمية نفسه، وبذلك نصرة لا بهذه
بل خذلة، ويقال السفر ميزان اخلاق الرجال، وقال حكيم يوم
السفر نصف السفر، وانما سمى السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق
اى يوضح ويكشف، وقال بعضهم لا يوحشنك الغربة اذا آنستك
الكفاية الغنى وطن، والفقر غربة والطمع رق والياس حرية، و
بعض البقاع ايمن من بعض، وروى ان عيسى عليه السلام كان يقول
اتق الله ونم حيث شئت، وقال المامون لا شئ الذ من السفر
فى كفاية وعافية لانك تحل كل يوم فى محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما
لم تعرفهم، وقال الصفى الحلى شعر تنقل فلذات الهوى فى التنقل
ورد كل صاف لا تقف عند منهل، ففى الارض احباب وفيها منازل
فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل، وان الطبيعة تمل الشئ الواحد
اذا دام عليها، ولذلك اتخذت الوان الاطعمة ورسم التنزه و
التحول من مكان الى مكان، والتفنن فى الاداب، والجمع بين الجد
والهزل، واستكثار الاخوان والطلق التزويج باربعة نسوة
وقال على رضى الله عنه ستة من المروة ثلاثة فى الحضر وثلاثة
فى السفر، اما اللاتى فى الحضر فتلاوة كتاب الله وعمارة مساجد
الله بالعبادة فيها، واتخاذ الاخوان فى الله، واما اللاتى فى السفر

فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاح فى غير معاصى الله، وللمرافقين
فى السفر ثلثة حقوق ان خاف صانه، وان استعان اعانه،
وان افتقر الى زاد مانه، وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان يخرج الى السفر يوم الخميس، وكان اذا بعث سرية او جيشا
بعثه اول النهار، وفى الخبر الرفيق ثم الطريق، واذا خرج ثلاثة
فى سفر فليؤمروا احدهم اى يتخذوه اميرا عليهم يأتمرون بامره
وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفق بالدواب، وكان
عليه الصلوة والسلام يقول لمن انفذه للسفر سر البردين
وعود ودفه فى السير، ولا تسر اول الليل فان الله جعله سكنا
وقدره مقاما لا ظعنا فارح بدنك وروح ظهرك، فاذا وقفت
حين ينبطح السحر او حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله، ومما يقال
لمن سافر شعر وحيا بجمعهم ساعدتكم سلامة، ورعيكم الرحمن من
كل جانب، وفى الفراق رجاء الاوبة، وعمارة القلوب بالمكاتبة،
قال بعض الادباء، واذا النوى شطت بنا وتعرضت، دون
اللقاء موانع الايام، عدنا بافواه المحابر نشتكى، الم الفراق و
السن الاقلام اخر اذا كتب الصديق الى صديق فحق واجب رد
الجواب، اذا الاخوان فاتهم التلاقى، فما صلة باحسن من كتاب
وفى الامثال الهوى من النوى يعنى الفراق يورث الشوق،
والحب منه يتولد شعر لولا تقدم ريب الدهر ما حسنت، عندى مواقع

مايولى من النعم كصحة الجسم لايدرى بقيمتها ما لم ينبه عليها عارض
السقم، وقال بعضهم ليس عندي شخص النوى بعظيم فيه غم
وفيه كشف غموم ان فيه اعتناقة لوداع واستطاد اعتناقة لقدوم
وقال جالينوس الفراق يجدد للاجتماع شوقا ويظهر له شرفا ومع
الاجتماع محاذرة الفراق وقصر السرور ومع الفراق غمة بينهم
توقع اسعاف من النوى وتاميل الاوبة والرجعى مكتوب في التورية
استوصوا بالغرباء خيرا واخرج ابن ابي الدنيا عن الحسن رضي الله
عنه انه قال ان الله اذا توفى المؤمن في دار غربة لم يعذبه ورحمه لغربته
وامر الملئكة يستغفروا له ويحزنوا عليه لغيبة بواكيه قال الامام
المستغفري فقدا لاحبة غربة شعر اذا مضى القرن الذى انت فيهم
وخلفت في قرن فانت غريب وجاء في الحديث اذا اردت سفرا
او تخرج مكانا فقل لاهلك استودعكم الله الذى لا يخيب ودائعه
ان الله اذا استودع شيئا حفظه قال ابو عبد الله الترمذى في
نوادر الاصول الوديعة هو الترك والتخلي عن الشيء وهو قوله
تعالى ما ودعك ربك وما قلى اى ما تركك وما تخلى عنك فا
لوديعة التي يودع العبد ربه هو تخلي وتبرى من الحول والقوة ان
الله اعطى الخلق علم الامور وعلم اسبابها وعلم حيلها واعطاهم
قوة ومعرفة التصرف في ذلك ولم يغنهم عن نفسه بما اعطاهم
فكلهم مع جميع ما اعطاهم فقراء مضطرون لانه لا يكون شئ

الا به فالغافل الاحمق يرى ما اعطى من هذه الاشياء فيقتدر
بها في الامور ويملك فينسى عجزه وفقره وضعفه ويعرف انه لا يقوم
امر الا به فان الاسباب التي اعطاهم كلهم ضعفاء فقراء مثله و
قول العبد لا حول ولا قوة الا بالله تبرى وتخلى من جميع الاسباب
والحيل وعلم الامور والتصرف في ذلك وكلما قال العبد لا حول
ولا قوة الا بالله تبرى وتخلى من الاسباب ومن وبالها فجاءته
القوة والعصمة وجاءه الغياث والتأييد والرحمة وكيفه و
جاء في الحديث لا حول ولا قوة الا بالله دواء من تسعة وتسعين
داء ايسرها الهم وقال علي بن ربيعة شهدت عليا كرم الله وجهه و
اوتي بدابة ليركبها وهو خارج الى السفر فلما وضع رجله في الركاب
قال بسم الله فلما استوى قال الحمد لله سبحان الذى سخر لنا
هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون الحمد لله الحمد
لله الحمد لله الله اكبر الله اكبر الله اكبر ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي
فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقيل له يا امير
المؤمنين من اى شئ ضحكت قال رايت رسول الله يفعل كما فعلت
ثم ضحك فقلت يا رسول الله من اى شئ ضحكت قال ان ربك يعجب
من عبده اذا قال اغفر لي ذنوبي يعلم انه لا يغفر الذنوب غيري
وكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا قال اللهم انت الصاحب
في السفر والخليفة في الحضر اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر

قال بعض المفسرين عجب الله تعالى العجيب
الناس على العجب من هذه الآية كيف تكفرون بالله و
كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
الناسخة ذلك ه

وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والولد حاصل معنى او عث
المشقة **فصل ومما قيل في حق السفر والغربة** روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من سعادة المرء ان يقدر رزقه في بلده وحال
سكونه ومن شقاوته ان يجعل رزقه في غير بلده او في سياحته وفي
خبر اخر السفر قطعة من العذاب يمنع احدكم طعامه وشرابه ونومه
فاذا قضى احدكم نهمته من وجهه فليعجل الرجوع الى اهله نهمته بفتح
الميم وسكون الهاء اى حاجته وفي رواية من سفره وفي لفظ من حاجته
وقوله صلى الله عليه وسلم من وجهه اى من مقصده وفي حديث اخر
ان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله ذكره صاحب النهاية وقال
القلت الهلاك والخطر وقال بعض الحكماء السفر والسقم والقتال
ثلاث متقاربة فالسفر سفينة الاذى والسقم حريق الجسد و
القتال منبت المنايا وكان الحسن البصرى يقول اللهم انا نعوذ بك
من ان نمل العافية قيل له وكيف نمل العافية قال ان يكون الرجل امنا
في دعته يريد سفرا وان النفس لتمل الراحة كما تمل التعب وقد
تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من وعثاء السفر **شعر**
وان اغتراب المرء في غير خلة ولا همة يسمو بها لعجيب وقال حكيم طول
السفر ملالة وكثرة المنى ضلالة والنقلة مثلة ويقال الحركة
بركة هذا اذا وافقها مساعدة القضاء وروى عن وهب ابن
منبه رضى الله عنه انه قال قرات في بعض الكتب القديمة اذا لم

يساعد

الجد فالحركة خذلان رب لا دم لعرصته فان يبغيه ويقال
الاقامة سلامة والظعن طعن وجاء في الحديث الغرباء ناس
قليل صالحون بين كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم ومن علامة
الرشد ان تكون النفس الى اصلها تواقة والى وطنها مشتاقة
بلد صحبت به الشبيبة غضة ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل في الفؤاد رايته وعليه اغصان الشباب تميد وسئل
حكيم ما الغبطة فقال هي الكفاية مع لزوم الاوطان الطيب الناس
طينة احسنهم طمانينة وامرهم عيشا اشدهم طيشا والرجل
اذا انقطع اشتاق الى الوطن ويقال الغربة كربة والفرقة حرقة
والغريب كالغرس الذى زايل ارضه وفقد شربه فهو ذاو ولا
يزهر وذابل لا يثمر والغريب كاليتيم اللطيم الذى ثكل ابويه فلا
ام ترام عليه ولا اب يرق له عسرك في بلادك خير من يسرك في بلاد
غيرك **شعر** لقرب الدار في الاعسار خير من العيش الموسع في اغتراب
وقال ابو العلاء في بعض قصائده وليس يزاد في رزق حريص
ولو ركب العواصف كي يزادا فان تجد البلاد كما اراد الغريب فما
الصديق كما ارادا ويقال الغريب من ليس له حبيب وقالت الحكماء
التغرب في الافاق لتوفير الاموال والارزاق مخالف للعقل
السليم بالاتفاق لان كل متاع الدنيا قليل محتقر لا يبقى فلا تغتر
شعر يشقى رجال ويشقى اخرون بهم ويسعد الله اقواما باقوام

والصيد يحرمه الرامي المجيد، وقد يرمي ويحرزه من ليس بالرامي،
اخر وانك ما يقدر لك الله تلقه، كفاحا ويجلبه اليك الجوالب،

باب في مدح الشباب

الشباب باكورة الحياة واطيب العيش اوائله،
وقال بعض الحكماء: ان السن لا يقدم موخرا ولا يوخر مقدما بل
ربما عدل بجلائل الامور ومهمات الخطوب عن الشيوخ الى
الشبان لاستقبال ايامهم وسرعة حركاتهم وحدة اذهانهم وتيقظ
طباعهم ولانهم على ابتناء المجد احرص واليه اصب، والحوائج على الشبان
اسهل منها الى الشيوخ، وروي ان عمر رضي الله عنه كان اذا نزل به
امر معضل دعى الشبان فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم، وكان
ايوب عليه السلام يقول ان الله يزرع الحكمة في قلب الصغير والكبير
فاذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تتضع منزلته عند الحكماء،
لحداثة سنه وهم يرون عليه من الله نور كرامته الشاب في علمه
لا يحقر وفي جهله يعذر، والكبير الجهل به اقبح، ونقص العلم له افضح
غلام عاقل خير من شيخ جاهل شعر وكم من صغير ادركته عناية،
من الله فاحتاجت اليه الاكابر، وجاء في الحديث سبعة يظلهم
الله في ظله يوم لا ظل الا ظله، منهم شاب نشا في عبادة
الله، ونظر الحطيئة الى ابن عباس يتكلم في مجلس عمر فقال من هذا
الذي نزل عن الناس في سنه وعلاهم في قوله اخر اذا لم يكن مر السنين
مترجما، عن العقل في الانسان سميته طفلا وما تنفع الايام حين نعدها،

ولم

ولم يستفد فيهن علما ولا عقلا، وروي ان وفدا قدموا على عمر
ابن عبد العزيز فتقدم شاب ليتكلم فقال عمر كبار كم فقال
الشاب يا امير المؤمنين انما المرء باصغريه لسانه وقلبه فاذا
رزقه الله قلبا حافظا ولسانا لافظا فقد انعم عليه فقال
له تكلم فقال نحن وفد تهنية لسنا وفد الرغبة ولا وفد
الرهبة فاما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك، واما الرهبة
فقد امننا منها عدلك، وانما جئنا لنشكرك بارك الله في عمرك،
فسال عمر عن سنه فاذا هو دون العشرين فقال عمر من غلب
الشباب ومساعدة الحظ ولم يثنياه عن الامور الفاضلة
فهو القوي ومن غلبه الشباب ولم يكن له فكرة فيه فهو التابع
للهوى دون العقل، وقال الجاحظ ان في قول ابي العتاهية شعر
ان الشباب لحجة التصابي، روائح الجنة في الشباب معنى كمعنى
الطرب الذي تشهد بصحته القلوب، وتعجز عن وصفه الالسن
وقال بعضهم شعر فيا اسفا اسفت على شباب، نعاه الشيب والراس
الخضيب، عريت عن الشباب وكان غضا، كما يعرى عن الورق القضيب،
ونحت على الشباب بدمع عيني، فما نفع البكاء ولا النحيب، فيا
ليت الشباب يعود يوما، فاخبره بما فعل المشيب، ودخل الحسين
ابن الفضل الى الخليفة وعنده كثير من اهل العلم فاحب الحسين
ان يتكلم وكان شابا فزبره وقال اصبي يتكلم في مثل هذا المقام،

فقال ان كنت صبيا فلست اصغر من هدهد سليمان ولا انت اكبر
منه حين قال له الهدهد احطت بما لم تحط به فضحك الخليفة
وندم الزابر ويقال اذا عرفت نفسك لا يضرك ما قيل فيك ولما
ولى المامون يحيى ابن اكثم قضاء البصرة وهو شاب استصغروه
اهل البصرة وصاروا يقلبون الاكف وينظر بعضهم الى بعض
فقال رجل منهم كم سن القاضي ايده الله قال مثل سن عتاب بن اسيد
حين ولاه رسول الله امارة مكة وقضاءها يوم الفتح وانا اكبر
سنا من معاذ ابن جبل حين وجهه النبي قاضيا على اهل اليمن وانا
اكبر سنا من كعب ابن سور الذي وجه به عمر قاضيا على اهل البصرة
وانا اكبر سنا من حارثة ابن زيد الذي جهزه رسول الله امير الشام
فعرفوا فضله وجل في اعينهم وفي الخبر اطلبوا الخير عند حسان الوجوه
وفي خبر اخر اذا نزل باحدكم حاجة فليقصد ثلثة اما كريما في نفسه
او شريفا في قومه او صبيحا في وجهه وقال لقمان التمس بحوائجك
صباح الوجوه فان حسن الصورة اول نعمة تلقاك من الرجل وقال
حكيم عنوان صحيفة المسلم حسن خُلقه وحسن خَلقه وفي الخبر
من اتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله في موضع غير شائن
به في الحسب فهو صفوة الله من خلقه اي من خلقه اياه وفي الباب
احاديث كثيرة فاقرب شيء من الباب حديثا اذا بعثتم الي بريدا
فابعثوه حسن الوجه والاسم حسن الصورة وشرف النسب وحسن

الخلق

الخلق صفات جامعة لجميع المحاسن لان حسن الصورة تدل
على كمال الخلق والخُلق اذ الظاهر عنوان الباطن كما قيل شعر
يدل على معروفه حسن وجهه وما زال حسن الوجه احدى الدلائل
فصل وما قيل في حق الشباب قال بشار ابن برد ان شرخ الشباب والشعر
الاسود ما لم يعاص كان جنونا وقال ابو العتاهية شعر
قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ان الشباب جنون برؤه الكبر وقال
النابغة شعر وان يك عامر قد قال جهلا فان مظنة الجهل الشباب
وقال بعضهم كل يرى ان الشباب له في كل مبلغ لذة عذرا وكان
من دعاء السلف اللهم انا نعوذ بك من نزعات الشيطان وتوفات
الشبان وقال اردشير لولده يا بني اياك وغمار الشبان فهم اهل
الصبوة الى الشهوات وليكن جلساؤك ذوي الاسنان لان الشباب
كالسكران لا ترده العظة الا غلظة ولا الكرامة الا اتعاظا و
شهامة لتهوره وفساد تصوره يستصغر النعمة اذا حلت وان
جلت شعر ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة
ومر الحسن البصري بشبان فقال وفروا مجالسكم بالتسبيح والتصابي
هو الميل عن الصواب يقال اصباني فصبوت اي حملني على الجهل
وعلى ما يفعل الصبي لا يزال المخطئ مرجوما لم يجاوز الاعجاب
بخطائه فاذا اعجب حجب وانك من الدنيا لم تكلف الا نفسا
واحدة فاذا انت اصلحتها لم يضرك فساد غيرها وان انت افسدتها

لم ينفعك صلاح غيرها شعر فهل لك غير هذي النفس نفس وهل لك غير
هذا القلب قلب وما زال الناس يكرهون الشيب ويذمونه نظما
ونثرا لما فيه من الدليل على الفناء والهجنة عند النساء والرقة والجناء
ويحبون الشباب ويمدحونه لما فيه من حسن الشمائل وعذرة المجاهل
الى ان لطف الحذاق في تحسين ما كانوا يكرهون ومدح ما كانوا
يذمون رياضة في النفوس واتساعا في القول باب في مدح الشيب شعر
قال من رأى صباح مشيبي عن شمال من لمتي ويمين اي شيء
هذا فقلت مجيبا ليل شك محاه صبح يقين وقال بعضهم عيرتني
بالشيب وهو وقار ليتها عيرت بما هو عار ان يكن شاب بعض لمتي و
جهي فالليالي تزينها الاقمار وراة لمة الم بها الشيب فنعت
من ظلمة في شروق ولعمري لولا الاقاح لابصرت انيق الرياض غير انيق
وسواد العيون لو لم يحجر ببياض ما كان بالمرموق اي ليل يبهى بغير
نجوم او سحاب يبدو بغير بروق ومن لطائف زهير في الجناس
المصحف قوله شعر وليس مشيبا ما ترون بعارضي فلا تمنعوني
ان اهيم واطربا وما هو الا نور ثغر لثمته تعلق في اطراف شعري
فالهبا واعجبني التجنيس بيني وبينه فلما تبدى اشنبا عدت اشيبا
حاصل معنى الشيب الشباب وحسن الثغر وقال الحسن البصري
الشيب سمة العفيف وهيبة المتحرج وقر الشيوخ فان فيهم
مواطن الوقار ومعادن الاثار ورواة الاخبار وضبطة الاسرار

ان

ان راوك في قبيح منعوك وان الفوك في جميل ايدوك ورئي حكيم
شيبة في لحيته فقال مرحبا بثمرة الحكمة وجنى التجربة ولباس
التقوى من سعادة المرء ان يطول عمره في طاعة ربه والشيب
نذير بورده تعاقب الليالي والايام وحلم يفيده مر الشهور والا
عوام ووقار يلبسه مدا العمر ومضي الدهر وان خير نصفي عمر المرء
اخره يذهب جهله ويثوب حلمه ويجتمع رايه وتكمل تجاربه وتحمد
توبته وتحمد سريرته جزى الله المشيب خيرا فانه اناة والشباب عجلة
واظن الشباب والمشيب لو مثلا لمثل الاول عقوقا والاخر وقورا
ولاشعل الاول نارا واشهر الاخر نورا الحمد لله الذي بيض القادرو
سماه الوقار وعسى ان يغسل الفؤاد كما غسل السواد ومن لم
يتعظ بثلاث لم يتعظ بشيء الاسلام والقران والشيب وقال
ابن المعتز عظم الكبير فانه عرف الله قبلك وارحم الصغير فانه
اغر بالدنيا منك وقد قدم بنات شعيب شيبته على نبوته حيث
قلن وابونا شيخ كبير واخوة يوسف قالوا ان له ابا شيخا كبيرا و
الشيب عنوان الكبر وابيضاض السواد من اوضح العبر وهل مثله لحي
نذيرا وقال ابو الهيثم وكان اديبا خطيبا معمرا وكان الشباب
لنا صاحبا فلما وثقنا به ادبرا وجاء المشيب لغنا به وانا لنعلم ما
اضمرا وقال ابن المعتز اراك للشيب ذي كتابا فاين تمضي عن الصبا
ان كنت ترعى الوفاء حقا فالشيب اوفى من الشباب وقال بعضهم

يا شيبتي دومي ولا تترحلي • وتيقني اني بوصلك مولع • قد كنت
اجزع من حلولك مرة • والآن من خوف ارتحالك اجزع • والشيب زبدة
مخضتها الايام • وفضة سبكتها التجارب • واذا كبر العقل سرى
في سبل الرشد بمصباح الشيب • وقال لقمان اذا كان الرجل في اول
حاله له من العقل نصيب • فلما كبر وشاب رسخ عقله وخلص وتكامل •
واذا كان في اول حاله احمق • فعلى قدر ذلك كلما كبر وشاب ترسخ
وظهر عتهه • قال ابو الفتح البستي • ما استقامت قناة رأيي الا •
بعدما اعوج المشيب قناتي • وجاء في الحديث من اتقى الله عاش قويا •
وسار في بلاده آمنا • وروي انه قيل لبعض الصالحين لقد كبر سنك
وما تغيرت اعضاؤك • قال حفظتها في صغري فحفظها الله في
كبري • وقال الشعبي من داوم على تلاوة القرآن لم يخرف ابقى الناس
عقولا قراء القرآن • وذلك لان القرآن كلام الله يعم الحقائق كلها
والنفس من جملتها فلا بد من ان يكون لها فيه نصيب • وكل حال تبعد
عن القرآن لا بد ان يعلو بصاحبه • ومن تقرب بالذكر لا يبعد عن
الذكرى • وقد قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب •
وتعرف ان الحال في العقل والعقل في الروح • وان الروح صاحب
العلم • وما لك امره فلا بد ان يكون في حالك الذي قام بك من القرآن
صاحب علم فمن المحال ان يعطى لا بحسب لطهارته اعلم ان القرب من
صفات القلوب • وليس من احكام الظواهر والاكوان فلا يكون قرب

العبد

العبد من الحق سبحانه وتعالى لا ببعده عن الخلق فقربه كرامته لا
وليائه وبعده اهانته لاعدائه • والتجافي عن طاعته والبعد هو البعد
عن التوفيق ثم بعد عن التحقيق • ومن تحقق قرب الله اورثه دوام
مراقبته اياه • وان المتصف بصفة يكون بحسب مقامها ويتميز في
اهلها • وان قارئ القرآن ينبغي ان لا يقنع بمجرد تلاوته بل يسعى
الى الاطلاع على ما فيه من الاسرار • والمعارف • ويسارع الى العمل
بموجبه • فانظر بماذا امرك وعما نهاك • وقد جاء في الحديث القرآن
حجة لك او عليك يعني انه دليل على نجاتك ان عملت به • وعلى سوء حالك
ان لم تعمل به • وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من اجلال
الله اكرام ذي الشيبة وحامل القرآن • وفي حديث آخر من شاب
شيبة في الاسلام كانت له نورا يضيء ما بين السماء والارض الى
يوم القيمة • وتزمه كما تزم الناقة بزمامها حتى يدخل الجنة • قال
شراح الحديث شيبة في الاسلام اي شعرة واحدة • وروي ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا اذ اقبل رجل فسلم فقام
له النبي واصحابه • ثم في اليوم الثاني دخل وسلم • ولم يقم له فسئل
عن ذلك • فقال كان معي امس اخي جبرائيل فقام • وقمت معه وكان
معي اليوم فلم يقم ولم اقم فسألته لماذا قام بالامس ولم يقم
اليوم • قال كان امس في لحية الرجل شعرة بيضاء • وهو يتودد
ربي فقمت اكراما له • واليوم نظرت فلم ارها ولم اقم له ذكر صاحب

مجمع اللطائف، وفي الحلية عن جعفر الصادق رضي الله عنه عن ابيه
يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ابناء السبعين ويستحيي
من ابناء الثمانين، وفي حديث اخر ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم
ان يعذبه ليس المراد انقباض النفس لتنزه الله عن ذلك وانما المراد
ترك تعذيبه، وفي حديث اخر الا اخبركم بخياركم اطولكم اعمارا واحسنكم
اعمالا الا اخبركم بشراركم من طال عمره وساء عمله وخيف شره ولم يرج
خيره ليس احد افضل عند الله من مؤمن يعمر لتكبيره وتسبيحه وتهليله
وتحميده، وروي عن انس رضي الله عنه انه قال سمعت ابا بكر الصديق
رضي الله عنه حين انصرف من المسجد يقول اللهم اجعل خير عمري اخره
وخير ايامي يوم لقائك واجعل خواتم عملي رضاك، رزقنا الله حسن
المآب، انه يتوب على من تاب، ويهدي اليه من اناب، ومنّ علينا
بالنجاة من مضلات الفتن والسلوك على اهدى سنن بمتابعة
السنن، انه لطيف بالعباد، كريم جواد، وقال بعضهم شعر
وكان الشباب الغض لي فيه لذة، فوفقني عنه المشيب وادبا
فسقيا ورعيا للشباب الذي مضى، واهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا
قول العرب في تسليمهم وتحيتهم مرحبا واهلا وسهلا اي
لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان واهل بالانس
بهم بلا وحشة منا وسهل اي لك عندنا سهولة ذلك اي تسهيل
ذلك علينا ولا يشتد فهو سهولة اللقاء وسهولة من الاخلاق

والالتقاء

والالتقاء، وجاء في الحديث ما اكرم شاب شيخا من اجل سنه
الا قيض الله عند سنه من يكرمه، قيض اي سبب وقدر وفيه بشارة
الى من اكرم شيخا بلغ سن ذلك الشيخ المكرم واكرم في ذلك السن
ولذلك عدوا توقير الشيوخ مما يزيد في العمر فصل وما قيل
في حق الشيب قال بعض الحكماء اذا ظهر الشيب اشتهر العيب وان
الرجوع الى عالم الغيب، وقال بعضهم الشيب وكل عيب ومن يعمر
يرى في نفسه ما يتمناه لاعدائه، يعني من طال به الزمان يرى
في نفسه الهوان شعر المرء يهوى ان يعيش، وطول عيشه تضره
تفنى لذاذته ويبقى بعد حلو العيش مره، وتخونه الايام حتى
ما يرى شيئا يسره، كم شامت كم ساكت كم قائل لله دره، وقال
لقمان الكبر داء يتمناه الناس قيل لابي العينا كيف انت قال في الداء
الذي يتمناه الناس يعني الهرم شعر ارى المرء يرجو ان يطول بقاؤه
ليدرك ما يهوى بطول بقائه، واي جدوى في البقاء وقد
وهت قواه واقوى قلبه من ذكائه، اذا ما تناحس وكلت بصيرة
فطول بقاء المرء طول شقائه، مكتوب في الزبور من بلغ السبعين
اشتكى من غير علة ومن متع بكبر بلي بعبر، ومن تاخر يومه مله
قومه، الشيب نور لمن اهتدى، وظلمة لمن ظلم ويقال لا تسأل
نفسك العام ما اعطتك العام الماضي، قال الله تعالى وقوله
الحق، ومن نعمره ننكسه في الخلق، الشيب بعد جدة الشباب اخلاق

وعلى كراهة لقاه مكروه الفراق، فواها لنزوله وواها لرحيله آخر
الشيب كره واكره ان يفارقني، اعجب بشيء على البغضاء مودود،
يمضي الشباب ويأتي بعده بدل، والشيب يذهب مفقود بمفقود،
لشيب رأسي بكت عيني ولا عجب، يجري العيون سقوط الثلج في القلل، آخر
آخر يا عامر الدنيا على شيبة، فيك اعاجيب لمن يعجب، ما عذر من يعمر
بنيانه، وجسمه مستهدم يخرب، ختم الله لنا بالحسنى هو مولانا
ونعم المولى، وقال جالينوس الاحداث للمراء، والكهول للفكر، والمروة
الشيوخ بالصمت، وفي الخبر اخضبوا بالحناء، فانه طيب الرائحة و
يسكن الروع، وقال بعض الابدال من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل
ومن احب احدا حق محبته احب ايضا احتمال المحنة باب في مدح الامراض
والاسقام روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ساعات الاذى
في الدنيا تذهب ساعات الاذى في الاخرة، وفي حديث آخر ساعات
الامراض تذهب ساعات الخطايا، رواه البيهقي في شعب الايمان
عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه، وفي حديث آخر من ابتلي
فصبر واعطي فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر اولئك لهم الامن
وهم مهتدون، وسئل ذو النون عن المحبة، فقال ان تحب ما احب الله
وتبغض ما ابغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض ما يشغل عن الله، و
ترضى بقضاء الله، ولا تخاف في الله لومة لائم مع العطف للمؤمنين
والغلظة للكافرين، واتباع رسول الله في الدين، وهي ليست

من تعليم الخلق انما هي من مواهب الحق وفضله، وان الفضل ابن
سهل وهو من وزراء الدولة العباسية برأ من علة عرضت
له فجلس، وهناه الناس بالعافية، فلما فرغوا من كلامهم قال
لهم ان في العلل لنعما لا ينبغي للعاقل ان يجحدها منها تمحيص الذنوب
وتعرض لثواب الصبر، وايقاظ من الغفلة وادكار بالنعمة في
حال الصحة واستدعاء للتوبة، وحض على الصدقة، وفي قضاء
الله وقدره الخيرة للعبد، فحفظ كلامه الناس ونسوا ما قال
غيره، وقال بعض البلغاء شعر كم ذا يرينا الدهر من احداثه عبرا
وفينا الصد والاعراض، ننسى الممات فليس يجري ذكره، فينا
فتذكرنا الامراض، وجاء في الحديث ما يصيب المؤمن من وصب
ولا نصب ولا غم ولا اذى ولا حزن حتى الشوكة يشاكها
الا كفر الله بها خطاياه، رواه البخاري، وفي خبر آخر ما يزال
البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى
الله وما عليه خطيئة، ويزيد في ثوابه اذا صبر ورضي بما
قدره الله غير التكفير لنفس المصيبة، وما من مصيبة الا
ولله فيها خمس نعم، اولها انها لم تكن في الدين، وكل مصيبة في
غير الدين المصاب مثاب فيها، والثانية انها لم تكن اكبر منها،
والثالثة انها كانت عليه لا محالة فقد نفذت واستراح منها
والرابعة انها عجلت في الدنيا ولم تؤجل الى الاخرة فيعظم

النصب التعب والوصب المرض ح

قال الحافظ ابن حجر لقد اخطأ ابن عبد السلام في قوله
ان الثواب والعقاب انما هما على الكسب والمصائب
ليست منه بل الاجر على الصبر والرضى ورد بان الاحاديث الصحيحة
صريحة في ثبوت الاجر بمجرد حصول المصائب واما الصبر والرضى فقدر زائد
يثاب عليهما زيادة على ثواب المصيبة وقال القرافي المصائب كفارة
جزما سواء اقترن بها الرضى ام لا لكن ان اقترن الرضى يعظم التكفير وهذا ايد قولنا
ويزيد في ثوابه اذا صبر ورضي بما قدره الله اه ح

مقدار عذاب الاخرة والخامسة ان ثوابها خير منها فان المصيبة اذا
كانت في امر الدنيا فهي طريق الى الاخرة ثم ان المصائب لا تخلو من ثلثة
اقسام كلها نعم من الله اما ان تكون درجة او تكون كفارة او تكون عقوبة
فتعجيل العقوبة في الدنيا رحمة ونعمة وكان الحسن رضي الله عنه يقول
عطايا الله كلها حسنة فما وافق هواك جعلته خيرا وما خالف هواك
جعلته شرا قال الله جل علاه قل كل من عند الله وقال علي رضي الله عنه
ما شر بعده الجنة بشر وما خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة
محقور وكل بلاء دون النار عافية ومعرفة هذه النعم طريق الشاكرين
والصالحات كلها كسب الايمان وليس فيما يكسبنا الخيرات مكان بل
الله من علينا ان هدانا للايمان وجعله سببا نكسب لنا باحسانه
الاحسان قال الله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا وهو من افضل
النعم ثم دوامه لان دوام الشئ نعمة ثانية بحكم ياتي عن مشيئة
ثانية لان الارادات منه سبحانه بحكم الاظهار لا توجب ثبات
المظهر اذ لو لم يرد دوام السموات والارض ما داما ولكنه تعالى
انعم علينا نعما لا تحصى بدوامه وثبوته فثبت في القلوب ومن
هذا قوله تعالى وكتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه اي قواهم
بمدد يثبته ويقويه والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر قال علماء
التفسير في قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث اي فاشكر فان تحدثها
شكر وجاء في الحديث يا ام العلاء ابشري فان مرض المؤمن يذهب الله

خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة وفي خبر ان
المريض اذا برئ وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها
ولونها قال ابو عبد الله الترمذي في نوادر الاصول المرض للمؤمن
تمحيص والانام دنس فالمؤمن يتلوث في شهواته فتدنس ويتكدر الدنس
على الافعال والوسخ على الاركان والكدر على الطلاوة فاذا رحمه
واراد به خيرا اسقمه حتى يطهره ويصفيه بمنزلة الفضة تلقى في كيرها
فينفخ عليها حتى يزول خبثها وتصفو فضتها فتصلح للمعاملة بها
قال الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن
كثير فياخذ بالقليل حتى يطهره ويعفو عن الكثير حتى يصفو
ومن علامة العفو نزول البلاء فيمحص بما نزل ويعفو عما بقي فشبه
بالبردة صفاء وطيبا وصار مثلها اي لم يبق عليه شئ وهذا
موافق لما جاءنا في حديث رواه علي رضي الله عنه من ابتلي بذنب
فعوقب عليه فالله اعدل من ان يثني عقوبته وما عفي عنه ولم
يعاقب عليه فالله اكرم من ان يعود في عفوه وفي خبر اخر من اصاب
في الدنيا ذنبا فعوقب به فالله اعدل من ان يثني عليه عقوبته
ومن اذنب في الدنيا فستر الله عليه وعفى عنه فالله اكرم من ان
يعود في شئ عفى عنه فاما المعاقب فقول الله تعالى فبما كسبت
ايديكم هو اقتصاص كقوله هذا بذاك ما ابتلت البرية وهي بريئة
شعر على قدر تقوى الله تقضى المآرب ويأتي على قدر الذنوب

المصائب ثم قال تعالى ويعفو عن كثير اى ان الذى لم يصبك
به مصيبة فهو عفو وقد يجوز ان يبقى بعد عفوه الكثير هناك
شئ الا ان الكثير من الله لا يحصى عددا وان الذى قال ويعفو
عن كثير هم الذين سترهم الله وستر عليهم فاذا دام هذا الستر لهم
فالله اكرم من ان يهتك عبدا ستره ايام الدنيا وجاء فى الحديث قال
الله تعالى لانا اكرم واعظم عفوا من ان استر على عبد لى مسلم فى
الدنيا ثم افضحه بعد ان استرته فلا ازال اغفر لعبدى ما استغفرنى
واخرج احمد وغيره عن على رضى الله انه قال تلا رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه الاية ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن
كثير ثم قال سافسرها لك يا على ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء
فى الدنيا فبما كسبت ايديكم والله احلم من ان يثنى عليه العقوبة فى الا
خرة وما عفى عنه فى الدنيا فالله اكرم من ان يعود بعد عفوه كذا فى
كتاب الاتقان وكان طاوس اليمانى يقول دعاء المريض مستجاب
بدليل قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء و
المريض مضطر ومضطرب وجاء فى الحديث اذا دخلت على مريض
فمره ان يدعو لك لان المريض مضطر ودعاء المضطر اسرع اجابة
من غيره وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل على من يعوده قال لا
باس طهور ان شاء الله وفى خبر اخر حمى ليلة كفارة سنة احسن
ما سمعت فى هذا لانها تهد قوة سنة وهى نعمة اذ جعل الله فيها

من

١٧

من الاجر بالكفارة ما كنا نتوقاه من سيئات اعمالنا وفى حديث
اخر عودوا المريض ومروه فليدع لكم فان دعوة المريض مستجابة
وذنبه مغفور رواه الطبرانى وروى خالد بن الوليد رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما على قومه فقال
خذوا جنتكم قالوا امن عدو حضر قال بل من النار قالوا وما جنتنا
من النار قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال الراوى وكنت امر من
اشتكى من اهلى وغيرهم بذلك فاذهب الله ما كان من علة وروى
عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا اشتكى يقرء على نفسه بالمعوذات وينفث وهذا دعاء
جليل مشهود بالاجابة قد جربه ارباب البصائر فى اوقات الشدائد
وهو يا لطيف اسألك اللطف فيما جرت به المقادير من ذكره
كل يوم مائة واربع مرات امنه الله من شر الحوادث وكان ملطوفا
به فى سائر حركاته وسكناته وروى عن ابن عباس رضى الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال بسم الله الرحمن
الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم صرف الله عنه سبعين
بابا من البلاء اولها الهم والغم والنمد وجاء فى الحديث اذا احب
الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وقد اشار لهذا فى القران
الكريم فقال تعالى فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون

وذم الله من لا يستكين عند الشدائد فقال تعالى فما استكانوا لربهم
وما يتضرعون فلله الحمد الجزيل والثناء الجميل الذي خلقنا نحمده و
نسبحه ونكبره ونهلله ونقدسه ونستشفي باسمائه وبكلامه و
ذلك انفع دواء واقرب لحصول الشفا شعر والناس يلحون الطبيب وانما
خطاء الطبيب اصابة المقدور وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا راى على جسده بثيرة ابتهل الى الله بالدعاء وقال ان الله اذا
اراد ان يعظم صغيرة عظمه وفي الحديث حصنوا اموالكم بالزكوة و
داووا امراضكم بالصدقة واستقبلوا البلاء بالدعاء وقال لقمان
المرض سوط يسوق العبد الى باب سيده وقال الشيخ ابن العربي في
كتاب الوصايا وعليك يا اخي بعيادة المرضى لما فيه من الاجر لا
عتبار والذكرى فان الله سبحانه خلق الانسان من ضعف فينبهك
النظر اليه في عيادتك على اصلك لتفتقر الى الله في قوة يقويك
على طاعته ولان الله عند عبده اذا مرض الا ترى المريض ما له استغاثة
الا بالله ولا ذكر الا الله فلا يزال الحق في لسانه منطوقا به وفي قلبه
التجاء اليه فالمريض لا يزال مع الله ولو تطبب وتناول الاسباب
المعتادة لوجود الشفاء عندها ومع ذلك فلا يغفل عن الله وذلك
لحضور قلبه مع الله وقال صاحب شرح المهذب عيادة المريض
سنة مؤكدة ويستحب ان يعم بعيادته الصديق والعدو ومن يعرف
ومن لا يعرف حتى الكافر يجوز ان يعوده ويستحب العيادة من وجع

العين قال زيد بن ارقم رضي الله عنه عادني رسول الله صلى الله عليه
وسلم من وجع كان بعيني رواه ابو داود وجاء في حديث رواه
ابن ماجة ما من مسلم يعزي اخاه بمصيبة الا كساه الله من حلل الكرامة
يوم القيمة ويقال التعزية بعد ثلث تجديد للمصيبة والتهنية بعد
ثلث استخفاف بالمودة وجاء في الخبر العيادة بقدر فواق ناقة
شعر لا تبرمن عليلا في مسائلة يكفيك من ذاك تسأله بحرفين
حق العيادة ان تدعوله وتقعد في جلسة مثل طرف اللحظ بالعين
وروي انه دخل ابن السماك الى هرون الرشيد عقب مرض فقال
يا امير المؤمنين ان الله ذكرك فاذكره واطلقك فاشكره ودخل
بعض العلماء على عليل عائدا فقال كشف الله ما بك من السقم
وطهرك من الخطايا ومتعك بلبس العافية واعقبك دوام الصحة
وجاء في الحديث من عاد مريضا لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس
فاذا جلس انغمس فيها ومما يدعو به المريض اللهم اجعله تمحيصا لا
تنغيصا وتذكيرا لا نكيرا وادبا لا غضبا وجاء في الحديث ما من
مريض يقول سبحان الملك القدوس الرحمن الرحيم الملك الديان
لا اله الا انت مسكن العروق الضاربة ومنيم العيون الساهرة
الا شفاه الله رواه ابن ابي الدنيا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ايما
مسلم دعا بها في مرضه اربعين مرة فمات في مرضه ذلك مات وقد

اعطى اجر شهيد وان برئ برئ وقد غفر الله جميع ذنوبه رواه الحاكم
وفي خبر من قرء قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه امن من فتنة
القبر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم للاوجاع والحمى ان
يقولوا بسم الله الكبير المتعال اعوذ بالله العظيم من شر عرق نعار ومن
شر حر النار رواه الحاكم في المستدرك وجاء في الخبر يرسل الله ملكا
ياخذ لذة الطعام وملكا ياخذ لذة الشراب وملكا ياخذ لذة النوم
وملكا ياخذ الذنوب فاذا عافاه الله يعود كل ملك بما اخذه الا ملك
الذنوب فيقول الرب لا بل القها في البحر اي بحر الرحمة والغفران ونظير هذا
ما ذكره صاحب قوت القلوب اذا اراد العبد ان يدخل المسجد للعبادة
قالت الملئكة انه ملطخ بالذنوب والمعاصي فنريد ان نرده فيقول
الرب كيف وقد قصدني ولكن خذوا عنه ذنوبه حتى يدخل طاهرا
فاذا خرج قالت الملئكة انردها عليه فيقول الرب شيء رفعناه لا
نعيده وان المريض اذا رد الى عجزه وضعفه تراه ضعيفا مسكينا كان
قد ادعى القوة والجبر فالرجل من كان مع الله في حال صحته كحاله في حال
مرضه وضعفه ومسكنته قال الشيخ ابن العربي طرق الحق لا تحصى
للاكوان واقربها اليه الذل والانكسار والتوبة ترك الاصرار و
ملازمة الاستغفار والمعرفة محض الايمان ومشاهدة الاحسان
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله ملكا موكلا
فمن قال يا ارحم الراحمين قال الملك ان ارحم الراحمين قد اقبل عليك

فاسئل

فاسئل تعط ذكره في خلاصة الاخبار وعن عائشة رضي الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد يا رب يا رب
قال الله لبيك عبدي سل تعط قال الحسن رضي الله عنه العافية من
ابلغ النعم والغفلة عن شكرها من جملة السقم ورب مرض يكون ظهور
وجه النعمة في المصائب ما فيها من الاجر في الاخرة وتواضع النفس في
الدنيا الخاص والعام فان البلايا تذل نفوس الجبابرة ولولا رفعت
الحاجات وزالت الفاقات لبطلت الحكمة وتراكمت الظلمة وجاء في
الحديث ما من نعمة وان تقادم عهدها فيجددها العبد بالحمد الا
جدد الله له ثوابها وما من نقمة وان تقادم عهدها فيجددها العبد
بالاسترجاع الا جدد الله له ثوابها واجرها وقال المفسرون في قوله
تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه اي للاسترجاع والرضا والصبر على
القضاء والاسترجاع ان يقول العبد انا لله وانا اليه راجعون رضا
بالقضا وتسليما لحكم المولى وجاء في الحديث عن انس رضي الله عنه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعظم الجزاء مع عظم البلاء وان
الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط
والابتلاء من الله اظهار ما علم والتكلم بالاسترجاع هو اعتراف
العبد بالتسليم لما كان الايمان هو المعرفة لله بوحدانيته والطمانينة
به والتسليم قلبا والتكلم بلا اله الا الله اعتراف العبد بذلك والعمل
بحقيقته فهذا الاعتراف بهذه الاشياء في اي وقت كان فهو

قائم للعبد وخيره متصل به ومن لطائف البلاء وحكم الامراض والعلل
زوال قسوة القلب وحدوث رقتها والايقاض والادكار والحث
على الاستغفار وتكفير الخطايا وتذكير العبد بذنوبه فربما تاب و
رجع الى الله وان العبد ليمرض فيذكر ذنوبه فيخرج منه مثل رأس الذباب
من خشية الله فيغفر له ومنها انكساره لله وذلته وذلك احب الى الله
من كثير من طاعات الطائعين وكان داود عليه السلام يقول سبحان
مستخرج الدعاء بالبلاء وسبحان مستخرج الشكر بالرخاء ومنها ان البلاء
يقطع قلب المؤمن عن الالتفات الى المخلوق ويوجب له الاقبال على الخالق
وحده ويوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه وذلك اعلا المقامات و
الدرجات وفي الاسرائيليات يقول الله يا ابن ادم البلاء يجمع بيني وبينك
والعافية تجمع بينك وبين نفسك ومنه قوله تعالى واذا غشيهم موج
كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد وما
يجحد باياتنا الا كل ختار كفور وقال بعض الحكماء ذلة العبد رجوع
الى اصله وتكبره خروج عن اصله ومن خرج عن اصله جهل وتعب ومن تفكر
ونظر تبصر وصبر فتاب واستغفر ومن انقطع عن التعلق بالخلائق
وتعلق بالخالق استجاب له وكشف عنه وعلى قدر الكسر يكون الجبر والعبد
اذا اذنب واتبعها استغفار المرء في وبالها مطر اذا كان متيقظا
مشرفا على امره واذا كان منه العيوب والذنوب وهو عن الندم والا
ستغفار تراكمت الذنوب والعيوب فجاء العسر ووقع في شؤم

غفلة

غفلة وهذا من عذاب الادنى فاذا تيقظ وندم واستغفر صار
له من الذنوب فرج ومن الضيق مخرج وترك الاصرار من التقوى
قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون فسماهم اهل تقوى لعدم الاستقرار في
الذنوب والاصرار عليها وجاء في الحديث ما اصاب عبدا مصيبة
فما فوقها الا باحدى خلتين بذنب لم يكن ليغفره الله الا بتلك المصيبة
او بدرجة لم يكن الله ليبلغه اياها الا بتلك المصيبة قال الله تعالى
وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وكان بشر ابن الحارث يقول الدعاء
ترك الذنوب وجاء في الحديث لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان
خيرا ان اصابته سراء فشكر وان اصابته ضراء فصبر كان خيرا له
فليس ذلك الا للمؤمن وكم في طي البلايا منح وعطايا وفي الرزايا
خبايا وفي العلل اسباب لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر
والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع لما يترتب على كل
ذلك من الثواب الجزيل وتاكيد البصائر في رحمة الممتحنين والشفقة
على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة وتخفف عليهم النزع وشدة
السكرات عند مماتهم بتقدم المرض وضعف النفس والجسم بذلك
وهذه حكمة اخرى اودعها الله في الامراض للاجسام وتعاقب
الاوجاع عليها عند قبض الارواح لتضعف قوى نفوسهم
فيسهل خروجها ولو قويت شق عليهم وصعب فكان اشد عليه

فيكون امره افضى الى واحدة من نصب الدنيا واذاها كان بحسب الاصل
فعلا ماضيا لكنها قد تستعمل للاستمرار نحو وكان الله غفورا رحيما
فاذا تقرر ذلك ظهر ان العلل اثر من اثار الرحمة ونوع من انواع النعمة وان
كان في الظاهر صورة نقمة وكل شيء انما يكون خيرا متى كان نافعا
في بلوغ السعادة وكل ما عاق بوجه ما فهو شر الا ان كان مرضى الابدان
يخيل لهم فساد حسهم فيما هو حلو انه مر وفيما هو مر انه حلو فيقصدونه
الملائم انه غير ملائم كذلك مرضى الانفس يخيل لهم فيما هي شرور انها
خيرات وفيما هي خيرات انها شرور واما الفاضل بالفضيلة الخلقية
فانما يهوى ويشتاق ابدا الغاية التي هي خيرات في الحقيقة ويجعلها
غرضه ومقصوده والاخر يهوى ابدا الغاية التي هي في الحقيقة شرور
ويجعلها لاجل فساد حسه خيرات فالانسان يحتاج ابدا الى تعقل ما
بالفضيلة التي هي فيه ولنذكر رحمة الله بالمؤمنين واحسانه اليهم
ولطفه بهم وتوسعة فضله لهم بعض من القران يشمل كل احسان قوله
تعالى وكان بالمؤمنين رحيما وقوله تعالى وربك الغفور ذو الرحمة
وقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء ومن الحديث قوله صلى الله عليه وسلم
لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو عنده فوق العرش ان رحمتي
تسبق غضبي وفي رواية سبقت غضبي وان هذه الرحمة احد ان
تنال المؤمن حتى من اثار الرحمة المتعلقة بالمؤمن مغفرة ذنوبه
وادخاله الجنة وانجاؤه من النار وقال بعضهم شعر

لم اسلم النفس للاسقام تبليها الا لعلمي بان الوصل يحييها
نفس المحب على الاسقام صابرة لعل مسقمها يوما يداويها
وقال بعضهم هواي له فرض تلطف او جفا ومورده عذب تكدر
او صفا وكلت امري الى المحبوب كله فان شاء احياني وان شاء اتلفا
اخر چون كمال عاشقى پروانه داشت از وجود خويشتن پروا نداشت
اخر اسلم ان اراد الله امرا واترك ما اريد لما يريد الناس كالاغراض
لسهام الاعراض فاذا سوت نحوك سهما فاعلم انه لا يصرفه عنك الا من
سواك واذا عرض بك مرض لا يبريك منه الا من براك واذا نابتك نائبة
لا يدروها عنك الا من ذراك فكم من مريض بحكمته يشفى وخائف
بلطفه يامن ويكفى ومقتور عليه يبسط له ويرزق واسير بعونه يفك
ويطلق قد يلح الحريص في طلب الرزق فيكدى ويرزق المستريح
ويداوي المريض حينا من الدهر فيبرى وقد يموت الصحيح وجاء
في الحديث ما انزل الله من داء الا وانزل معه شفاء علمه من علمه وجهله
من جهله ومن مسند الامام احمد من حديث زياد بن علاقة قال
كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت الاعراب وقالوا انتداوى
يا رسول الله قال نعم يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا و
ضع له شفاء غير داء واحد قالوا وما هو قال الهرم وعن ابي الدرداء
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله انزل الداء والدواء
وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام وعن جابر رضي الله

عنه انه قال قلت يا رسول الله ارايت رقا نسترقيها ودواء نتداوى به و
تقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله ومن كتاب
الدعوات من صحاح المصابيح من حديث رواه عمر رضي الله عنه من فتح له
منكم باب الدعاء فتحت له ابواب الرحمة وما سئل الله شيئا احب اليه من
ان يسال العافية وشكر المعافات يكون بفعل الخيرات واجتناب التبعات
وترك الشرور في كل الامور قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا وبهم نطق
تولوا وقد جعل الله في الخير من البركة ما يغلب الشر حيث ما كان لان مع
الخير من الله تاييدا قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون فمن كان الله معه فهو حسبه وكافيه ومن اتقى الله وقاه كل
شيء **فصل وما قيل في مدح المرض والاسقام** روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العفو والعافية واليقين في الدنيا
والاخرة فانه ما اوتي العبد بعد اليقين خير من العافية قال ابو عبد الله
الترمذي في نوادر الاصول العفو والعافية مشتق احدهما من الاخر
الا ان العفو يستعمل في نوائب الاخرة والعافية تستعمل في نوائب الدنيا
وكلاهما يرجع الى شيء واحد وهو التفضل ان تفضل على عبده فلا
يعاقبه وان تفضل على عبده فلا يبتليه والعفو الدرس ايضا وهو ان
يدرس آثار الذنوب والبلاء عن جوارحه وشخصه فان لكل نعمة
تبعة ولكل ذنب نقمة في الدنيا والاخرة فاذا درست عنه التبعات
والنقمات تخلص هذا في العفو فاما العافية فان لكل نفس عنده مدبر

الامور

الامور تدبير اذا تنفس العبد اخرج نفسا واستمد من الجو آخر مثله
وفيه السلامة والهلاك فان نزعت الافة منه سلمت لك النفس
فعوفيت من البلاء وان طعمت او شربت فمثل ذلك فالعافية ان تدرس
عنك تلك الحوادث التي منها يحدث البلاء وقد يقال في نوائب
الدنيا عفى عنه فلم يبتليه به وفي نوائب الاخرة عافاه فلم يعاقبه
الا ان الغالب في اللغة ان تستعمل لفظة العفو في نوائب الاخرة
ولفظة العافية في نوائب الدنيا وقد اشار رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذكر العفو والعافية في الدنيا والاخرة لتعلم ان احدهما وهو
العفو في الاخرة والعافية في الدنيا واصله التفضل علينا في الدارين
فيقال في موضع العقوبة عفى عنه وفي موضع البلاء عافاه وجاء في
الحديث اليك انتهى الاماني يا صاحب العافية وقال بزرجمهر ان كان
شيء فوق الموت فالمرض وان كان شيء مثله فالفقر وقال بعض
الحكماء لا صديق اصدق من الصحة ولا عدو اعدى من المرض وقال
جالينوس المرض حبس البدن كما ان الهم حبس الروح وقيل للاعمى لا يحمد
شكال اي باي بند وقال بشار بن برد **شعر** اني وان كان جمع المال يعجبني
لا تعدل المال عندي صحة الجسد في المال زين وفي الاولاد مكرمة
والسقم ينسيك ذكر المال والولد وفي الامثال ادا لي غنيا
ما دمت سويا المعافى غير مخدوع وقال بعض الادباء **شعر**
ما انعم الله على عبده بنعمة اوفى من العافية وكل من عوفي في جسمه

فانه في عيشة راضية، وقال لقمان افضل ما اعطى العبد في الدنيا
العافية، وفي الاخرة الرحمة على كل مخلوق نعمة من الله وان
خفيت عليه، والنعم انواع وضروب وما اعطى عبد في نفسه من السلامة
ووهب له من العافية في الجوارح افضل من عرض الدنيا كلها شعر
لا تشكون دهرا صححت به، ان الغنى في صحة الجسم، هبك الامام اكنت منتفعا
بلذاذة الدنيا مع السقم، ولواعي معافا خير من امير عليل وذكرو
العافية عند الاحنف فقال اى وطاء واى غطاء، وقال الحسن
البصري الامن يجمع الاماني كلها وصحة الجسم وفوز القسم وقال
بزرجمهر ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة
فالغنى، وقال جالينوس العجب لغفلة الحساد عن سلامة الاجساد و
قال لقمان الطبيب لا اشياء العافية وافضل الدارين الباقية ولما
خلق الله العافية قال لها سلي قالت اسألك العافية وقال على رضي
الله عنه داع غذائك تحكم به بنائك رب اكلة منعت اكلات اياكم
وتحكيم الشهوات على انفسكم كفى بالمرء عادا ان يكون صريع ماكله وقيل
اناملة وقال ابن سينا شعر جميع الطب في بيتين جمع وحسن القول في
قصر الكلام، فقلل ان اكلت وبعد اكل تجنب فالشفا في الانهضام
وليس على النفوس اشد باسا من ادخال الطعام على الطعام واعلم انك
لا تخلص من هذا الجسم الكثيف العنصري الذي هو سبب كل مذلة
وقابل كل علة واصل كل حاجة الجاذبة الى كل بلية والطالب لكل

خطيئة

خطيئة الذي يحجب بالكلية الا بالموتة الاضطرارية فترى عيانا
ما تعلم عقلا، نسأل الله ان يجعل الموت خير غائب ننتظره ويجعل
القبر خير دار، نعمره بفضله ومنه وجوده وكرمه باب في مدح الموت
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكثروا ذكر الموت فانه
يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا، وذكر الموت يردع عن المعاصي
ويلين القلب القاسي ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب
فيها ويهذب الاخلاق ويطرد الهم ان اتسع الرزق وضاق و
يمنع عن الشقاق ويامر بالارفاق والانسان لا ينفك عن حالتي
ضيق وسعة ونعمة ومحنة فان كان في حال الضيق والمحنة فذكر
الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه بانه لا يدوم ويزول بالموت
او في نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه عن الاغترار بها والحرص عليها
والسكون اليها لقطعه عنها واخراجه منها وهي حالة تساوى فيها
المالك والمملوك والملك والصعلوك، وقال بعض الحكماء من اكثر
ذكر الموت اكرم بثلثة اشياء تعجيل التوبة وقناعة القوت ونشاط
العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلثة اشياء تسويف التوبة
وتسويف ترك الدنيا والتكاسل في العبادة، ومن بعض الحكمات
المنظومة الطبع في الانسان جاء غريب الشان ان لم يكن منه ورا
كان به مغرورا كفى بالموت واعظا لمن يكن ملاحظا ومن له معلوم
بعقله ملزوم فاذا توقد مصباح العقل واشتعل نور الفطنة

بصر صاحبه محاذرة الايام وتناهى التفكر الى تحكيم عقله ثم عرفه ما فى
تعجيل الشهوة من استنفاد المدة وما فى قضاء الاوطار بالاذراء
بالعدة فاستظهر على الصبر بتقارب الفناء فتفرقت مكايد عدوه
وضلت خدع مخادعه وصان بالعلم جود شريته وادخر الصبر شفقه
من الفتنة فصار علما لمن بعده وسلفا لمن اقتدى به وعصمة لمن سلك
مسلكه واعتد عدته والرجل البليد البطئ الفهم هو ابدا فى تعبه ولا
يظفر بطائل وروى عن ابن عمر رضى الله عنه انه قال كنت جالسا عند
النبى صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الانصار فسلم ثم قال اى المومنين
افضل يا رسول الله قال احسنهم خلقا قال اى المومنين اكيس قال
اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم لما بعده استعدادا ويقال افضل
الناس من كان له خمس خصال اولها ان يكون على عبادة ربه مقبلا و
الثانية ان يكون على منفعة الخلق ظهيرا والثالثة ان يكون الناس
من شره امينا والرابعة ان يكون عما فى ايدى الناس ايسا والخامسة
ان يكون للموت مستعدا باكتساب المعارف الايمانية والملكات
الرحمانية وقال القرطبى فى التذكرة الموت ليس بعدم محض ولا فنا
صرف وانما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة — حيلولة بدا
بينهما وتبدل حال وانتقال من دار الى دار وكان الحسن البصرى
يقول انا والله ما خلقنا للفناء بل خلقنا للبقاء وانما ننقل من
دار الى دار وقال بعض الحكماء رب موت كالحياة اما الجسم

فانه

فانه اعظم حجاب بينك وبين الله واما الدنيا فانها بلا موت لا
تساوى دانقا ولا يستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت
لان حد الانسان انه حى ناطق مائت ويأتى اليه ملك فيقول البشر
كلما اندرست عظامك صحت انا ملك ويؤيده قول النبى صلى الله
عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم ذكره صاحب نزهة المجالس
والدنيا على هذا وضعت والايام على مثله طبعت ومن كان متوقعا
لم يلف متوجعا ويقال ربما تطيب العموم بالعموم ولا يخفى ان
الموت المتعارف الذى هو مفارقة الروح البدن هو احد الاسباب
الموصلة للانسان الى النعيم الابدى وهو وان كان فى الظاهر
فناء واضمحلالا فهو فى الحقيقة ولادة ثانية وسبب انتقال
من حال اوضع الى حال ارفع وان الانسان ما دام فى الدنيا لا ينفك
عن مشاركة البهائم والسباع لكونه محتاجا الى ما يحتاج اليه ولا قوام
له الا بالغذاء وعن مشاركة الاشجار والنبات لكونه متنفسا
محتاجا الى ما يحتاج اليه من المواد فالانسان ما لم يقتحم العقبة و
يفك الرقبة لا يعرى من الحاجات الانسانية ولم يامن من شيا
طين الانس والجن وهو مجبول على طلب الراحة لكن الناس فى طلبها
صنفان صنف عموا عن الاخرة وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيى وفعلوا فعل من قال ذلك وان لم يقولوا قولهم وطلبوا
الراحة من حيث لا راحة وانهم طلبوا من الدنيا ما ليس فى طبعها

ولا موجود فيهما قال ابو الطيب شعر اريد من زمني ذا ان يبلغني ما ليس
يبلغه في نفسه الزمن وضرب عرفوا الدنيا والاخرة وان الدنيا لهم
فيها مستقر ومتاع الى حين وان الدار الاخرة لهي الحيوان وعلموا
ان فيها يستقر الانسان ويطمئن فرغبوا في الاخرة وزهدوا
في الدنيا فكان ميتا بالارادة حيا بالطبيعة ومن امات نفسه
في الدنيا فقد احياها في الدارين وكان معروف الكرخي يقول الموت
باب من ابواب الجنة وقد من الله به على الانسان فقال تعالى الذي
خلق الموت والحيوة وقدم ذكر الموت لانه يتوصل به الى الحيوة
الحقيقية ولما كانت النعم الاخروية لا وصول لها الا بالموت
فالسبب الذي به يتوصل الى النعمة نعمة وقال الله تعالى ولئن متم او
قتلتم لالى الله تحشرون تنبيها على ان الموت سبيل الى الحيوة المستفادة
عند الله وذريعة الى السعادة الكبرى قال بعض الاعراب اذا انا مت
اين يذهب بي فقيل الى الله قال لا اكره ان اذهب الى من لم ار الخير
الا منه وقال سبحانه ثم انشأناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين
ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون فنبه على ان هذه
التغييرات لخلق احسن ونقض هذه البنية لاعادتها على وجه اشرف
كالنوى المزروع الذي لا يصير نخلا مثمرا الا بعد فساد حبها وكذلك
البزر اذا القي في الارض بعد من لا يتصور حاله فسادا ومن عرف
الله باسمائه وصفاته العلا فلات عينه وقلبه وسلبت لبه فهو يحب

الى

الى ذلك المشهد ويحوم على ذلك المورد ويستعجل انجاز الموعد
ومن وثق بما له عند الله احبه وقد قال سبحانه لمدعي المحبة فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين تنبيها على ان من كان متحققا بحسن
حاله عند الله وحسن ظنه عنده لم يكره الموت شعر اتجزع من الموت هذا
الجزع ورحمة ربك فيها الطمع ولو بذنوب الورى جئته فرحمته كل
شيء تسع وان حسن الظن بالله هو محط رحال الاولين والاخرين
وقد حث الحق تعالى على حسن الظن به فقال في الحديث القدسي انا
عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي خيرا وفي ذلك بشرى من الله
عظيمة لان من الظن نوعا في الترجيح الى جانب العلم الشامل الخير و
الشر ولكن الحق تعالى ما وقف هنا لان رحمته سبقت غضبه بل
قال معلما لعباده فليظن بي خيرا بصيغة الامر فما عاد على العبد
الا سوء ظنه وليس هو على يقين من الحيوة نفسا واحدا وفي
التنزيل ما يؤيده وهو قوله تعالى ان لكم لما تحكمون وقوله تعالى
سيجزيهم وصفهم وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم انما هي
اعمالكم ترد عليكم والظن عمل قلبي فافهم وقال الشيخ ابو الحسن
الشاذلي حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله في كل نفس
من غير اختيار حالة يكون العبد عليها والنفس لا تحب البقاء في هذه
الدار الا اذا كانت قذرة راضية بالاعراض الدنيوية رضا الجعل
بالقاذورات او تكون جاهلة بالمال شعر ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور

انما يفرح بالدنيا جهول وكفود، وان الناس ضربان ضرب لم يتخصص
من الانسانية الا بالصورة والنطق وهو دون البهائم، وضرب هو
الانسان وهو المعنى بما خلق له، ومن كان كذلك فله حالتان احديهما
حالة وهو في الدنيا صريع جوعه واسير شبعه تنسه الفرقة وتودّه
البقية وتقتله السرقة لا حكم له بانه افضل من الملئكة على الاطلاق،
والحالة الثانية ان يكون قد اقتحم العقبة وفك الرقبة بعد ما قضى
ما امره فصار ذا حياة بلا فناء وغناء بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا
جهل، وقد قام الملئكة بخدمته يدخلون عليهم من كل باب فحينئذ من
حصل له هذه المنزلة افضل من كثير من الملئكة، وفي الدنيا الحاجات
الام، ومن تعرى من التقوى لم يستتر بشيء من الدنيا، ونقل عن بعض
اهل البيت ان الجود بعد انقضاء الرحمة المقسومة يوم القيمة بين اهل
الجنة، عملا وشأنا لا يعلمه الا الله تعالى شعر حدث عن الجود وعن فيضه
فالامر مبني على الجود، هيهات ما جود مليك الورى وخالق الخلق بمحدود،
وجاء في الحديث ان لله مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن و
الانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها يعطف
الوحش على ولده واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة
وشواهد هذا في القران الكريم كثيرة، ومداره على ثلاث قواعد ايمان
وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة، فاهل هذه الاصول
الثلثة هم اهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعليها دلت

بشارات

بشارات القران والسنة جميعها، وهي تجتمع في اصلين اخلاص
في طاعة الله واحسان الى خلق الله، وترجع الى خصلة واحدة
وهي موافقة البادي في محابه ولا طريق الى ذلك الا بتحقيق
القدوة ظاهرا وباطنا برسول الله صلى الله عليه وسلم، واما
الاعمال التي هي تفاصيل هذا الاصل فاعلاها قول لا اله الا
الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق وبين هاتين سائر اعمال
البر التي مرجعها الى تصديق رسول الله في كل ما اخبر به وطاعته
في جميع ما امر به ونهى عنه، وذلك لكل من عقل وتكاملت فيه خلال
الخير، وقد تستعمل لفظة التبشير في الاخبار بالشر كما في قوله
تعالى فبشرهم بعذاب اليم، الا انه اذا اطلق لفظها وقع على الخير
كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة، والعلة فيه
ان البشارة انما سميت بذلك لاستبانة تاثير خبرها في بشرة
من بشر بها، وقد تتغير البشرة للمساءة بالمكروه فهذا وجه لا
شتراك، والمؤمن قادم على ربه فاقتضت الحكمة ان يكون نظيفا
سالما من الاحداث، فمن اراد النجاة يوم الدين سلك سبيل
المتقين، ومنع نفسه عن معاصي الله التي بها يكون من الهالكين،
والكيس من سعد بجميل نظر الله فاعطى النور الزائد على نور
الموحدين وهو نور اليقين، واهل اليقين قد استعدوا
للقائه والعرض عليه، وقد دل له عقله ستشتاق الى مالات لاق

وعلم ان الموت عاقبة امور الدنيا واجتنب الشهوات ورفض المنى
وكان راضيا بما قسم له وقدر عليه حامدا شاكرا لمن اخرجه من
العدم الى الوجود طالبا للزيادة على ما اعطى من العلم والعمل الى
منتهى الاجل قال الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على
نور من ربه روى انه لما سئل رسول الله عن علامته فى الظاهر حتى
يعرف انه من هذه الطبقة فذكر ثلث خصال فقال الانابة الى دار
الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول
الموت قال ابو عبد الله الترمذى فى نوادر الاصول اما الانابة
الى دار الخلود فهى اعمال البر لان دار الخلود انما وضعت جزاء لا
عمال البر فاذا انكمش فى اعمال البر فهو انابة الى دار الخلود واذا
خمد حرصه على الدنيا ولهى عن طلبها واقبل على ما يعينه منها واكتفى
به وقنع فقد تجافى عن دار الغرور واذا احكم اموره بالتقوى
فكان ناظرا فى كل امر واقفا متأنيا متثبتا حذرا يتورع عما يريبه
الى ما لا يريبه فقد استعد للموت قبل نزول الموت فهذه علا
متهم فى الظاهر وانما صار هكذا لروية صرف الاخرة على الدنيا
ورويته الدنيا انها دار الغرور ورويته الموت انه قد امد وراه
ولا لشئ من الدنيا قدر معه وانما صارت له هذه الروية بالنور
الذى ولج القلب والغرور هو ان يرى المرء امور الدنيا فى مباديها
قائمة على وفق السداد والاحوال فى بداياتها جارية على حسب المراد

فيظن

فيظن ان هذه حالة واجبة الاطراد لازمة الاستمرار بلا انقطاع
ولا نفاد فيغتر بذلك ويهمل الاستعداد فيسد عنه باب الصلاح
ويفتح عليه باب الفساد ويأتيه الموت فيرحل بغير زاد فالامور
الدنيوية والشهوات البهيمية واللذات النفسانية لا تحصل الا
بعد متاعب كثيرة ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذ هاب
ينغصها الموت والهرم ويكدرها الهم والالم فتكون الرغبة
اليها والاكباب عليها غرور لا محالة وجاء رجل الى على رضى الله
عنه فقال اسألك عن اربع مسائل قال سلها وان كانت اربعين
قال ما الواجب وما الاوجب منه ما القريب وما اقرب منه ما
العجيب وما اعجب منه ما الصعب وما اصعب منه قال على الواجب
التوبة واوجب منه ترك الذنوب واما القريب فالقيمة والاقرب
منه الموت واما العجيب فالدنيا واعجب منه حب الدنيا واما الصعب
فالقبر واصعب منه دخول القبر بغير زاد وقال الله تعالى وماذا
عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر هذا غاية التلطف وقال سبحانه
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم فمن تاب وامن وعمل صالحا
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وهذا غاية الاحسان وقال
الحسن البصرى ان العبد اذا تاب واصلح فصارت الذنوب الماضية
كلها حسنات وقال البيضاوى عند قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم اتيشفى به غيظا او يدفع به ضررا او يستجلب به نفعا

وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب العاصي بكفره لان
اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا امن وشكر تخلص من
تبعته وفي التنزيل ما يؤيده وهو قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفيه ايضا ما لا يخفى على من يشاء ان
الله اسكن عباده هذه الدار وجعلها منزلة سفر من الاسفار وجعل
بين الدنيا والاخرة برزخا يدل على فناء الدنيا بالاعتبار فسبحان من
يخلق ما يشاء ويختار ويرفق بعباده في جميع الاقدار قال مجاهد
في قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون البرزخ الحاجز
بين البعث والرجوع الى الدنيا وسمع الشعبي رجلا يقول مات فلان
فاصبح من اهل الاخرة فقال لا تقل من اصحاب الاخرة ولكن قل من اهل
القبور ليس هو في الدنيا ولا في الاخرة بل هو في برزخ الى يوم يبعثون ان
وللروح علم كلي بل هو عين العلم الكلي فاذا فارق البدن يلحق الى
عالمه الذي هو نتيجة عالم المعاني ومبدأ العلوم والمعارف ولما دعى
الله الارواح من هياكلها بمساكنها اخبت الى ذلك الدعاء وهان عليها
مفارقة الوعاء فكان لها الانفساح بالسراح من هذه الاشباح ثم اذا
وقعت الاعادة عادت الى ما كانت عليه روحا وجسما وفيه اللقاء
الالهي والبقاء الكوني اي من غير فساد وان الله لما خلق خلقا يعرفونه
اقتضت الحكمة ان يكون فيهم طائع يرجو الثواب وعاص يخاف العقاب
ليكون البارى يرجى ويخاف ويعاقب ويعفو ليظهر بذلك الجبروت

فتوحات

والرحمة

والرحمة واخفى رضاه في طاعته فلا تحقر طاعة فقد يكون رضاه
فيها وهي الغاية القصوى واخفى سخطه في معاصيه فلا تحقر
معصية فقد يكون فيها السخط ولم يجعل الله القضاء والقدر
حجة وجعله خفيا عن الخلق الحقيقة لا ينطق بها اللسان بل هي ذوق
ووجدان وجعل الله الارواح محركة للاجسام مصرفة لها وهي امر
حقيقي لا ينكر ظاهر الوجود وسر من اسرار الله تعالى وامر من امره
يات علمه البشر ولا يجوز البحث عنه ولا يقال باكثر من انه موجود
هو لا يجدي نفعا بل يزيد حيرة وان الحكمة منها مجهولة ومسكوت عنها
ومرموز بها قال الله لم يزل جليلا وما اوتيتم من العلم الا قليلا
ولا يرى لطائف الارواح الا من تصفى من كثائف الاشباح فاذا
قبله العقل وفهمه فان كانت النفس شريفة قوى عالمها عليها با
جعلها خادمة للعقل فانها تستخدم الاعضاء فيما يحبه العقل و
يرتضيه وهذه النفس المطمئنة وان كانت قد قويت على عالمها و
اتبعت الهوى وشهوات الاعضاء فانها تستعمل الاعضاء فيما
يحبه ويأباه العقل وهذه النفس الامارة بالسوء ولا تخرج عن
تصرفات العقل الا بالقهر والغلبة عليه وفي قول الله لرسوله انك
ميت وانهم ميتون بدء بالخطاب بتسلية للنفوس وروى عن
قتادة انه قال مر على رسول الله بجنازة فقال مستريح او مستراح منه
قيل ما المستريح وما المستراح منه يا رسول الله قال العبد المؤمن

يستريح من نصب الدنيا واذاها والعبد الفاجر يستريح منه العباد والشجر
والدواب وانما يجزع من الموت اهل الجاهلية والفساق اما اهل
الجاهلية فلما يفوتهم مما يخلفونه من الدنيا فيها بالموت اما الاموال
واما اللذات واما الكرامات بالجاه وغير ذلك واما الفساق فلاجل
شيئين احدهما ما يفوته من دنياه والثاني لانه يرى السعادة تفوته
بموته فهو في ذلك اشد جزعا من الجاهلية لان الجاهلية لم يعلموا السعادة
اصلا بعد الموت فيروا انها تفوتهم وهؤلاء علموا فيلحقهم عند موتهم من
الجزع والاسف على ما يفوتهم ندامة عظيمة على ما قدموه في حياتهم فيموتون
وهم مغمومون من وجوه كثيرة قال الله تعالى كنتم خير امة اي في اللوح
المحفوظ وقيل كنتم في علم الله فينبغي لمن هو من هذه الامة المحمدية
ان يتخلق بالاخلاق الزكية والافعال المرضية والاقوال النقية فيتنبه
لما لهذه الامة من الاوصاف المرضية ويتأهل لما لها من الخيرية و
من لم يتمم الفضائل الجمة فقد جهل الرحمة واضاع النعمة ولو كانت
الاجساد مخلدة في الدنيا ما وسعتهم وكانوا الى التكبر والتجبر اضطر
واطوع فهم الموت يستغلهم ومن الحكم البالغة والنعم الظاهرة عموم
الموت على الخلق كافة وكونه لا يعلم جهة حصوله ولا يعلم حقيقته و
لا مرضه الذي يكون فيه فلا يقدر احد على الامتناع منه لا ملك لملكه
ولا صاحب مال لماله ولا طبيب لطبه ولا عالم لعلمه ولا زاهد لزهده
ولا نبي لشرفه ولا ملك لقربه وابهام الاجل ان يكون الادمي على قدم

الخوف

الخوف في كل وقت وحين وذلك خير له من ان يعرف منتهى اجله وقد
قسم الزمان النعم وجعل لها وقتا واجلا ولم يعد الخلود بها وقد
اخذها من قوم وتركها عند اخرين فكل منتبذ ما عنده لا محالة
وليس من شرطه حين افادها ان لا يعود الى اخذها منهم ولذلك
في امل الامل من العقلاء وانما هي متعة وايام معدودة وما كان
لاخره نهاية واما منه محض فمعنى قليل نفاد وقته وفناء مدته واما
كثرة الاشتغال بالدنيا وفراغ المجهود فيها والميل بالكلية اليها في
حلاوة حديثها ولذة اماليها يمنع حرارة ذكر الموت ان ترد على القلب
وان تلج فيه لان القلب اذا امتلأ بشيء لم يكن لشيء اخر فيه مدخل ولا
لسواه فيه مجال ومتى دام القلب على هذا لم يكن لذكر الموت فيه تأثير
ولا لترداده عليه جلاء وكيف يؤثر ولم يجد مكانا ينزل فيه ولا
موضعا يتعلق به وقد ملئه حب الشهوات الفانية واللذات المنصرمة
فهو شبعان ريان حيران سكران اصم اعمى ان عرض له طريق هدى لم
يره او نودي باجتناب ردى لم يسمعه فان القلب لم يسع الا شيئا
واحدا وقد قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال
ابو مدين ليس للقلب الا وجهة واحدة متى توجه اليها حجب عن غيرها
فاذا اراد صاحب هذا القلب سماع الحكمة والانتفاع بالموعظة
لم يكن له بد من تفريغه ليجد الذكر فيه منزلا وتلقى الموعظة فيه محلا
ولا يزال يتعاهده ويتفقده بالاذكار والنظر والافتكار والاعتبار

اثناء الليل واطراف النهار لئلا يرجع الى ماكان عليه فتعود قسوته
اليه فان لم يقدر على تفريغه بمرة فرغ منه ما امكن وجعل مكان ما ازال
ضده فيجعل مكان الغفلة ذكرا ومكان الاغتباط ندما ومكان الفرح
حزنا ومكان السهو تيقظا ومكان الرغبة زهدا فلا يزال يزيل شيئا
ينفعه ازالته ويجعل مكانه ضده فينتفع بابداله في ماله ومما يعين على
اقلاع القلب من حب الدنيا الفكرة في من مات وتقدم كانوا يحرصون
ويسعون ويأملون ويعمرون في هذه الدنيا فاصبحوا اية للمتوسمين وعبرة
للمعتبرين فان انت اطلت اعتبارك وانعمت استبصارك وتفكرت
وتذكرت ونظرت رايت انك واحد منهم خلقك كخلقهم وصفتك
كصفتهم فالعاقل من كان على بصيرة واستحضر مصيره فكم للدنيا من
عادة سلبت بها الملوك واذلت بها الممالك والصعلوك هذا قضاء
الله النازل من سمائه وحكمه في عبيده وامائه لا بد ما ينزل ما نزل به
ويصيب ما اصابه واليه المرجع والماب وبهذا يكتسب التجافي والا
والاستعداد لما اتاه والنظر فيما يقدم عليه وما يصير اليه وهذا
من كمال الكياسة وشمول السعادة ومثل هذا قد رفع التوفيق
عليه لواه والبسه رداه واعطاه جماله وبهاه والمنهمك في لذاته
وشهواته والمضيع ما لا يرجع من اوقاته لا يخطر له على الموت بال
ولا يحدث نفسه بزوال وربما خطر الموت بخاطره وجعله من
بعض خواطره فلا يهيج له لا غما ولا يثير في قلبه لا حزنا ولا هما

مخافة

مخافة ان يقطعه مما يؤمل ويقطعه عن لذته في المستقبل وربما
قد يفكر منه كانه دفع ذلك عنه فهذا قلبه معلق بالدنيا ونظره
مصروف اليها وسعيه كله لها وهو مع ذلك من طلابها المحرومين
وابنائها المكذوبين لم ينل منها حظا ولا ادرك بها مرتقى ولا نجح له
فيها مسعى فعمره ينقص وحرصه يزيد وجسمه يخلق وامله جديد
يحرص حرص مقيم ويسير الى الاخرة سير سقيم كان الدنيا
حق اليقين والاخرة ظن من الظنون فان لم يكن للعبد عناية
ازلية وسابقة اولية والا هلك كل الهلاك ووقع حيث لا افكاك
واذا ادركت العناية عبدا ازال عن عينه قذاها وكشف عن بصيرته
عماها وعرضت له الحقيقة فراها وابصر نفسه وعاين هواها فز جرها
ونهاها وقهرها وقلاها فلبى المنادي واجاب الداعي وشمر
لتلافي ما فات ونظر فيما هو ات وتاهب لهجوم الممات وحلول
السكرات ولا يكون الحكيم حكيما حتى يعلم ان الحياة تسترقه والموت
يعتقه شعر الحر في التحقيق معتق ذاته عن رق غفلته وعن شهواته
ومن اقتنى ما ليس يمكن سلبه عنه وتمم جهده حسناته انى يخاف
الموت حر عالم يعتده فضلا مقوم ذاته لا سيما وبه لذ لك للفتى
عيش نعيم العيش في لذاته من ظن ان فناءه بمماته فاحكم بان فناءه بحياته
والمرء ليس بخائف من ركضته الا لو هو ذنب في عزماته واعلم بان مرارة
الموت الذي ياتي الفتى في الخوف من نغماته يعني ليس يكره الموت لذاته

ولا لانه هادم لذاته ولكن يخاف ان ينقطع عن الادخار ليوم لا
فتقاد والاكتساب ليوم الحساب والاستعداد ليوم المعاد و
يكره ان تطوى صحيفة عمله باجله قبل اصلاح خلله وتدارك زلله
فهو يريد البقاء في هذه الدار لقضاء هذه الاوطار والاقامة
في هذه المحلة بسبب هذه العلة ومن تطرق الخلل منه اليه ومن نفسه
دخل الزلل عليه فلا يلومن الا نفسه على تفريطه وتقصيره فانه لا
يظفر بمطلوبه من لم يبذل الجهد في قيامه وتشميره ومع ذلك فلا
قدرة لاحد على حسنة يكتسبها او سيئة يجتنبها الا بتوفيق الله وتيسيره
وهذا مشتمل على ما اذا اوقف عليه ذووا الافهام عدوه من اسنى اسرار
الالهام ورأوه بعين التحقيق اتم مرادا واكمل مراما لانه كشف نور
البصيرة وهو في الحقيقة اعظمها قدرا واعمها تبصرة وذكرى ثم لا تزال
تنشوا الى ان تصل الى السعادة الحقيقية والالطاف الخفية ومن ثم
العناية الى العبد ان يرزقه الله الانابة والبصيرة قوة نورانية للقلب
يدرك بها حقائق الاشياء وهي للقلب بمنزلة البصر للعين وهي التي
تسميها الحكماء العاقلة النظرية واما اذا برزت بنور القدس وانكشف
حجابها بهداية الحق فتسميها القوة القدسية وحق لمن اعرض عن
الدنيا وغرورها واقبل على الاخرة وحبورها وعرفت نفسه المتاع
الواهي ونابذ الزخارف والملاهي وشاهد صنع الواحد الباقي و
استروح روائح المقبل الاتي من دوام الاخرة ونضرتها وخلود

المجاورة

المجاورة ومسرتها وحصول الزيادة وذهرتها ان يكون بما اختاره
الله راضيا وعما اقتطعه عنه من الدنيا ساليا ولما ندب اليه ساعيا
ولما ارشد اليه رسول الله واعيا ولخواطر قلبه راعيا ليصير من
جملة المطهرين لعله يقرب بما حض به الابرار المقربين ويغتنم ساعاته
بالبعد عن مخالطة المخلطين ويصون اوقاته عن مسالمة المبطلين
ويجتهد في معاملة رب العالمين باخلاص النية وحسن اليقين
مقتديا بسنة سيد المرسلين وفي قوله صلى الله عليه وسلم كفى بالموت
واعظا نصح الاولين والاخرين وقوله عليه الصلاة والسلام تركت
فيكم واعظين ناطقا وصامتا فالناطق القران والصامت الموت
وهذا كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وابلغ في الموعظة ولكن
النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج الى تطويل الوعاظ و
تذييل الالفاظ والا ففي هذا الحديث ما يكفي السامع له ويشفي
الناظر فيه وقال الشبلي وجدت نجاتي وخلاصي في حديث واحد
وكان فيه علم الاولين والاخرين وهو قوله صلى الله عليه وسلم لبعض
اصحابه اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها واعمل لاخرتك بقدر
بقائك فيها واعمل لله بقدر حاجتك اليه واعمل للنار بقدر صبرك
عليها وقال بعض الحكماء الدنيا ممر سالك لامقرها لك جسر يعبر
ولا يعمر وقال عمر ابن عبد العزيز وهو على المنبر ايها الناس تفكروا
لماذا خلقتم فان التفكر في هذا عبادة وامتثلوا ما امر الله

عباده، والفتوا قلوبكم عن اسباب الشقا الى اسباب السعادة واعلموا
انكم في نقص من اعماركم، وكانكم في زيادة لو رايتم الاجل ومسيره لكرهتم
لكم الامل وغروره، الزهد بصحة اليقين، وصحة اليقين بنور الدين،
فمن صح يقينه زهد فيما يفنى، ومن قوى دينه ايقن بالجزا فلا تغرنك
صحة نفسك وسلامة امسك، فمدة العمر قليلة، وصحة النفس مستحيلة
شعر اذا ما اشتبه الامر فاحكم به، ولا تحكمن بما يشتبه، وانبه فؤادك عن
رقدة، فان الموفق من ينتبه، وان كنت لم انتبه بالذي وعظت فيه
فانتبه انت به، وقال حكيم اجعل بينك وبين كل محبوب من الدنيا قبل
زواله لئلا يفجاك فقده، ولا تانس بما لا بقاء له فما كان الى زوال
فالازدياد فيه نقصان حتى يستغرقه الفناء، وكيف يشير رائد
العقل بايثار القليل الفاني على الكثير الباقي، ومن اراد السلامة
فابعد الاستقامة كرامة، وهي سلوك الطريق المستقيم واتباع
الدين القويم قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
كلمة واحدة تفصح عن الطاعات كلها في الائتمار والانزجار، و
الدنيا غرت اقواما فعملوا بغير الحق ففجاهم الموت فخلفوا مالهم
لمن لا يحمدهم، وقد خلفنا بعدهم فينبغي لنا ان ننظر الى الذي كرهنا
منهم فنجتنبه، والى الذي غبطناهم به فنستعمله والغرة باب يحجب
الفطن عن الصواب، واذا اردت ان تنظر الى الدنيا بعدك فانظر
اليها بعد غيرك ان للباقي بالماضي معتبرا، وللاخر بالاول مزدجرا،

ولنا

ولنا في كل ميت عظة بحاله وعبرة بماله، وقال لقمان ما المبتلي
الذي اشتد بلاؤه باحوج الى الدعا من المعافا الذي لا يامن البلاء
وما ابتلي عبد بشيء اشد من القسوة والغفلة والنفس فارغة
فان شغلتها بما يصلحك والا شغلتك بما يفسدك، وقد كثر الحث
على هذا وكثرت الاقاويل فيه ولم يزل المذكرون يذكرون والمنبهون
ينبهون لو يجدون سمعا واعيا وقلبا واعيا، ومحلا قابلا، ولا
فائدة في النصح للناس الا ان يشوقهم الى احوال فوق ما هم عليه
ولو نصحهم بما هم متخلقون به لم يكن للنصح فائدة شعر
اذا لم يكن للمرء نفس كريمة، تهش اذا اوحت اليه النصائح، ولا مطمع في
رشده وصلاحه، ولو صاح يوما بالنصائح ناصح، وقال الجنيد
كثرة النظر الى الباطل تذهب بمعرفة الحق، والمبادرة الى الطاعات
علامات التوفيق، والقعود عن المخالفات علامة حسن الرعاية
ومراعات الاسرار من علامة اليقظة، واظهار الدعاوى من رعونات
النفس البشرية، ومن لم يصح مبادي ارادته لم يسلم في منتهى عواقبه
واذا انجلت هذه الظلم بدت لك هذه الشلم رحم الله امرا ايقظ
نفسه في مهلة الحياة قبل ان توقظه روعة الممات، وان الليل و
النهار خزانتان من اودعهما شيئا اداياه، وانهما يعملان فيك فاعمل
فيهما، والاعمال صورة قائمة ارواحها وجود سر الاخلاص فيها
وجاء في الحديث ليس للمؤمن المستقيم غم الموت ولا وحشة

انتهى الكلام

القبر ولا فزع يوم القيمة وفي حديث اخر من كف اذاه عن الناس كان
حقا على الله ان يكف عنه اذى القبر وفي عبادة الحج الحث على تذكر
الموت والخروج بالاكفان وهو كاشف راسه من القبور والوقوف
والطواف في صورة مسكنة طالبا للرحمة نازلا عن كل جبروت وعز
والدنيا جسر من عبره باعتبار افضى الى قراره ومن عبره باغترار افضى
الى دماره وللانسان سعادات ابتحت له وهي النعم المذكورة في قوله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وجميع النعم المذكورة على القول
المجمل بالسعادة ضربان ضرب لا يبيد ولا يحول وهو النعم الاخروية
وضرب يبيد ويحول وهو النعم الدنيوية والنعم الدنيوية متى لم توصلنا
الى تلك السعادة التي لا تبيد ولا تحول فهو كسراب بقيعة يحسبه الظمان
ماء غرور وفتنة وعذاب ولكن كثيرا ما يخطى فيظن ما ليس بسعادة
في ذاته انه سعادة فيغتر بها حتى اذا جاءه الموت لم يجده شيئا شعر
يقضي على المرء في ايام محنته بان يرى حسنا ما ليس بالحسن ورب
مستحسن ما ليس بالحسن فالنعم الدنيوية انما تكون نعمة وسعادة
متى تنول النعم الاخروية وتحرى بها الوجه الذي لاجله خلق وقد تقرر
في بديهة العقول خسة اللذات الجسمانية وكمال اللذات الروحانية
وهو لان جوهر النفس لا يموت والمتلذذ به ومعرفة الله لا تبطل
واما اللذات الجسمانية انما تحصل حال الاشتغال بها وانما تبعد
لحظة فلا تبقى ولها مضار اذا استكثر منها فثبت ان الاخرة خير

وابقى

وابقى يجزى على الدنيا وتحصيلها ولم نسل منها على طائل وكلنا
نطلبها عاجلا والخير والراحة في الاجل وقد ثبت ان الالام
والاسقام كلها مكفرة للذنوب فان فرضنا ان بقي على المسلم بقية
كفرها الموت لما جاء في الحديث الموت كفارة لكل مسلم ومن خاف
ذنوبه وخشي عاقبتها يوم القيمة فان خوفه من ذنوبه وندمه عليها
من الدليل على المغفرة لها مع ما من الله من الايمان ومحبة الله و
رسوله فسبحان من اكرم المؤمنين بهذه الكرامة وجعل ما قدر
عليهم ولهم خيرا ورحمة بهم وتصفية لاكدارهم وتنويرا لافئدتهم
وزيادة لاقدارهم وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد
غير شاك فيحجب عن الجنة وروى عن ابي ايوب الانصاري انه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والزمهم كلمة التقوى
لا اله الا الله وانما سميت هذه الكلمة كلمة التقوى لانها صيانة
ووقاية لتوحيده فانه اثبت عقد المعرفة بالهه قلبا وباللسان
نطقا انه الهه فاستوى القلب باللسان واللسان بالقلب
فقد صدق بالكلمة لسانه وقلبه واخلص روحه فاستوجب
النظر اليه والوقاية له والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف
الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلاث مراتب
الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله

تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل
او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع
وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان
يتنزه عما يشغل سره عن الحق وهو المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق
تقاته وقد فسر قوله تعالى هدى للمتقين على وجه الثلث فى تفسير
البيضاوى وقال الحسن البصرى ما رايت يقينا اشبه بالشك من
يقين الناس بالموت مع غفلتهم عنه وما رايت صدقا اشبه بالكذب
من قولهم انا نطلب الجنة مع تفريطهم فى طلبها وعجزهم عن عملها وقد
جاء فى الحديث يقول الله لعباده يوم القيمة ادخلوا الجنة برحمتى و
اقتسموها باعمالكم وقال على من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا
ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه ومن عرف الشيطان
فعصاه ومن عرف الاخرة فطلبها ومن عرف الدنيا فرفضها ومن
عرف الحق فاتبعه ومن عرف الباطل فاتقاه وقال الشيخ عبد القادر
فى الفتوح ويستحب لكل مؤمن عاقل ان يكثر ذكر الموت ويستعد له و
يكون على اهبة بتجديد التوبة كل وقت وساعة ومحاسبة النفس
والخروج عن المظالم والذنوب والديون ولا يكون غافلا عن هذا
الامر المتحقق الشامل فى حق جميع الانام ولا يجزع من المصائب
التى تعم الاخيار ولو امرنا بالجزع لصبرنا وقال الاعمال متعلقة
بالشريعة والتوكل متعلق بالايمان والرجا ما قارنه العمل والا فهو

امينة

امنية ولا تحصل المحبة الا بعد اليقين الزموا قلوبكم محبة الله فانه
لا يبالى احدكم متى مات واجمعت الامة على ان الموت ليس له سن
معلوم ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على
اهبة منه مستعدا له ومن خاف الله دله الخوف على خير ولا
تظن محو ذنوبك اذا فعلت الامور التى ورد الشرع انها مكفرة
لذلك فقد يكون لها شروط لم يات بها فليس للمؤمن راحة دون
لقاء ربه وجاء فى الحديث كفى بالسلامة داء ورأس التفويض
والباعث عليه الايقان بالعجز عن مغالبة القدر انما هو اعتقاد
بانه لا يكون الا ما اراد الله كونه ولا يصح التفويض ممن لا يعتقد
ذلك ولا يتدين به واما السعادة الاخروية فليس لنا تصور
كنهها ما دمنا فى دار الدنيا وليس فى الدنيا نعمة ولا سرور
الا وهى انموذج الجنة وذوقها ثم من وراء ذلك ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكذلك ما فى الدنيا من
الشدة فهو انموذج دار العقاب ثم من وراء ذلك ما لا تحتمل
العقول من الوان العذاب كل ذلك يخرج لهم من غضبه ولاهل
الجنة من رحمته دعاهم ليجدد لهم ابدا ناطرية واعمارا ابدية
وقال لقمان كل شىء من الدنيا سماعه اعظم من عيانه وكل
شىء من الاخرة عيانه اعظم من سماعه الحقائق تقصر عقولنا عن
معرفتها وانما يعلمها خالقها قال صاحب اسئلة الحكم فان قيل

ما معنى قول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
يقال له اي ما ازددت يقينا بايمان لها وان كان اذا راى الاخرة
ابصر بها من البصائر ماهيات ما لم يحط به قبل ذلك ولا بد لكل
احد من غطاء ينكشف عند لقاء ربه الا ترى الى قوله يقينا ولم يقل
معرفة وان العمر اذا عمر بجنبات القلب بالايمان فذاك كثير وان قل
في عدد ايام المدة لان القصير من العمر اذا احتشى من الايمان ربي
على الكثير وانما يبتغى من العمر العبودية لله كي يصير غدا عند الله و
جيها من بورك في عمره ووفق لارشاد امره ادرك في يسير من الزمن
من منن الله ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة
وقد غنمت سحرة فرعون بسجدة واحدة قبلت منهم ومن مات محمودا
احسن حالا ممن عاش مذموما وقال ابن عباس رضي الله عنه تكفل
الله لمن يقرء القران ويعمل بما فيه بان لا يضل في الدنيا ولا يشقى
في العقبى ثم تلا هذه الاية فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى
وان الخروج من الدنيا وان كان لا تطيب به نفس ولكن قد تهيا
برياضة النفس عليه باستعداد الزهد في الفاني العاجل والا
ستكثار من العمل النافع في الاجل وقال معروف الكرخي ان طول
الغفلة من امارات الخذلان لان عليك بدفع العوائق حتى تستقيم
لك عبادتك وهي اربعة الدنيا والخلق والنفس والشيطان
فدفع الدنيا بالتجرد عنها والزهد فيها بجهد حميد وجد بليغ

وانما

وانما لزمك هذا التجرد والزهد فان الرغبة في الدنيا تشغل
ظاهرك بالطلب وباطنك بالارادة وحديث النفس وكلاهما
مخل بالعبادة بل مانع لها فان القلب واحد فاذا اشتغل بشيء
انقطع عن ضده فاما اذا زهدت وتجردت عنها فتفرغت بظاهرك
وباطنك تعاونك اعضاؤك وتيسر لك العبادة قال سلمان رضي
الله عنه ان العبد اذا زهد في الدنيا استنار قلبه بالحكمة وتعاونت
اعضاؤه في العبادة فهذه هذه وثانيها الخلق فعليك بالتفرد عن
الخلق والاعتزال عنهم لان الاختلاط مع خيار الخلق يشغلك
عن الله فما ظنك بغيرهم وثالثها النفس الامارة بالسوء فعليك
بالحذر منها فانها اضر الاعداء وداؤها اعضل الادواء لانه
عدو من داخل واللص اذا كان من البيت عزت الحيلة فيه وعظم الضرر
به مع انه عدو محبوب والانسان عمي عن عيوب محبوبه فالتدبير ان
تلجمها بلجام التقوى والورع وهما تربيتها وتقويتها وهي مطيتك
فذللها على حد لا تسلف عليك ولا تجحف بك وتذليل النفس يكون
بثلثة اشياء منع الشهوات وحمل العبادات والاستعانة بالله
والتضرع اليه ان يعينك واما الشيطان انه عدو ولا مطمع في
مصالحته بل لا يقنعه الا هلاكك فلا وجه للامن من مثل هذا
العدو اصلا والتدبير في دفعه الاستعاذة بالله بالاخلاص
وكلمة الاخلاص لما جاء في الحديث حاكيا عن الله لا اله الا الله

حصني فمن دخل حصني امن من عذابي والشيطان سبب العذاب و
الامن من العذاب يكون بالخلاص من شروره وقد نبه الله على ذلك
في القران الكريم فقال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين ففي معناه من ذكر الرحمن لم يكن الشيطان قرينا له ووقد
في الخبر ان نبيا من الانبياء قال لملك الموت اما لك رسول تقدمه بين
يديك ليكون الناس على حذر منك قال نعم والله رسل كثيرة من العلل
والامراض والشيب والهرم وتغير السمع والبصر ورحلة الاقران و
نقلة الجيران فاذا لم يتذكر من نزل به العبر ورأى العبر ولم يتب ويستغفر
فاذا قبضته ناديته الم اقدم اليك رسولا بعد رسول ونذيرا بعد
نذير انا الرسول الذي ليس بعدي رسول وانا النذير الذي ليس بعدي
نذير فحق للانسان ان كان ملكا ان ينظر الى من تقدمه من الملوك
وما فعل الدهر بهم كيف خلوا قصورهم وحلوا قبورهم وكذلك
ان كان وزيرا او غير ذلك من اصناف الناس فصفاتهم في تقلب
الدنيا بهم معلومة مذكورة واحوالهم فيها ماثورة مشهورة وكل
واحد منا يعلم هذا من نفسه ويراه في غيره نعم الموت لابد ات فاستعد له
ان اللبيب بذكر الموت مشغول الا ان اليك القاسي فانه ميت وان
كان متحركا واعمى وان كان رائيا فاحذر القسوة فانها ام الخطايا
وامارة الطبع وهي السوء العاقر والداهية العقام ولم يصر الانسان
انسانا الا بالفكر والعقل الذي به يميز الخير والشر والنفع والضر

النبي اخبار بالموت

ومن صرف همته كلها الى تربية القوة الفكرية بالعلم والعمل فقد
لحق بافق الملك وقد قال الله تعالى في حق انسان ان هذا الا ملك
كريم وجاء في الحديث عليكم بقول لا اله الا الله والاستغفار فان
ابليس يقول اهلكت الناس بالذنوب واهلكوني بالاستغفار
وقال علي رضي الله عنه عجبت لمن يهلك ومعه النجاة قيل وما هي
قال الاستغفار والاستغفار هو سؤال العبد ربه ان يستره
والمغفرة وهي ان يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته
وانما سمي المغفر مغفرا لانه يغطي الراس ويستره اكثر الاستغفار
ما دمت في هذه الدار فانه يطفئ غضب الجبار وكان الفضيل
ابن عياض يقول لمن خرج في جهاد عليكم بالتوبة فانها ترد عنكم
ما لا ترده السيوف وروي عن سفيان الثوري انه كان يقول
انك ان تلقى الله بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه اهون عليك
من ان تلقاه بذنب واحد مما بينك وبين العباد واذا اتصف
الهوى بالصفا قل البلاء فحق للانسان ان يجاهد هواه
حتى يتخلص من اذاه والانسان بعقله صار معدن العلم
ومركز الحكمة فمن اطاع مولاه وجاهد هواه كانت الجنة
نزله وماواه وليس اجذب للخواطر ولا اجلب للغموم اليها من
الرغبة في الدنيا قال في الطب الروحاني والهوى اذا تصور
بالعقل فقد الموافق المحبوب عرض نفسه للغم ولما كانت

المادة التي منها يتولد الهموم انما هي فقد المحبوبات وجب ان يكون
اكثر الناس واشدهم غما من كانت محبوباته اكثر عددا وكان لها
اشد حبا واقل الناس غما من كانت حالته بالضد من ذلك فقد
ينبغي للعاقل ان يقطع مواد الغم عنه بالاستقلال من الاشياء
التي يجلب فقدها الغم ولا يغتر بامعها مادامت موجودة من
الحلاوة بل يتذكر ويتصور المرارة المتجرعة عند فقدها فاذا كان
الامر على هذا فالرأي التقلل منها وطرحها ما امكن ولا يبقيها
في نفسه ووهمه ويعلم انها ليست مما يمكن ان تبقى وتدوم بحالها ولا
يخلو من تذكر ذلك واخطاره وتصحيح العزم على شدة الجلد والتوطي
متى حدث ذلك بها فان ذلك تمرين ورياضة وتقوية وتدريج
للنفس على قلة الجزع عند حدوث المصائب لقلة ما كان من
اعتداده وثقته وركونه الى بقاء محبوباته في حال وجودها
ولكثرة ما مثل للنفس وعودها والبسها بتصور المصائب قبل
حدوثها شعر يصور ذو اللب في نفسه مصائبه قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم يرع لما كان في نفسه مثلا راى الامر يفضي الى آخر
فصير آخره اولا وذو الجهل يامن ايامه وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان ببعض مصائبه اعولا ولو قدم الحزم في نفسه
لعلمه الصبر عند البلا ومن حيث ان الانسان في غاية الفشالة ومفرط
الميل مع الهوى واللذة فليس من انسان الا وله شرب من الكدر

ونصيب

ونصيب من الهم يقل عند انسان ويكثر عند آخر لان العقل
صديق مقطوع والهوى عدو متبوع فاذا اخذ نفسه بهذه
الافكار وعرض عليها هذا الاعتبار اعرض عن الدنيا ولم
يلتفت اليها ولم يشغل نفسه بها ولا يستعظم ما حرم او سلب
او فجع به منها بل يعد بقاءها له فضلا وما استمتع منها ربحا اذ
كان ذلك شيء لا بد ان يعرض فيها فانه متى اراد واحب بقاءها
فقد اراد ما لا يمكن وجوده فكان بذلك مائلا عن عقله الى هواه و
جالبا للغم الى نفسه وقد عيبت ان وعيت بما اجيبت حين حييت
قال حكيم لقد مت حين حييت وقال علي رضي الله عنه رسول الموت
الولادة وقيل للحسن البصري ان فلانا بالنزع قال هو بالنزع
منذ ولد وحكي انه مات لحكيم ولد فقيل له ما كان سبب موته
قال كونه وكل هذا في قول النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالسلامة
داء وقال بعض الادباء وحسبك داء ان تصح وتسلما وقال
ابو الطيب شعر سبقنا الى الدنيا فلو عاش اهلها منعنا بها من
جيئة وذهوب واو في حياة الغابرين لصاحب حياة امرئ
خانته بعد مشيب وروى الترمذي في سننه وغيره عن معاذ
ابن جبل عن النبي انه قال من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل
الجنة قال الحاكم في المستدرك هذا حديث اسناده صحيح و
قال صاحب كتاب السر القدسي في تفسير آية الكرسي والحاصل

انه كلما كان انقطاع قلب العبد عن الخلق اتم كان الاسم الذي يذكر
به ربه اعظم، ولا شك ان العبد في اخر نفس من انفاسه ينقطع قلبه
عن جميع الخلق بالكلية، ولم يبق في قلبه رجاء ولا خوف الا من الحق
تعالى فاذا ذكر ربه في ذلك الوقت باسم من اسمائه فقد ذكره باعظم
الاسماء، ومن ذكر ربه باعظم الاسماء اسبغ عليه اعظم انواع النعماء،
فيخلصه من دركات العذاب، ويوصله الى درجات النعيم والثواب،
ولهذا ورد في الحديث من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة،
وفي حديث اخر يبعث كل عبد ما مات عليه، وروي عن علي رضي الله عنه
انه قال سمعت سيد الخلائق يقول سمعت سيد الملائكة يقول ما
نزلت كلمة اجل من قول لا اله الا الله على محمد رسول الله على وجه الارض،
وبها قامت السموات والارض والجبال والشجر والبر والبحر وهي كلمة
الاخلاص الا وهي كلمة الاسلام الا وهي كلمة النور الا وهي كلمة
الرحمة الا وهي وكلمة النجاة الا وهي وكلمة الله هي العليا لو وضعت
في كفة الميزان، ووضع سبع سموات وما فيهن وسبع ارضين وما
فيهن في كفة اخرى لرجحت كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله و
العبد اذا اعترف بذنبه ورجع الى ربه يرجو منه الرضا والعفو،
عما مضى عفي عنه سوء فعله وحاشاه ان يكافيه بمثله شعر
لا تجزعن من ذنب جرى، فرب زلة اورثت تقوى وعناية فيك
ليس لشيء منك بل محض الافضال، وعظيم النوال نعمتان ما جرح

موجود

موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد،
انعم عليك اولا بالايجاد، وثانيا بتوالي الامداد فلا تغفل عمن نا
صيتك بيده، وعمرك بفضله وجوده، واين كنت حين واجهتك
فضيلته، وقابلتك رعايته في ازله بمنه وفضله، ولم يكن هناك
اخلاص اعمال، ولا وجود احوال علم ان العباد يتشوفون الى ظهور
سر العناية فقال تعالى يختص برحمته من يشاء، وعلم لو خلاهم و
ذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل فقال سبحانه ان رحمة الله قريب
من المحسنين، وقد جعل الله الرحمة عموما والعذاب خصوصا فقال
تعالى عذابي اصيب به من اشاء، ورحمتي وسعت كل شيء، والعامل لا يكاد
يتخلص من رؤية عمله فكن من قبيل المنة لا من قبيل العمل، وقال
لقمان ان الرجاء لله اقوى من خوفه لانك تخافه من ذنبك وترجو
لجوده كلما اجتنبت هواك قوي ايمانك، وكلما اجتنبت ذاتك
قوي توحيدك، المؤمن قد رفع لقلبه علم يشهد مشاهد القيمة
يعد نفسه ضيفا في بيته، وروحه عارية في بدنه، خاشع القلب
في طاعة الله، ركن الى الحصن المنيع فاواه، ودق نظره في معرفته
فمعنى بمعناه، متواضع ليس بالمؤمن جفاء، جلاله على الناس قد
برئ من الكبر، لا يركن الى الدنيا خلف همومها واحزانها
العارف من افات غيره محفوظ، وكل ما سوى الحق عنده مرفوض،
لا حزن على المؤمن بعد الموت بل فرحته وسروره بعد الموت،

والارواح شانها عجيب وهي خفيفة سماوية وانما ثقلت حين
اشتملت عليها النفس بظلمة شهواتها فاذا صفت من كدورات النفس
عادت الى خفتها وطهارتها وكان لها شان لا يؤمن به الا كل مؤمن بالله
مطمئن به قلبه لا بالاحوال الذي دبرت له نفسه وسبب الايمان بالغيب
ان لكل ظاهر من الدنيا صغيرا كان او كبيرا غيبا يصرفه فمن كان معتبرا
بالجليل فلينظر الى السماء فسيعلم ان لها ربا يجري افلاكها ويدبر
امرها ومن اعتبر بالصغير فلينظر الى حبة خردل فسيعلم ان لها ربا
ينبتها ويزكيها ويقدر لها قوتها من الارض والماء والهوى في وقت
زمان نباتها وتقسيمها اثر اجماع العلماء والجهال والمهتدين و
الضالين على ذكر الله وتعظيمه ومعرفتهم انهم لم يجدوا انفسهم فكل
يهدي الى الله سبحانه ويدل على الغيب الذي كان ويجب منه هذه
الامور مع ما يزيد ذلك عند المؤمنين وثقة عند العلماء بان الله
حق وما سواه باطل وللاستغفار بركات عاجلة قال الله تعالى
وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى
ويؤت كل ذي فضل فضله شعر اذا كان راس المال عمرك فاحترز
عليه من التضييع في غير واجب وبين اختلاف الليل والصبح معرك
يكر علينا جيشه بالعجائب واعلم ان الانسان متعوض من وجوه
ليست من قبيل الاجر على العمل ويجوز للمؤمن ان يجعل ثواب عمله
لغيره صلوة كانت او صياما او حجا او صدقة او قراءة او غير ذلك

وقد

وقد ورد في صحيح مسلم والبخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم ضحى
بكبشين املحين احدهما عن نفسه والاخر عن امته اي جعل ثوابه
لهم وقول الله سبحانه والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر
لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان دل على ان هذا الدعاء ينفعهم
ولا ينافي المعنى المتبادر الى الفهم من ليس للانسان الا ما سعى انه
لا ينفع الانسان الا عمله كما لا يضره الا عمله على وجه تقتضيه الدلالة
لان ذاك جزاء وهذا عطاء والسعيد من لجا الى مولاه واسند
ظهره لعز عظمته وعلاه وتوكل عليه في امر اولاه واخراه وجا
في الحديث افضل اعمال امتي انتظارها بالصبر فرج الله ولا يكون
التوكل الا مع معنى اليقين ولا يكون يقين وتوكل الا مع ايمان
لان اليقين عبارة عن استغراق العلم في الله في القلب ماخوذ
من يقن الماء في الجبل اذا سكن فكل يقين ايمان وليس كل ايمان
يقينا والفرق بينهما ان الايمان مع الغفلة واليقين لا يجامعه
الغفلة وعلى العاقل ان يحاسب نفسه على ما فرط منه ومن عمره
ويستعد لعاقبة امره بصالح العمل ولا يغتر بالامل طوبى لمن
ذكر المعاد وعمل للحساب وقال بعض الابدال الفكرة نور والغفلة
ظلمة والجهالة ضلالة والسعيد من وعظ بغيره فما اكثر العبر
لمن نظر وانفعها لمن اعتبر ومن راى في نفسه قيمة فليس
له في التواضع نصيب وكان الحسن البصري يقول الرضا

افضل من الزهد فى الدنيا لان الراضى لا يتمنى شيئا منها ولا منزلة
فوق منزلته شعر اذا شئت ان تحيى سعيدا فلا تكن على حالة الا
رضيت بدونها ، ولا شك ان الرضا بما قدره الله واجب وقد
ورد الثناء على المتصف به شعر هل هى الا مدة وتنقضى ما يغلب الايام
الا من رضى ، واعلا الناس عند الله منزلة اخوفهم منه ، واحب العبيد
الى الله عبدا اعانه الله على نفسه ، وان من ذكر الموت حق ذكره زهد
فى الدنيا واراح قلبه من غمها وهمها ، وليس تقصيرك املك بالذى
يمنعك ان تطلب رزقك وتعطل حالك ، وقد بان لك افضلية تقصير
الامل ، والمبادرة الى العمل ، وان حب الدنيا هو سبب طول الامل فيها ،
والاكباب عليها يمنع من ذكر الخروج عنها ، والجهل بغوائلها يحمل
على الارادة لها والازدياد منها ، لان من احب شيئا احب الكون معه
والازدياد منه ، ومن كان مشغوفا بالدنيا حريصا عليها محبا لها
قد خدعته بزخرفها واماتته بوفقها وسحرته بزينتها لم تترك
له الدنيا ما يسمع به حقا ولا يرى الحقائق بواسطته ، ومن كان
بهذه الصفة فهو عمى عن طريق الحق اصم عن داعى الرشد افل الراى
سئ النظر ضعيف الايمان ، انما شغله وحديثه دنياه لها ينظر
ولها يسمع قد ملأت عينه واذنه وقلبه فبتقصير الامل ومعاينة
الاجل يذكر ساعة الموت وساعة الزوال ، وما فيها ويستحضر
استولاء الفنا عليها والخروج ضرورة عنها ، فيكون كالدواء

لهذه

لهذه العلل كلها ويبرء من جميعها ، فيؤل الى اعدل السبل واجمل
العمل ، وقال بعض الحكماء العمر وان طال فما تحته طائل ، وكل نعيم
لا محالة زائل ، سفينة تجرى ولا تدرى ، فترصد للموت فلكل
طالع افول ، وتزود لدار الاقامة فلكل غائب قفول ، اتخذ
الدنيا سوقا مسلوكا ، لا بيتا مملوكا ، فهل ادرك الامل امله قبل
ان يبلغ الكتاب اجله ، تتبعك فرصة ، فلا تفوتنك فرصة ،
هو الزمان فلا يعطف فى مسيره ، والدهر لا يرءف باسيره ،
قال الله ومن اصدق من الله حديثا ، الا يرعنا موت الاباء و
الامهات ، عن اباطيل الترهات ، الا ان المرء غافل مطرق ، والموت
واعظ مفلق ، ينادى اقواما تظنهم قياما وهم قعود وتحسبهم
ايقاظا وهم رقود ، اتكرهون جزع الموت لو هو سابقكم مع
ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ، طوبى للمتقى الخامل ،
الذى سلم من اشارة الانامل ، ما اصلح شانك لو رايت فى مراة
الاعتبار شانك ، فسر قبل ان يسرى بك ، واطع من يريد ان يسرى
بك ، وسابق ترى مربعا وبرا ودعة ، ومن يهاجر فى سبيل الله
يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ، فكن يقظا حاذرا ، ومثل
الغائب حاضرا ، ومن بنت فى معارك الافات تخلق بشر انيف
الصفات ، ولم تفزعه غاشية الوفات ، ياخذ الكاس غير
عابس ، ويبشر به غير عابس ، ويلقى الملك بحسنات الانس من

التفضل الوضيع وتسمية الغافل
نفاها كما نسى البر بغفلان الملدع
سلجا ٥ م

الوثر الفراش الناعم

خطائر القدس وقال بعضهم الموت حق واجب وليس يكرهه
الا من كثر جوده وقل عدله وايقن بقبيح ما يرد عليه من خاف من
شيء عمل ما يؤمنه فمن خاف الموت فليعمل بما يرجو السلامة من شره
وقال لقمان الموت امان من الموت وقال الجنيد الموت شيء خوف
الله به العالم فمن خاف منه فهو محجوب عن الحق وسمع ابو يزيد رجلا
يقرء هذه الاية ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة فقال من باع نفسه كيف يكون له نفس ومن امارات من
ماتت نفسه زوال الافات عنه وسقوط شهواته منه وقيامه بحقوق
ربه وما فيه رضاه وتباعده عما فيه حظوظ نفسه ومناه شعر
الا انما الدنيا غضارة ايكة اذا اخضر منها جانب جف جانب وما
هذه الايام الا فجائع وما العيش واللذات الا مصائب وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال ايها الناس اتقوا الله حق
تقاته واسعوا الى مرضاته وايقنوا من الدنيا بالفناء ومن الاخرة
بالبقاء واعملوا لما بعد الموت فكان الدنيا لم تكن وكان الاخرة
لم تزل ايها الناس ان من في الدنيا ضيف وما في يده عارية الا
وان الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والاخرة وعد صادق
يحكم فيها ملك قادر فرحم الله امرء نظر لنفسه ومهد لرمسه مادام رسنه
مرخى وحبله على غاربه ملقى قبل ان ينفد اجله وينقطع عمله الا وان
الدنيا قد ارتحلت مدبرة وان الاخرة قد ارتحلت مقبلة الا انكم

في

في يوم عمل ليس فيه حساب ويوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس
فيه عمل الا وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن يبغض ولا يعطي
الاخرة الا من يحبها الا وان للدنيا ابناء وللاخرة ابناء فكونوا من
ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا ان شر ما اخاف عليكم
اتباع الهوى وطول الامل الا وان المنايا قاطعات الامال
والليالي مدنيات الاجال وقال صاحب عوارف المعارف الانتباه
اول دلالات الخير واوفى الاحوال اليقظة والادكار وبعدها
الاعتبار فاذا انتبه العبد من رقدة غفلته اداه ذلك الانتباه
الى التيقظ فاذا تيقظ الزمه تيقظه لطلب طريق الاخرة والرشد
فيطلبه فاذا طلب عرف انه على غير سبيل الحق فيطلب ويرجع الى باب
توبته ثم يعطى بتوبته حال الاوابين من تاب خوفا من العقاب
فهو صاحب توبة ومن تاب طمعا في الثواب فهو صاحب انابة و
من تاب مراعاة للامر لا خوفا ولا طمعا فهو صاحب اوبة فالتوبة
صفة المؤمنين قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون
والانابة صفة الاولياء والمقربين قال الله تعالى وجاء بقلب
منيب والاوبة صفة الانبياء والمرسلين قال الله تعالى في حق
ايوب عليه السلام نعم العبد انه اواب ومدار الامر على صلاح النفس
قال الله تعالى ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان
للاوابين غفورا والتيقظ بتيان خطاء المسلك بعد مشاهدة

سبيل النجاة وهو خوف من جهة المولى لقلوب الخائفين تدلهم على
طلب التوبة فاذا تمت يقظته نقل الى مقام التوبة وقال ابو يزيد علامات
الانتباه خمس اذا ذكر نفسه افتقر واذا ذكر ذنبه استغفر واذا ذكر
الدنيا اعتبر واذا ذكر الاخرة استبشر واذا ذكر المولى افتخر ولا يحب
الموت من فيه البقايا ولا من هو مصر على الخطايا شعر يصف الحياة لجاهل
او غافل عما مضى فيها وما يتوقع ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها
طلب المحال فتطمع وكل حالة وعلى هذا الموت فهي باطل اذ الموت حق
والحق يهدم الباطل ويدمغه لقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه وقال حكيم تضحك اربعة على اربعة الاجل على الامل والقدر
على الحذر والتقدير على التدبير والرزق على الحرص اللهم احيي اموات ارض
القلوب بغيث سحائب المواهب وارزقنا الوصول الى الحق مع هذه
لنبلغ بذلك اعلى المراتب وارنا بروق التوفيق في سماء التحقيق
لنشهد كل معنى دقيق واجذبنا من علائق التعويق واكنفنا حتى
لا نهوي بتاريخ الغفلة في مكان سحيق واختم لنا بخير يا نعم المولى
ونعم الرفيق اللهم رب اطفال الجوارح بلبان الذكر واجعل مراة
قلوبنا تكرير الفكر ولا تجعل لسلطان الغفلة علينا سبيلا انك
تهدي السبيل اللهم اغننا بالافتقار اليك ولا تفقرنا بالغفلة
عنك وطهر قلوبنا عن دنس الاغيار بالتنزيه لك والغيبة بك
واحشرنا مع الابرار تحت لواء النبي المختار بفضلك ومنك يا

ارحم

ارحم الراحمين يا ستار فصل ومما قيل في الموت روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يتمنى احدكم الموت ولا يدع
به قبل ان ياتيه انه اذا مات احدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن
عمره الا خيرا وفي حديث اخر لا تتمنوا الموت فان هول المطلع
شديد وان من السعادة ان يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الانابة
وفي حديث اخر لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فان كان لا بد
متمنيا فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت
الوفاة خيرا لي اخرجه البخاري ومسلم واما مريم بنت عمران تمنت
لئلا يظن بها السوء فيقع قوم بسببها في الزور والبهتان وذلك
مهلك لهم وقيل ان يوسف عليه السلام انما تمنى ان يموت على
الاسلام اي اذا جاء اجلي توفني مسلما قال الشيخ عبد الرحمن
السيوطي عز السلطنة الجأ يوسف عليه السلام الى هذا التمني لما
داخله من مداخل افاتها اظهار العبودية والافتقار الى عزته تعالى
وانما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تمني الموت لانه يدل
على عدم رضاه بما نزل من الله من مشاق الدنيا واما اذا تمنى لا
جل الخوف على دينه كما جاء في الدعاء واذا اردت فتنة قوم
فتوفني غير مفتون فلا كراهة فيه والموت ردي لمن الحياة
له جيدة كذلك جيد لمن الحياة له ردية فليس ينبغي ان يقال ان
الموت جيد ولا ردي لكنه بالاضافة الى الشيء يكون جيدا ورديا

وقد سمى الله الموت مصيبة في قوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت
وهو من اعظم المصائب واعظم منه الخوف منه والغفلة عنه والاعراض
عن ذكره وترك التفكر فيه والاستعداد له والعمل النائبة وان فيه وحده
عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر وذكروا الموت عند حكيم فقال لم يدع
لي صدقا املا ان هذا الموت قد افسد على اهل النعيم نعيمهم فالتمسوا
نعيما لا موت فيه العجب كل العجب من غفلة الانسان وسهوه عن هذا
الامر العظيم وهو يساق اليه سوقا حثيثا في كل يوم وليلة وفي كل ساعة
وطرفة عين وقد اظله وهو لابد لاقيه شعر حياة الفتى سير الى الموت قاصد
ولا عنق الا وهو في فتر خانق وصفة الرافة تقتضي دفع ذلك لولا
ما سبق العلم ولابد لكل عبد من لقاء ربه وقال ابن المعتز الموت سهم
مرسل الى كل ذي روح والعمر بقدر سفر السهم الى المرسل اليه وقال
سداد ابن اوس الموت افظع هول في الدنيا والاخرة على المؤمن و
الحياة اقرب الاوصاف الى الذات لا شيء اقرب الى الذات من وصف
الحياة شعر لقد صنع الله الكريم لخلقه بتصيير علم الغيب سرا محجدا
فلو علم الانسان علم حياته تنفس في عز الصحة وتكبرا كما لو دري ان
الوفاة قريبة لاصبح كذا آيسا وتحيرا فلم يسع في حرث ونسل ولم
يكن ليطلب علما ويشيد مفخرا فسبحان من اخفى عن الخلق علمه يودر
كما شاء الامور ودبرا وقال علي رضي الله عنه في بعض خطبه ايها
الناس لو عاينتم ما قد عاين من مات قبلكم لو هلتم وجزعتم و

الوجود كله رحمة لانه دليل على خالقه
كما قيل ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد

سمعتم

وسمعتم والطعتم ولكن محجوب عنكم ما عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب
ولقد بصرتم لو ابصرتم واسمعتم لو سمعتم وهديتم لو اهتديتم بحق
اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر فاتقوا الله عباد الله
وبادروا آجالكم باعمالكم وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم واستعدوا
للموت فقد اظلكم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا فان الله لم يخلقكم
عبثا ولم يترككم سدى وما بين احدكم وبين الجنة او النار الا الموت
ان ينزل به وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة
بقصر المدة وان غائبا يحدوه الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة
وان قادما يقدم بالفوز والشقاوة لمستحق لافضل العدة
فتزودوا اليوم في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به نفوسكم غدا في
الاخرة فاتقى عبد ربه نصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته
فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يزين
له المعصية ليرتكبها ويمنيه التوبة ليسوفها حتى تهجم منيته عليه
اغفل ما يكون عنها فيا لها حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه
حجة وان تؤديه ايامه الى شقوة جعلنا الله ممن لا تبطره نعمة
ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية ولا تحل به بعد الموت ندامة
كيف يعمل للاخرة من لم تنقطع عن الدنيا رغبته ولا تنقضي
منها شهوته والعجب ممن يصدق بدار البقاء وهو يسعى لدار
الفناء وممن يحتمي عن الطيبات مخافة الداء كيف لا يحتمي عن

يريد قوله تعالى [illegible]
روي انه سئل علي رضي الله عنه عن ذلك العمر فقال
ستين سنة وفي رواية
خمسين سنة

المعاصي مخافة النار، فلا تشغلكم دنياكم عن آخرتكم ولا تؤثروا
هواكم عن طاعة ربكم حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ومهدوا
لها قبل ان تعذبوا وتزودوا للرحيل قبل ان تزعجوا فانما هو موقف
عدل واقتضاء حق وسؤال عن واجب ان افضل الناس عبد اخذ من
الدنيا الكفاف وصاحب العفاف وتزود للرحيل وتأهب للمسير
الا وان خير الزاد ما صحبه التقوى وخير العمل ما تقدمه النية واعلا
الناس عند الله منزلة اخوفهم منه انما هو خوف يرجى او شر يتقى
او باطل عرف فاجتنب او حق تيقن فطلب واخرة اظله اقبالها فسعى
لها ودنيا ازف فناؤها فاعرض عنها وجاء في الحديث يا ابا هريرة
تقول الملئكة ليس العجب ممن هلك كيف هلك ولكن العجب ممن نجا
كيف نجا ومن جعل قوة الشهوية والعضبية مقهورتين على مقتضي
الشريعة فكان حينئذ ميتا بالارادة حيا بالطبيعة ومن امات
نفسه في الدنيا فقد احياها في الدارين شعر لا يعجز الموت شيء دون
خالقه والموت فان اذا ما فاته الاجل وقال علي رضي الله عنه
يا من الخائف اذا وصل ما خافه وجاء في الحديث لو ان الطير و
البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا شعر
نرى الشيء مما نتقي فنخافه وما لا نرى مما يقي الله اكبر
فنق والتجي بالله مما تخافه وقاية رب العرش اعلا واكبر
وقال لقمان افضل ما يمن الله به على عباده الامن في الدنيا

والاخرة ومما اوصى به علي رضي الله عنه بعض بنيه كن مع الله بالصدق
واصحب الخلق بحسن الخلق وان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلا
درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه اسفل دركة
في جهنم وهو عابد ولهذا يقال حسن الخلق غنيمة المؤمن وروي
ان الحسن البصري نظر الى ميت يدفن فقال ان شيئا هذا اخره
لحقيق ان يزهد في اوله وان شيئا هذا اوله لحقيق ان يخاف من
اخره وقال حكيم اعقل الناس محسن خائف واجهل الناس مسيئ
مطمئن واغناهم القانع وافقرهم الاتقياء والدنيا تهين من
كانت تكرمه والارض تاكل من كانت تطعمه شعر اذا حيوان كان طعمة ضده
توقاه كالفار يتقي الهر والاسد ان المرء طعمة دهره فما باله
يا ويحه يامن الدهر وكل نفس يتنفسه العبد بقدره يقرب من
الممات ويبعد عن الحياة شعر والناس في غفلاتهم ورحى المنية
تطحن الا ان الامل رفيق مؤنس ان لم يبلغك فقد استمتعت
به ولا تخرج النفس من الامل حتى تدخل في الاجل وجاء في
الحديث ان الامل رحمة من الله لامتي لولا الامل لما ارضعت
ام ولدا ولا غرس غارس شجرا وكان الحسن البصري يقول انكم
لن تطيقوا غضب الله كلما عصيتموه فامسوا تائبين واصبحوا
تائبين انت الى حلم الله اذا اطعته احوج منك الى حلمه ان عصيته
شعر ولا خير في الدنيا اذا لم يكن بها من الله في دار المعاد نصير

وقال علي رضي الله عنه كفى من عيوب الدنيا ان لا تبقى وهذا
دعاء مبارك ذكره علماء التفسير وحفاظ الحديث عن ابن
مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراه صباحا
ومساء ختم الله له عمره بالايمان ولو قرءه في مدة عمره مرة واحدة
وشفعت له وادخله الله الجنة بفضله وهو اللهم فاطر السموات و
الارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحيوة الدنيا
باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان سيدنا
محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر
وتبعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك
عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد شعر سائلني عن عقيدتي
احسن الله ظنه ادعي شهادتي شهد الله انه ختم الله لنا
بالحسنى ودفعنا الى المحل الاسنى وجعلنا ممن فكر في
العواقب فاعتبر وامر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وازدجر
انه اجل من قدر واولى من ستر واعظم من غفر والهمنا الرضا بما
قدر وقضى ويعفو بفضله عما مضى وياخذ بايدينا الى ما يحب
ويرضى ويوفقنا لمداواة هذه القلوب المرضى وان يعاملنا بما
هو اهله ويستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله انه
ولي ذلك والمرجو في جميع المسالك واقالة الزلة الموقعة
في المهالك وقد من الله بنعمة الايمان وبشكره استديمها فان

اعود الاعمال خواتيمها هذا وابقاك الله ما اخترته من القول من
غير قوة مني ولا حول بل بتيسير من ارشد لذلك والهم وتوفيق
علم الانسان ما لم يعلم نحمده على ما وفق من طاعته وذاد عن معصيته
ونسأله بمنه تماما وبحبله اعتصاما انه في كل نعمة مسئول وكل
كرامة مامول الذي بنعمته تتم الصالحات ونشكره على ما خص
بصنوف الانعام واولى عباده جزيل الاكرام وحباهم بفضيلة
العقل والكلام والهمهم جمع بدائع المعارف في احسن نظام
وجعل التفكر والاعتبار يخرجان من قلب المؤمن عجائب الحكمة
فتسمع منه اقوالا ترتضاها الحكماء وتعجب الفقهاء ويسارع الى
حفظها كل اديب ومن خرج عن صفة العمى ومشاركة اهل الهوى
وابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك
من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل
ضوء الشمس قد اعانه الله على نفسه يقول فيغنم ويسكت فيسلم
شعر تم الكتاب وانقضت ابوابه كالدر اذ يزجي به سحابه
باد لكل فاضل صوابه مؤدبا ان هذبت ادابه وما يرى لا
يحتاج الى دليل لمن يرى كما قيل بالفارسية شعر
كاسه چينى كه صدا ميكند خود صفت خويش ادا ميكند
وقال بعض الحكماء من بصرك فقد نصرك ومن افادك فقد
ازادك ومن وعظك فقد ايقظك ومن حذرك كمن بشرك

ومن انذر وبصر، فما عذر وما قصر، ونرجوان نكون غير مقصرين
فيما اجملنا، ولا محرومين مما املنا، فليتجاوز اهل الفضل عن قصور ذوي
بطولهم، وليصفحوا عن نقص بفضلهم، والانسان غير معصوم،
عن الخطا والنسيان، وهما بالنص عنا مرفوعان، ومع بسط
العذر لاملام، وكتاب المرء كالنائب عنه في نصح اخوانه مادام
الكتاب باقيا، والله في عون العبد ماكان العبد في عون اخيه، يعني
ولولا الفيض والاقبال منه، لما طال الكلام ولا الحديث،
وكذلك الزمان يذهب بالناس وتبقى الديار والاثار، ومن
ومن تحقق بكمال البشرية استمد من كل شئ في الوجود ناطق
وصامت شعر وقد تنطق الاشياء وهي صوامت، وما كل
نطق الناطقين كلام، وما كل قيل قيل علم وحكمة، وما كل
افواد الحديد حسام، نفعنا الله باخبار الابرار، ووفقنا
للاقتداء بالاخيار، بحرمة النبي المختار، والحمد لله الذي بنعمته
تتم الصالحات، قال مؤلف هذا الكتاب، الحمد لله على
انعام ما قد اولى، ثم صلوة الحق على شفيع الخلق،
وبعد ان العبد لازال مستمدا، عناية من ربه مطالعا في كتبه
جمعت منها انتقاء، منتقدا مؤلفا، الى اولي الالباب،
غاية ما في اللباب، تهذيبها للقارئ، تقريبها انذاري،
وان للكتاب، حقا كما الاصحاب، ثقة بوعي الكتبة،

الطول الفضل والقوة هـ

مناجات
يا من اسأت وبالاحسان قابلني
وجوده لجميع الناس مبذول
قد جاء عبدك يا مولاي معتذرا
وانت للعفو مرجو ومأمول



ذمام من كتبه، لا يشينه بالغلط، ويضنه بالسقط،
بل يعتني الصحة في جميعه ويقتفي، داب كرام ادبا بوجوفيما
كتبا، يارب باسمك العلي، وفضلك الجم الجلي، قنا جميع النقمة
متمما للنعمة، بحرمة المختار، وسيد الابرار، محمد لولاه
لما كان كل ما هو، صلى عليه الله، كما له يرضاه، واله الامجاد
وصحبه الاجواد، واختم بخير ذا العمل، وصنه من كل خطل،
والحمد لله رب العالمين



الا يرضيك الرحمن في سوء الفعل
وطالما الان ترضى فيقينا معذب
لو يتقي جود ذلك شيئا املـ
يكفي اصحاب الدنيا بالاوامر

الخطل المنطق الفاسد